الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعد دحلب – البليدة
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها
فرع : اللغة

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

البناء اللغوي في البيان النبـــوي
من خلال المتواتر لفظا

مذكرة ماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب : أحمد سعدي

لجنة المناقشة :

- الدكتور : سالم العلوي (جامعة الجزائر) رئيسا
- الدكتور : عمار ساسي (جامعة البليدة) مشرفا ومقررا
- الدكتور : أحمد عريوات فلاق (جامعة الشلف) عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2002 - 2003

31-410-7-2

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعد دحلب – البليدة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

فرع : اللغة

البناء اللغوي في البيان النبـــوي من خلال المتواتر لفظا

مذكرة ماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب : أحمد سعدي

لجنة المناقشة :

- الدكتور : سالم العلوي (جامعة الجزائر) رئيسا
- الدكتور : عمار ساسي (جامعة البليدة) مشرفا ومقررا
- الدكتور : أحمد عريوات فلاق (جامعة الشلف) عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2002 - 2003

إهداء

أهدي هذا العمل العظيم في موضوعه المتواضع في مضمونه إلى عشاق اللسان العربي الذي أنزل به القرآن الكريم و نطق به النبي عليه الصلاة و السلام و تعبد الله به المسلمين لأداء شعائر الدين .

و أهديه كذلك إلى الذين يتلمسون خطوات النبي عليه الصلاة و السلام في التبليغ و التعليم و التربية و السياسة و التوجيه كنموذج وصفي للممارسة اللغوية الفعالة التي تبين القصد و تبلغ الرسالة .

و لا أدعي أنني قد بلغت الهدف في تشخيص النظرية اللغوية النبوية على ضوء مقولات الألسنيين لأن هذا الهدف الثقيل لا ينهض به فرد

و لكنني أدعو من يحب النبي عليه الصلاة و السلام و يحب هذا اللسان العربي المشرق المبين إلى الاستفادة من حسن استعمال النبي عليه الصلاة و السلام للسان العربي من أجل نهضة لغوية تحترم المخاطب و تحرص على انتباهه و فهمه و إقباله و تجدد الخطاب العلمي في كل مقال و على كل حال و حسبي أن أساهم في بناء هذا الصرح العظيم بهذه اللبنة المتواضعة.

شكر و تنويه

أشكر جامعة البليدة بهيآتها و كلياتها ،و التي سمحت لي بالإياب بعد الاغتراب و جددت لي العهد مع البحث و الطلب و الوصل مع اللغة و الأدب بعدما تقاذفتني الظروف بعيداً بعيدًا ، و حاصرني الحرمان و توعدني المستحيل رغم الشوق و الاحتراق.

و يعجز لساني عن شكر و أداء حقوق أخي و صديقي و أستاذي الدكتور عمار ساسي الذي أشرف على حياتي منذ الطفولة و طيلة أيام مقاعد الدراسة فأوقد في نار المنافسة و أيقظ في روح الطموح ، فاستفاد و استفدت و واصل و تعثرت ، و يبقى الاعتراف بالفضل رغم اختلاف الظروف و افتراق الطرق و صدق المشاعر .

و قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فجمعتنا جامعة البليدة على وجه الشبه بيننا ، و على مائدة البيان النبوي باللسان العربي ، فأشرف على هذا البحث و خصص له جزءا كبيرا من وقته و اهتمامه و جهده و أعانني في بنائه بتقوية العزيمة و جدية الطرح و تصويب الفكرة و تدقيق العبارة ، و تنسيق المباحث و تطبيق المنهج حتى يخرج في حلة قشيبة تشرف الباحث و المشرف و تنفع القارئ ، فجازاه الله و شكر له .

و أشكر الأخ خالد يخلف الذي قرأ هذا البحث مرارا و طبعه بأنامله الرشيقة و شجعني على المضي قدما فيه كلما طلب مني المزيد ، فجزاه الله و أعطاه ما يريد .

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة و كل من يشرفني بقراءة هذا البحث و يتفضل علي بما يراه من نقص و ثغرة .

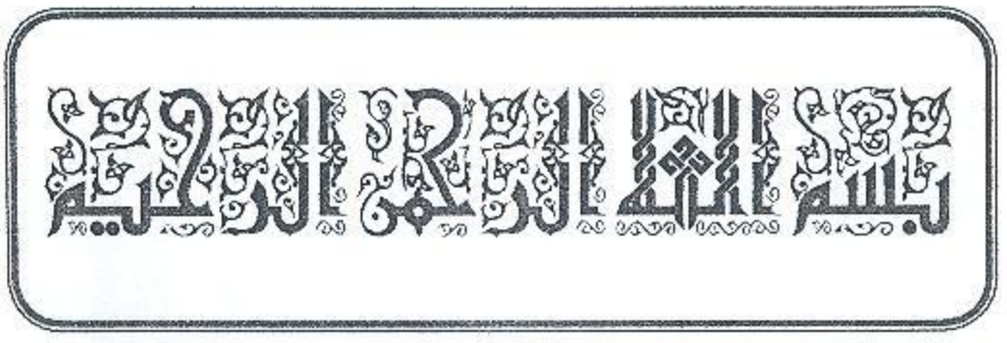
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن اللسانيات الحديثة تسعى في تحليل المدونة اللغوية إلى تحديد السمات و الخصائص العامة التي تتحكم في الخطاب و لقد كان للخطاب النبوي سمات و خصائص تتعلق ببنيته النصية في أبعادها الثلاثة الصوت و الإفراد و التركيب و هذه البنية المتميزة جعلته متميزاً عن النصوص الخطابية الأخرى إذ كان سريع الانتشار سهل الحفظ مشعاً بالمعاني و الدلالات .

و ليس من قبيل التسرع أو التجني أن نقول أن اللسانيات العربية قد أجحفت نوعا ما في حق الحديث النبوي – قديمها و حديثها – و انصبت على الإعجاز القرآني . و إن كانَ لهذا الجانب من الدراسات قيمته و شرفه . لكن ذلك لا يعني إهمال بعض مدونات التعبير العربي ذات البيان و الإبداع و خاصة الحديث النبوي الذي لم يرق إلى درجة الإعجاز و لكنه قرينه و قريب منه و هو آية في البلاغة و البيان . و إذا كان الإعجاز القرآني يصنف النص القرآني في السهل الممتنع لأن أسلوبه إلهي رباني لا يطيقه البشر و لا يقدرون عليه ، فإن الحديث النبوي رغم بلاغته يوضع في إطار السهل الممكن ، و لهذا شابه كلام كثير من علماء المسلمين و صالحيهم و حكمائهم كلام الرسول عليه الصلاة و السلام و اندرجت بعض عباراتهم في الحديث و تمكن الكذابون من إنشاء أحاديث تشبه الحديث النبوي تلتبس على كثير من الناس ، و إذا كان الحديث الموضوع مردودا من الناحية الشرعية فإني أعتبره كمدونة لغوية أثراً لسانيا و نشاطا بيانيا و تعبيرا على النموذج Rédaction sur Model من خلال نماذج الحديث و البلاغة السهلة الممكنة لها آثارها اللسانية التعليمية .

و أريد أن تكون هذه الدراسة حداثية رغم مادتها التراثية و أريدها أن تكون جادة و جديدة و متخصصة في لسانيات النص النبوي ، لأن هذا الموضوع مازال عبارة عن متفرقات متناثرة هنا و هناك تأتي عرضا كلطائف بلاغية أو نحوية

من خلال تفسير الحديث بالمعنى الشرعي و لم ترق بعد إلى البحث العلمي اللغوي المتخصص في البيان النبوي هذا أولاً و ثانياً مازالت معالم التحليل في نص الخطاب النبوي غير واضحة و هي عبارة عن عموميات منتشرة و مشتهرة اشتهار الأمثال .

يكون هذا البحث – بإذن الله – جديدا إذ يطبق المنهج الوصفي الوظيفي على النص النبوي المتواتر لفظاً لإبراز مدى إمكان الاستفادة من البيان النبوي في إطار اللسانيات العربية الحديثة و بذلك تتحقق لنا الأهداف التالية .

1- إبراز خصائص البيان النبوي من خلال بنية النص في أبعادها الثلاثة الصوتية و التركيبية و الإفرادية .
2- استثمار الحديث النبوي في إطار اللسانيات التطبيقية .
3- توجيه اللسانيات العربية المعاصرة في المجال التطبيقي إلى الاستفادة من التراث العربي و خاصة النص النبوي منه .
4- تثبيت موضع الدراسات اللسانية العربية الحديثة من الدراسات الغربية سواء في الإطار التنظيري أو التطبيقي لتحظى اللغة العربية بحقها الكامل من اهتمام الباحثين اللغويين و الألسنيين .
5- تهيئة ثروة الحديث النبوي لتكون مادة خاما و طاقة حيوية لمشروع لساني عربي معاصر فعّال ، باستغلالها في الدراسات اللغوية و الاستفادة من خصائصها اللسانية .
6- إبراز الطاقة التعبيرية التي يقدمها الحديث النبوي في صياغة الخطاب الأنموذج و تيسير استعمال اللسان العربي المبين .

لماذا الحديث المتواتر لفظا أو المتفق عليه القولي ؟

إن جميع متون الحديث النبوي في كتبها الستة المعتمدة تمثل زاداً نصيا و مدونة كلامية ضخمة يمكن تحليلها تحليلا بنيويا و دراستها دراسة علمية وفق المنهج الألسني البنيوي أو التطبيقي .

و البحوث اللغوية لا تعنى كثيرا بتوثيق النص مادام مدونا في المصادر و إنما ذلك بالنسبة للحديث النبوي شأن علماء الشريعة و الفقه لأجل أن لا تبنى الأحكام إلا على النصوص القطعية الثبوت و إذا سعينا نحن إلى تحليل خصائص الخطاب في البيان النبوي وفق مناهج البحث اللغوي لم يكن التحقق من قطعية ثبوت النص في نسبته إلى رسول الله عليه الصلاة و السلام أمرا لازما ، لأن النص بالنسبة إلينا ثابت مدون مهما كانت درجته من الصحة ، لأن الذي يهم اللغوي هو التثبت من مصادر النص لا درجة النص من الصحة .
و مع ذلك آثرنا دراسة عينة محصورة من الحديث النبوي محددة عدداً و لفظاً اتفق الرواة جميعا على أنها قطعية الورود عن الرسول عليه الصلاة و السلام بألفاظها و هو ما يسمى المتواتر لفظا أو المتفق عليه القولي و هو أعلى درجات الحديث الصحيح . و هذا يحقق لنا التسهيلات العلمية التالية :

1- حصر المدونة التي نعمل على تحليلها في الحديث المتواتر لفظا فيما اتفق عليه الرواة الستة من الحديث المروي بقول الرسول عليه الصلاة و السلام .
2- إن التواتر اللفظي لهذه المدونة المحصورة يفضي إلى نتيجة علمية نريد الوصول إليها و هي التوصل من خلال لسانيات النص إلى لسانيات الشخص أو من الخطاب إلى المرسل و هذا مهم جداً.
3- إن التواتر اللفظي يمنحنا اليقين في النتائج العلمية التي نصل إليها بعد التحليل و أثناءه و هو مطلوب .

لماذا المنهج الوصفي الوظيفي ؟

لقد اعتمدت في هذا التحليل البنيوي المنهج الوصفي الوظيفي لأنه قد شاع التعامل مع لغة الحديث النبوي الشريف تعاملا جافا باردا يقتل فيه إشراقة البيان و يلغي سر الفصاحة بإعراب بعضه و تحيل بعضه تحليلا بلاغيا . مما يجعل مثل هذه الدراسات بعيدة عن مقاربة الخصائص اللغوية عند النبي عليه الصلاة و السلام لأن

تأمل الوحدات اللغوية و هي جامدة ليس كالتعامل معها و هي تتحرك من اللسان إلى الأذن أو الآذان فالنفس فالعقل و تؤدي وظائفها البيانية و أدوارها التواصلية . إن المنهج الوصفي الوظيفي أنسب المناهج في التعامل مع النصوص الحية و اللغات الحية التي تمارس الدور الخطابي التداولي الفعال سواء في البناء أو في الأسلوب و هذا المنهج الذي أحدث نقلة نوعية في اللسانيات الحديثة في الشرق و الغرب هو نفسه الذي دعا إليه الجرجاني من خلال نظرية النظم و من بعده الزمخشري في أساس البلاغة و هو عدم فصل النحو عن البلاغة ، فالنحو له وظيفة بلاغية و بيانية و البلاغة تقوم على أساس نحوي و من هنا كان فصلها و عزلها عن بعضها البعض مصيبة اغتالت البيان العربي لقرون عديدة و أحقاب مديدة ، و كان كذلك بمثابة فصل الروح عن الجسد ، و أنتج هذا نحاة لا تعنيهم البلاغة و بلاغيين لا يعنيهم النحو . و اليوم هناك محاولات جادة لإنعاش الدراسات اللغوية لقضايا اللسان العربي وفق هذا المنهج الذي يهدف إلى استثمار القواعد النحوية و البلاغية وظيفيا من خلال التعليم أو التحليل و عليه أضم صوتي إلى القائل : << ...**و على هذا النحو يكون برأينا اللسان العربي بنية و وظيفة وعليه فالبنيوية الوظيفية في قراءتي هي منهج في الدراسة اللغوية وصفي و وظيفي ، هو منهج وصفي لأنه يصف البنية اللغوية ،و هو منهج وظيفي في الوقت نفسه لأنه يبين الوظيفة التي تؤديها البنية اللغوية ، إن المنهج الوصفي الوظيفي في الدراسة اللغوية الذي أتبناه ... و أدعو إليه ينطلق من أسس المنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية المحدد في ضوء اللسانيات الحديثة** >> [1]

بناء على هذا المنهج العملي الهادف فإن الدرس اللغوي المعتمد عليه يصب في اتجاهين اثنين ، الأول يتناول اللغة كظاهرة اجتماعية لها كيانها و خصائصها و يستشف من خلال وحداتها الصوتية و الإفرادية و التركيبية و الدلالية مدى

(1) د.عمار ساسي، اللسان العربي و قضايا العصر،دار المعارف ، بوفاريك، الجزائر ،ط1 ، 2001 ،ص 31.

الإمكانيات التعبيرية التي تمنحها لمتكلميها و الأفق الذي يمكن أن توصلهم إليه على مستوى الإبداع و الخطاب ، و ذلك من خلال دراسة قاموسية و قواعدية بحتة و الاتجاه الثاني يتناول اللغة في إطار الحالات الفردية الخاصة من خلال استخدام تلك اللغة من قبل فرد أو مجموعة من الناطقين بها أو من خلال معجزة لغوية كالقرآن الكريم أو سلوك لغوي عال كالحديث النبوي الشريف ، و هما متكاملان و يعتبر الاتجاه الثاني كالبرهان العملي للاتجاه الأول و قد عبر عنهما دو سوسير بمصطلح LANGUE و LANGAGE .

و يمكننا إسقاط هذا المنهج على اللغة النبوية من الزاوية البنيوية من بلورة فكرة واضحة عن خصائص هذه اللغة التي خاطبت العالم و حملت إليه رسالة السماء و كيف وظف النبي اللسان العربي و محاولة إبراز سنة نبوية في الخطاب العلمي .

الفصل التمهيدي : في البيان النبوي .

المبحث الأول : تعريف الحديث لغة و علاقته بالكلام .

المبحث الثاني : الحديث النبوي.

المبحث الثالث : الحديث النبوي بين التداول و التدوين.

المبحث الرابع : قواعد النقد لمتن الحديث.

المبحث الخامس : الحديث النبوي المتواتر .

المبحث السادس : البيان .

المبحث السابع : البناء اللغوي .

المبحث الأول : تعريف الحديث لغة و علاقته بالكلام

كثير من الناس لا يفرق بين الحديث و الكلام و يظنهما من المترادف أو من المشترك المعنوي ، و لكن عند التمحيص و أدنى نظر يتبين لنا الفرق بينهما فإننا نصف القرآن الكريم بأنه كلام الله تعالى و لا نستطيع التعبير عنه بأنه حديث الله تعالى و أن كنا نستطيع أن نقول عن الحديث النبوي بأنه كلام النبي فبين اللفظين تداخل في المعنى و مفارقة .

يقول قدامة بن جعفر : "" **و أما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطباتهم ، و مناقلاتهم و له وجوه كثيرة ، منها : الجد و الهزل و السخيف و الجزل ، و الحسن و القبيح . و الملحون و الفصيح و الخطأ و الصواب و الصدق و الكذب ، و النافع و الضار ، و الحق و الباطل ، و الناقص و التام و المردود و المقبول ، و المهم و الفضول و البليغ و العيي** "" [1] .

و يتبين من هذا القول أن الحديث هو كلام أو نشاط لساني يقع بين أكثر من طرف من الناس مهما كانت قيمته و كان موضوعه من أجل التواصل و التعبير المتبادل ، عن مكنونات الضمائر و خبايا السرائر و خفايا الأخبار و المشاعر . و هكذا يتبين لنا أن الحديث أعم من الكلام إذ كل حديث كلام و ليس كل كلام حديثا فإن عيسى عليه الصلاة و السلام قد كلم الناس في المهد و لم يحدثهم و إن الله تعالى كلم عباده و خاصة الأنبياء منهم و لم يحدثهم و الهدهد كلم سليمان و لم يحدثه . هكذا من أدنى نظر ندرك الفرق بين اللفظين ، إذ يعتبر الكلام نشاطا لغويا فرديا أما الحديث فهو نشاط لغوي يجمع بين أكثر من فرد يتجاذبون أطراف الكلام بينهم فيسمى ...حديثا و يشترط فيه التواصل و التقارب فتقول مكالمة هاتفية و لا تقول محادثة هاتفية لانعدام التقارب رغم وجود التواصل

---

(1) قدامة بن جعفر نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1982 ، ص 137 .

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

و من هنا نقول كلام الملك فيكون للعامة أما حديث الملك فيكون للخاصة و المقربين ، لأن إتاحة فرصة المشاركة في الكلام للتقارب بين المتكلم و السامع تجعل منه حديثا و يتجلى بهذا العلة في كوننا لا نستطيع أن نقول عن كلام الله تعالى أنه حديث لانعدام التقارب و انتفاء فرصة المشاركة فيه وتقع تبعة الحديث أو الكلام على الفرد فنقول هذا الكلام رديء إذا نسبناه إلى الفرد و نقول هذا حديث رديء إذا نسبناه إلى الجماعة المشتركة فيه و قد قال الله تعالى : **و قد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم إن الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنم جميعا** " [1]

فالحديث إذن أعم من الكلام و هو اشتراك السامع أو إشراكه فيه أما الكلام فهو الاختصاص بالقول ، و يفهم هذا المعنى كذلك من قوله تعالى : ... **و إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و إن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** " [2].

فالحديث في هذه الآية يقصد به كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي يوجههم به إلى التأويل الصحيح للأحداث و التحليل الدقيق للوقائع و لكنهم لا يفقهون كلام رسول الله لأنهم يحادثون رسول الله صلى الله عليه و سلم و لكنهم يكذبونه و يتهمونه فمجاذبة أطراف الكلام موجودة و هذا هو الحديث كنشاط لساني إنساني اجتماعي رغم تناقض الأطراف المشتركة فيه في المعاني و المقاصد ، هذا من المعاندين ، أما من المساندين و المعجبين بكلام النبي فقد كان البعض يفرط في مجاذبة الرسول أطراف الكلام حتى تزول رغبة الرسول في الحديث و لكنه يستحيي من مقاطعة محدثيه أو مفارقتهم رغم اشتغاله و انصراف قلبه

---

(1) سورة النساء ، الآية 140 .
(2) سورة النساء ، الآية 78 .

عن الحديث و هذا من أدبه عليه الصلاة و السلام مع الناس ، و قد نبه الله تعالى هؤلاء المؤمنين إلى أنهم يؤذون النبي و يشغلونه عن أهله و هم لا يشعرون فأمرهم بعدم إطالة السمر في بيت الرسول عليه الصلاة و السلام قال تعالى : "" **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناهُ و لكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستانسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق ، و إذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن ، و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما (53) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما** "" [1]

و هناك لطيفة لا ينبغي أن يفوت التنبيه إليها عند قوله تعالى : "" **و إذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن** "" فالحجاب يمنع الكلام بين الرجال و النساء أن يتحول إلى حديث يحمل المحبة أو العداوة أو شيئا آخر مما يقذفه الشيطان في القلوب فالحجاب يمنع التقارب و بذلك يبقى الكلام مجرد كلام

كما ينبغي أن نشير أيضا إلى حديث النفس ، فقد يحدث المرء نفسه و يكلمها لوجود التقارب ، و قد يسجن الإنسان الكلام في صدره أو فكره ليحدث الناس به قال الشاعر

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا .

---

(1) سورة الأحزاب ، الآيتان 53 و 54 .

و ذكر ابن جني الحديث عرضا من خلال بسط القول في الكـــلام و عـــده منـــه و لكنه ذكر بعض الشواهد الشعرية التي يستدل بها على الكـــلام فيـــها لفـــظ الحديـــث منها قول الشاعر الذي شهر به البلاغيـــون:

و لما قضينا من منى كل حاجة *** و مسح بالأركان مـــن هـــو ماســـح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا *** و سالت بأعنـــاق المطـــي الأباطـــــح

و قول الآخـــر :

و حديثها كالغيث يسمعـــــــه راعي سنين تتـــــابعت جدبـــا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا و يقول من فرح هيـــــا ربـــــــا

و قول الثـــالث :

و حديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتـــل المســـلم المتحـــرز
إن طال لم يملل و إن هي أوجزت ود المحـــدث أنـــــها لم توجـــز

و عند الاستعمال كذلك يتسنى لنا إدراك الفـــرق بـــين الحديـــث و الكـــلام فالحديث فيه الخميمية و الاجتماع كما أشرنا إلى ذلـــك ســـابقا و دو سوســـير يفـــرق بين مصطلحات ثلاثة هي : اللغة langue و الكـــلام parole و اللغـــة أثنـــاء الحديـــث langage ، فالحديث هـــو اللغـــة المستعملـــة ؛ و تدخـــل فيـــها اللـــهجات المؤثـــرة أو المتأثرة بنظام اللغة العـــام.

و أظن أننا بعد هذا التفصيل في تحديد معـــنى الحديـــث و الكـــلام نـــدرك لمـــاذا تقول : كلام الله و حديث الرسول ، لأن كلام الله فردي من الله تعـــالى أمـــا الحديـــث فـــهو ظـــاهرة اجتماعيـــة لـــه أســـبابه الطبيعيـــة و الاجتماعيـــة إذ يتطلـــب محدثـــا و محدثين و مقاما يجمع بين الطرفـــين

المبحث الثاني : الحديث النبـــوي

1- الحديث النبـــوي :

ذكرت فيما سبق أن كلمة الحديث لغة يـــراد بهـــا كـــل كـــلام يتحـــدث بـــه الناس و يختلف باختلاف الألسنة و المقامات و الأغراض ،و هنـــاك معـــنى لغـــوي آخـــر لكلمة الحديث و هو الجديد عكس القديم في مثل قولنـــا : العصـــر الحديـــث ، و هـــذان المعنيان اللغويان قد يكون لهما أثر في المعنى الاصطلاحـــي للكلمـــة .

و يقصد بـــالحديث في المعـــنى الاصطلاحـــي كـــل مـــا أضيـــف إلى الرســـول صلى الله عليه و سلم و ما نسب إليه من قول أو فعل أو تقريـــر أو صفـــة مـــن شمائلـــه الكريمـة .

و يبدو التوسع جليا للعيـــان في هـــذا التعريـــف ، إذ أن الحديـــث النبـــوي لا يتعلـــق بالنشاط اللساني للنبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام و لا يرتبـــط كلـــه بـــالكلام النبـــوي إذ ينسحب أيضا على عمله و تقريـــره و صفتـــه و ســـكوته ، و كـــل ذلـــك يســـمى حديثا نبويا . لا لأن النبي تحدث به كلـــه بـــل لأن النـــاس يتحدثـــون بـــه و ينشـــرونه و يذيعونه في الناس لأن النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام كـــان يرغـــب في الروايـــة عنه و مما قاله في هذا الصدد : "" نضر الله امرأ سمـــع مقـــالتي فوعاهـــا ثم بلغـــها كمـــا سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع "" [1] و كان الناس يتداولـــون أخبـــار النـــبي و أقوالـــه و أثارها و يتذاكرونها و يستعرضونها في حياتهم اليوميـــة ، و لعـــل هـــذا هـــو الســـبب المباشر في تسمية الآثار النبوية غير اللســـانية بـــالحديث النبـــوي لأنهـــا أثـــارت نشـــاطا لسانيا في المجتمع بتناقل الناس كلام معلمهم و مربيهم و مرشدهم و ليـــس كـــل كـــلام عن النبي يدخل في الحديث النبوي ، إذ يشـــترط في الحديـــث النبـــوي أن يكـــون أثـــرا صحيحا صادرا عن الرسول صلى الله عليـــه و ســـلم

---

(1) انظر : سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، د.ت ، ج2 ، ص 126 .

و يرى بعضهم أن إطلاق لفظ الحديث على الآثار النبويـــة إنمـــا هـــو في مقابلـــة القديم ، فكلام الله قديم و كلام النبي حديث أي حـــــادث و في هـــذا التـــأويل تكلـــف لا مبرر لـــه .

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

2- الحديث و السنة و السيرة :

قد يغلو بعضهم ويسحب لفظ السنة على الحديث ، و الحقيقة أن السنة دليلها الحديث ، و بعض الأحاديث ليس فيها سنة كأحاديث الجنة و النار أو حديث الشفاعة أو أحاديث صفاته الخلقية (بكسر الخاء) أو إطراء الصحابة مما ليس فيه مجال للعمل و الاقتداء و الاستنان ، و على هذا يكون الحديث أوسع من السنة و هو دليلها إن كانت و قد لا يدل عليها ، و الأمر كذلك بالنسبة للسيرة النبوية فإنها لا تعتبر كلها من الحديث النبوي – و إن كان بعضه موجودا فيها – لأن هناك أطرافا خارجية كثيرة تشكل السيرة حتى المعادية منها للنبي صلى الله عليه و سلم و المانع من ذلك أن الشرط الصارم في الحديث النبوي أن يكون صحيحا و متعلقا بما يصدر عن النبي صلى الله عليه و سلم وحده .

3- علم الحديث :

هو علم يقوم على أصول ترمي إلى ضبط رواية الحديث النبوي و تصحيحه أو تضعيفه لعلة قادحة في الرواية أو المروي و له مصطلحات مبتكرة و قواعد متميزة في الجرح و التعديل و التلقي مما يدل على حرص علماء المسلمين على الذب عن سنة النبي التي دليلها الحديث ، و يسمى هذا العلم بعلم الحديث أو علم مصطلح الحديث ، و ينقسم إلى قسمين قسم يهتم بالإسناد و يسمى علم الحديث **دِرَايةً** و يقوم على تعديل الرواة أو جرحهم و كون الحديث موصولا إلى النبي صلى الله عليه و سلم أو مقطوعا أما القسم الثاني فهو علم الحديث **رِوَايةً** و يتعلق بالمتن أو نص الحديث و بناء على هذا العلم الجليل صنفت الكتب الستة المعتمدة في الحديث النبوي و أهمها صحيح البخاري و صحيح مسلم .

المبحث الثالث : الحديث النبوي بين التـــداول و التدويـــن :

1- شغف العرب بالرواية و النقـــل :

اشتهر العرب منذ فجر وجودهم بالتفوق اللغوي و التـــذوق الفـــني ، و كـــأنهم قد ولدوا شعراء و ساعدتهم الطبيعة و الفـــراغ علـــى ذلـــك و يكـــاد النقـــاد يجمعـــون على أن الشعر أسبق في الوجود من النـــثر و الشـــعر الجـــاهلي أعـــرق شـــعر العـــرب في عمومه متين البناء مكتمل النظم لم تعـــرف لـــه طفولـــة و لا بدايـــة تـــدرج منـــها إلى ما هو عليه من النضج و الاكتمال ، و لا يعرفون من علمـــــهم العـــروض و القـــوافي غير القرائح و السلائق و شـــياطين الشـــعر الـــتي تنفـــخ في روع الشـــعراء و لا يبعـــد أحدهم حين يعبر عن استعصاء الشعر عليه إلا أن شيطان الشـــعر غـــاضب عليـــه.
أن يقول

و كان للشاعر في القبيلة مكانة تفوق مكانة الخطيـــب و الفـــارس يتلقفـــون مـــا يقول و يتناقلونه و يضربون به في الآفاق و أحيانا يكون لكل شاعر راويـــة خـــاص بـــه كأنه سجل أو ديوان شعري بشري يردد على الناس مـــا جـــادت بـــه قريحـــة شـــاعره و أحيانا أخرى يكون للشاعر أكـــثر مـــن راويـــة . و اشـــتهر العـــرب أيضـــا بروايـــة الأنساب و الأخبار ، و كانوا متفـــاوتين بـــلا شـــك في درجـــة الروايـــة و تخصصـــها و لكن ظاهرة الاعتماد على الحفظ و الروايـــة كـــانت سمـــة العـــرب قبـــل الإســـلام و السبب في ذلك أنهم كانوا أمة أميـــة لا تقـــرأ و لا تكتـــب علـــى العمـــوم الغـــالب و ليس لهم ما يملؤون به حياتهم و مسامراتهم غـــير المشـــافهة و المحادثـــة ، و هـــذا كلـــه ربى فيهم ملكة الحفظ فتناشدوا الأشعار و تناقلوا الأخبـــار ، و كـــان طرفـــا الخطـــاب القائل و السامع فالقائل لابد أن يكون محصيا لمـــا يقـــول و الســـامع لابـــد أن يكـــون نوعيا يختار و يشترط لسمعه الدقة و الجودة و كان الرســـول صلـــى الله عليـــه و ســـلم قد علق في قلبه خطبة قس بن ساعدة الأيادي عندما سمعها منـــه في ســـوق عكـــاظ .

2- تلاوة القرآن الكـــريم :

قوى القرآن الكريم عامل الرواية و الحفظ و تســـامع الأخبـار و تناقلـها عنـد العرب و فعله تفعيلا جديدا يتماشى و مقتضيـات الديـن الجديـد في تغيـير الأفكـار و السلوك و إعادة تشكيل النظام الاجتمـاعي و السياسـي . فقـد نشـطت الروايـة و حميت تلاوة القرآن و تنقل الناس من إنشـاد الأشـعار إلى تـلاوة القـرآن الكـريم و قراءته على الوجه الذي سمعوه من الرسول عليـه الصـلاة و السـلام . و زاد اهتمـام الناس بالقرآن الكريم نزوله منجما مفرقا بحسـب المناسـبات و الأحـداث مجيبـا عمـا يشغل بالهم و يثير اهتمامهم و قد بهرهم بيانه و تحـدى المشـركين في أن يـأتوا بشـيء من مثله فعجـزوا .

و تواترت تلاوة القرآن الكريم آناء الليـل و أطـراف النـهار و تناسـى النـاس الشعر و الشعراء إلى حين ، لأن إنشاد الشـعر و روايتـه كـان خاصـا بالنخبـة مـن الناس و أصحاب الفراغ و الميل ، لكن تلاوة القرآن الكـريم أصبحـت نشـاطا لسـانيا عاما يتسع تواتره مع الزمن ، فتزلزلت مكانة الشعر و قيمتـه الروائيـة لاشـتغال النـاس بهذا النشاط اللساني الجديد الذي يحرك مشاعرهم و عقولهـم و حيـاتهم ، فـهو ليـس لأهل الفراغ و لا للنخبة و إنما هو رسـالة رب العـالمين إلى النـاس أجمعـين ، و هـم مأمورون بقراءته و ملزمون بالاسـتماع إلى تلاوتـه و تدبـر آياتـه و العمـل بهديـه و تشريعه . و توافد الناس على الإسلام من العرب و غـيرهم فانتشـر تعليـم و تحفيـظ القرآن الكريم و كان للنبي عليه الصـلاة و السـلام قـراء و هـم الحـافظون المتقنـون يبعثهم إلى القرى و الأمصار لتعليم الناس قراءة القـرآن الكـريم .

3- تداول الحديث النبوي الشـــريف :

مجالس النبي عليه الصلاة و الســـلام كـــانت تتســـم بالجاذبيـــة فتـــهوي إليـــها القلوب و تهواها النفوس ، فينجـــذب النـــاس إلى حضرتـــه عليـــه الصـــلاة و الســـلام ليسمعوا منه القرآن و مثله معه ، و لما رأى حرصهم على حفـــظ كلامـــه نهـــاهم عـــن كتابته حذر اختلاطها بكتابـــة القـــرآن الكـــريم ، و لكنـــهم تشـــربوا كلامـــه المبـــين و حفظوه و تناقلوه ،و قد اتخذ تداول الحديث النبوي منذ عـــهد النـــبي عليـــه الصـــلاة و السلام طريقين اثنين ، الطريـــق الأول هـــو الطريـــق الرسمـــي حيـــث كـــان يؤخـــذ الحديث و يستوثق من صحته من مصادر خاصة متمثلـــة في الصحابـــة المقربـــين الذيـــن عايشوا الرسول عليه الصلاة و السلام عن قرب ، و الطريق الثـــاني هـــو التـــداول العـــام غير الرسمي و هو تداول اجتماعي ربما وقـــع فيـــه الوضـــع و الغلـــط فيصحـــح وفقـــا للرواية الخاصة أو يضعف بعضه و يـــترك .

و لما جاء عصر التدوين لضرورة اقتضتها كثرة الوضـــع كـــان التـــداول الرسمـــي هو المصدر الوحيد ، فلم يؤخذ حديث واحد من العـــوام ،و إنمـــا أخـــذ الحديـــث مـــن طلبته الرسميين المشتغلين به بعد تعليمهم و تتبـــع طريـــق ورود الحديـــث و هـــو الســـند حيث عرفوا الحديث الصحيح بأنه : " **ما اتصل سنده برواية الثقـــة عـــن الثقـــة مـــن أوله إلى منتهاه من غير شذوذ و لا علـــة** " [1] و اشـــترط البخـــاري في اتصـــال الســـند المعاصرة و الملاقاة و لذلك كان جامعه الصحيح اصح دواويـــن الســـنة النبويـــة .

فرغم حب المؤمنين لنبيهم عليه الصـــلاة و الســـلام و حفظـــهم لســـنته قـــولا و فعلا لم تقبل رواية من ليس من أهل الحديث و طلبته الرسميـــين المتخرجـــين المشـــهود لهم بالعدالة و الضبط و قد وضعوا ألقابا لأهل الحديث و طلبتـــه هـــي أشـــبه بالألقـــاب العلمية الرسمية عندنا في التدرج و هـــي كالتـــالي :

---

(1) د . محمد عجاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية 1989 ، ص 272 .

	اللقب العلمي	الاستحقاق
1	أمير المؤمنين في الحديث	يطلق هذا اللقب على من اشتهر في عصره بالحفظ و الدرايـــة و هم الذين شهد لهم كبار الأئمة بالإمامة و التقدم و الرسوخ في هذا العلم ،و قد حاز هذا اللقب : * عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان المدني (أبـــو الزنـــاد) (ت 131 هـــ) . * شعبة بن الحجاج . * سفيان الثوري * الإمام مالك بن أنس ، * الإمام البخاري . * و غيرهم .
2	الحاكم	هو من أحاط بجميع الأحاديث المروية متنا و إسنادا و جرحـــا و تعديلا و تاريخا و قد لقب بهذا اللقب أعلام كثيرون .
3	الحافظ	هو من اجتمعت فيه صفات المحدث و زاد إليها كثرة الحفـــظ و جمع الطرق ، و حفظ مائة ألف حديث متنا و إسنادا . فإذا حفظ ثلاثمائة ألف حديث مسندة فهو حافظ حجة
4	المحدث	هو من مهر في الحديث رواية و دراية ، بحيث يصلح لتدريســه و إفادته
5	المسند	هو من يروي الحديث بإسناده سواء كان عنده علم بـــه أو لم يكن .
6	طالب الحديث	هو من شرع في طلب الحديث .

(1) انظر المصدر السابق ، ص 395 .

المبحث الرابع : قواعد النقد لمتن الحديث :

قسم علماء الحديث ، الخبر الوارد عن النبي صلى الله عليه و سلم إلى قسمين اثنين هما السند و المتن ، و وضعوا قيودا شديدة و شروطا صارمة في قبول الخبر أو رده . بعضها يتعلق بالسند و يقصد به الرواية ، و خصصوا لذلك علوما مختلفة كعلم الرجال و علم الجرح و التعديل و قد يضعف حديث أو أحاديث لمجرد عدم الخضوع لبعض تلك الشروط المتعلقة بالسند و لو كانت صحيحة النسبة إلى النبي عليه الصلاة و السلام ، لأنهم لم تكن همهم النصوص و لاكثرها بقدر ما كانت همهم الثقة و الاطمئنان إليها لأن الأمر متعلق بالدين .

و من هنا أقول أنه ليس من الغريب أن يضعف أحد الحديث و يصححه آخر ، فكم وقع هذا بين العلماء ، و كمية المتفق عليه قليلة جدا إذا ما قيست بكمية المختلف فيه يصححه فلان و يحسنه آخر و يضعفه فلان ، و مدار ذلك على السند فقط .

أما القواعد العلمية التي وضعوها لنقد المتن و هو نص الحديث أو الخطاب النبوي فلم يقع عند إعمالها اختلاف في متون الأحاديث و إن كان الحديث الواحد قد يروى بألفاظ مختلفة فإن ذلك يعود لاختلاف طرق الرواية و لتجويز الرواية بالمعنى و التساهل في بعض ألفاظ الحديث بخلاف ألفاظ القرآن الكريم ، و لغلبة الظن بنسبة تلك الألفاظ إلى النبي عليه الصلاة و السلام لتقاربها و صعوبة الترجيح بينها .

و إن المقاييس التي وضعها العلماء لنقد متن الحديث الشريف و التي ينبغي أن تتوفر كلها في الصحيح هي مقاييس لغوية مستمدة من خصائص العربية و مقاصد الدين و عصمة النبي عليه الصلاة و السلام و ما اشتهر به من البيان و البلاغة .

و قد عقد الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السنة و مكانتها في التشريع فصلا يحلل فيه قواعد نقد الحديث سندا و متنا بشكل يوضح قيمة الحديث في مجال الدين التي تشترط لها قيام كل القيم الأخرى البنائية و البيانية .

و أهم القواعد التي وضعوها لنقد النص أو المتن في الحديث هي :

1- أن لا يكون ركيك اللفظ بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح .
2- أن لا يكون مخالفا لبديهيات العقول بحيث لا يمكن تأويله .
3- أن لا يخالف القواعد العامة في الحكم و الأخلاق .
4- أن لا يكون مخالفا للحس و المشاهدة .
5- أن لا يخالف البديهي في الطب و الحكمة .
6- أن لا يكون داعيا إلى رذيلة تتبرأ منها الشرائع .
7- أن لا يخالف المعقول في اصول العقيدة من صفات الله و رسله .
8- أن لا يكون مخالفا لسنة الله في الكون و الإنسان .
9- أن لا يشتمل على سخافات يصان منها العقلاء .
10- أن لا يخالف القرآن أو محكم السنة أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة ، بحيث لا يحتمل التأويل .
11- أن لا يكون مخالفا للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبي صلى الله عليه و سلم .
12- أن لا يوافق مذهب الراوي الداعية إلى مذهبه .
13- أن لا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته .
14- أن لا يكون ناشئا عن باعث نفسي حمل الراوي على روايته .
15- أن لا يشتمل على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير ، و المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير " أهـ [1] .

---

(1) مصطفى السباعي : السنة و مكانتها في التشريع ، دار العروبة ، القاهرة ، 1961 ، ص 269 .

المبحث الخامس : الحديث النبوي المتواتر :

إن النصوص الصحيحة الثابتة الورود قطعا عن النبي صلى الله عليه و سلم تنقسم باعتبار عدد رواتها إلى متواترة و آحاد .

و التواتر في الاستعمال اللغوي يعني الانتقال و الذيوع بدون انقطاع . و قد ثبت وصف التواتر للقرآن الكريم لأن الأجيال ترويه و تتلوه و تتلقاه و تنقله جيلا جيلا. و درجة تواتر القرآن الكريم مستفيضة و منتشرة و متزايدة بشكل قوي يعتبر أحد وجوه إعجازه و خلوده .

أما التواتر في الحديث بهذا المعنى فهو قليل و نادر و بعضهم ينفي وجوده و هاهي آراء بعض علماء الحديث في هذا الشأن :

أ- يرى ابن الصلاح أن التواتر لا يوجد في الحديث النبوي إلا ادعاء و توسعا إذ يقول : "" إن مثال التواتر على التفسير الأول المتقدم يعز وجوده إلا أن يدعى ذلك في حديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "" .

ب- وقد رد عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري بقوله : "" و ما ادعاه -يعني ابن الصلاح – من العزة ممنوع ، و كذا ما ادعاه غيره من العدم به ، لأن ذلك نشأ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق و أحوال الرجال و صفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتوطؤوا على الكذب أو أن يحصل منهم اتفاقا ، و من أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الحديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا و غربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها إذا اجتمعت

---

(1) مقدمة ابن الصلاح ، ص 226-227 .

على إخراج حديث و تعددت طرقه تعـــددا تحيـــل العـــادة تواطؤهـــم علـــى الكـــذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيـــني إلى قائلـــه و مثـــل ذلـــك في الكتـــب المشـــهورة كثـــير "" [1] .

و يبدو هناك شيء من النـــزاع و التناقض بـــين فريقـــين أحدهمـــا يـــرى نـــدرة أو عدم وجود المتواتر في الحديث النبوي كابن الصـــلاح و مـــن يـــرى كثرتـــه كـــابن حجر ، و لكن عند التحقيـــق يـــزول الإشـــكال و يســـهل التفريـــق . إذ أن المحـــزوم بكثرته هو المتواتر المعنوي و القليل النـــادر هـــو المتواتـــر اللفظـــي ، و الكتـــب المؤلفـــة في المتواتر تجمع المتواترين اللفظي و المعنوي و لذلك كـــثر ، و خاصـــة عنـــد الســـيوطي الذي ألف كتابا سماه الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواتـــرة "" و لخصـــه في كتـــاب ســـماه قطف الأزهـــار " .

و مهما يكن من خلاف فالنصوص النبوية وفيرة و المتواتـــر فيـــها موجـــود بـــلا شك و ينقسم إلى قســـمين :

- الأول : المتواتر اللفظي : و هـــو مـــا رواه جمـــع كثـــير تحيـــل العـــادة تواطؤهـــم على الكذب ، و اتفقوا على لفظـــه .
- الثاني : المتواتر المعنوي : و هو ما روي بطـــرق متعـــددة بألفـــاظ مختلفـــة و كلـــها تفيد معنى واحـــدا .

و الذي يعنينا في هذا البحث اللغـــوي المتواتـــر اللفظـــي للوصـــول إلى معرفـــة الخصائص البنائية و البيانية في الخطاب النبـــوي .

---

(1) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، ج1 ، ص 165 .

و الحديث المتواتر هو حديث صحيح قطعاً و جزماً ، و يعبر عنه في الغالب بالمتفق عليه ، و أعلى درجات الصحيح عند المتقدمين هو ما اتفق عليه البخاري و مسلم في صحيحيهما و يعلق عليه في المصطلح بعبارة " رواه الشيخان " و يرى بعض العلماء أنه ينبغي أن يجعل في الدرجة الأولى الصحيح الذي اتفق عليه أصحاب الكتب الستة و هو رأي سديد و كلام وجيه .[1]

و الكتب التي دونت الحديث كثيرة لكن أجمع العلماء أهل الاختصاص على اعتماد ستة منها على الترتيب التالي :

1- صحيح البخاري .
2- صحيح مسلم .
3- سنن النسائي .
4- سنن الترمذي .
5- سنن أبي داود .
6- سنن ابن ماجة .

و يضيف إليها بعضهم ديوانا سابعا و هو موطأ الإمام مالك و بعضهم يضع بدله مسند الإمام أحمد .

و لا شك أن ما تواتر إسناده و اتصلت روايته إلى النبي صلى الله عليه و سلم الجم الغفير عن الجم الغفير قد تواترت روايته عند المدونين ،و أصح الكتب المدونة في الحديث النبوي صحيحا البخاري و مسلم ، فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع بالقطع , انهما متواتران إلى مصنفيهما و أن كل من يهون أمرهما فهو متبع غير سبيل المؤمنين "" [2] .

---

(1) انظر : ابو شهبة ، الوسيط ، في علوم و مصطلح الحديث ، عالم المعرفة ، جدة ،ط1 ، عام 1983 ص 332 .

(2) د.طالب عبد الرحمن ، مصابيح السنن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 9 .

و إذا كان ما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم من المسند المتصل يعتبر متواترا و هو أعلى درجات الصحيح ، فمما يؤكد و يقوي هذه الصحة هو اتفاق المحدثين جميعا و خاصة أصحاب الكتب الستة أو السبعة ، فيعتبر ذلك بمثابة إجماع للمحدثين و لا يكون ذلك منهم إلا للحديث المتواتر و بذلك يمكننا الجزم أن المتفق عليه صحيح قطعا و متواتر جزما إذا كان من هذا النوع المتفق عليه عند أصحاب الكتب الستة أو السبعة .

و قد قام الدكتور طالب عبد الرحمن بمجهود علمي عظيم الثمرة يوفر الوقت للباحثين و يكفيهم مؤونة التنقيب في محيطات الحديث السبعة إذ جمع ما اتفقوا عليه في مدونة بلغت 227 حديثا و لو قام بهذا المجهود العلمي باحث في غير بلادنا لسارت بذكره الآفاق و توافدت إليه الأرزاق ، و اشرأبت نحوه الأعناق لكن المجهودات العلمية عندنا غالبا ما تكون في الظلام و الجحود .

و كان منهجه جمع الأحاديث الصحيحة المتفق عليها في الكتب السبعة و هي أصح الصحيح لأنها تجمع كل شروط التصحيح و حظيت بالإجماع و الاتفاق و تلقتها الأمة بالقبول ، و يجتمع فيها النوعان من التواتر أعني بهما المتواتر اللفظي ، و كذلك المتواتر المعنوي الذي ليس من لفظ النبي صلى الله عليه و سلم و إنما هو من عمله أو تقريره و هذا النوع الثاني لا يعنينا في هذه الدراسة التي نركز فيها على لفظ النبي صلى الله عليه و سلم و خصائص البناء اللغوي النبوي ،و لتحقيق هذا الغرض انتقيت من هذه المدونة كل الأحاديث القولية المتفق عليها . و خرجتها برواية البخاري من جامعه الصحيح الذي يعتبر أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

المبحث السادس : البيـــان

البيان بمعنى الوضوح و الكشف و الظهور و تقـــول العـــرب لقـــد بـــان الصبـــح لذي عينين ، و كانت هذه اللفظة يعبر بهـــا بصفـــة عامـــة عـــن البلاغـــة و الاقتـــدار في الكلام ، قبل أن تصبح علما على علم مخصـــوص مـــن علـــوم البلاغـــة يتنـــاول أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة عن طريـــق التشـــبيه و الاســـتعارة و المجـــاز و غيرهـــا مـــن مباحث علم البيان و رغم هذا فمازال البيان مرادفـــا للبلاغـــة .

و البيـــان يـــأتي بمعـــنى الكـــلام قـــال الله تعـــالى: "" **خلـــق الإنســـان علمـــه البيان** "" [1] و هناك معان كثيرة تستفاد من لفظة البيان منـــها البـــلاغ و الحجـــة قـــال الله تعالى : "" **هذا بيان للنـــاس و هـــدى و موعظـــة للمتقيـــن** "" [2] و يســـتخدم لفظ البيان في الرمـــوز و الرســـوم في الرياضيـــات و العلـــوم بعبـــارة الرســـم البيـــاني و المنحنى البياني إلى غير ذلـــك .

و قد اهتم العلماء قديما و حديثا بالبيـــان بمفهومـــه الواســـع و بينـــوا وجوهـــه المختلفة ، يقول قدامة بن جعفـــر : "" **و البيـــان علـــى أربعـــة أوجـــه ، فمنـــه بيـــان الأشياء بذواتها و إن لم تبن بلغاتها و منه البيان الذي يحصل في القلـــب عنـــد إعمـــال الفكرة و اللب و منه البيان الذي هـــو نطـــق باللســـان ، و منـــه البيـــان بالكتـــاب الذي يبلغ من بعد أو غـــاب** "" [3] .

فهذه الوجوه من البيان تبين أن منـــه الحســـي و العقلـــي و اللغـــوي و الكتـــابي فمن لم يفهم بالعبارة يفهم بالإشارة و من كان غائبا يفـــهم بالكتابـــة و هنـــاك بعـــض الأمور تتوضح و تظهر بالتفكير و التـــأمل

---

(3)سورة الرحمن . الايتان 3 و 4 .
(2) سورة آل عمران ، الآية 138 .
(3) قدامة بن جعفر : نقد النثر ، ص 09 .

و كلمة بيان مستخدمة كثيرا في غير مجال البلاغة الاصطلاحي لتدل على ما تعنيه هذه الكلمة في مفهومها اللغوي كالبيانات السياسية و بيان أول نوفمبر العظيم الذي هدفه إظهار حقيقة الثورة الجزائرية و يعرف الشريف الجرجاني البيان بأنه : "" عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع "" [1] و يقسمه إلى خمسة أقسام هي :

1- بيان التبديل : هو النسخ ، و هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر .

2- بيان الضرورة : هو نوع بيان يقع بغير ما وضع له لضرورة ما إذ الموضوع له النطق ، و هذا يقع بالسكوت مثل سكوت المولى عن النهي حين يرى عبده يبيع و يشتري ... فإن الناس يستدلون بسكوته على إذنه .

3- بيان التغيير : هو متغير موجب الكلام ، نحو التعليق و الاستثناء و التخصيص .

4- بيان التفسير : و هو بيان ما فيه خفاء من المشترك أو المشكل أو المجمل أو الخفي كقوله تعالى : "" **و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة** "" [2]. فإن الصلاة مجمل فلحق البيان بالسنة ، و كذا الزكاة مجمل في حق النصاب و المقدار و لحق البيان بالسنة .

5- و هو النطق الفصيح المعرب أي المظهر عما في الضمير و إظهار المعنى و إيضاح ما كان مستورا قبله : و قيل هو الإخراج عن حد الإشكال . أهـ [3]

و مدار البيان كله على أداء المعاني أداء واضحا لدى المتلقي و يكون بالألفاظ و غيرها ، و لكن للألفاظ منه النصيب الأوفى و الحظ الأوفر .

---

(1) الشريف الجرجاني : التعريفات ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 عام 1998 ، ص 36 .
(2) البقرة ، الآية 227 .
(3) المرجع السابق ، ص 36

و كان العرب في سليقتهم يمتازون بحضارة البيان يتنافسون فيه و يشترطونه فيمن يولونه أمرهم أو يفوضون إليه شأنا من شؤونهم و بسطت كتب التاريخ و الأدب أخبارهم في هذا الشأن و لا عجب أن يكون النبي عليه الصلاة و السلام أوضحهم بيانا وأفصحهم لسانا ، ليحظى بقبول المعاندين و المساندين على الأقل في ناحية القبول و التأثير النفسي الذي يصنعه البيان في النفوس بعذوبة النطق و سهولة اللفظ و الإلقاء ، و الخفة على السمع و غيرها من الأركان الأساسية التي لا يستغنى عنها في التبليغ و تأدية المعاني تامة بحيث تكون أقرب إلى القبول و أدعى إلى التأثير .

و العرب لم يكونوا يمارسون البيان تكلفا و لا تعبدا و لم يكونوا يتجونه في أشعارهم و خطبهم تصنعا و طلبا للافتتان و إنما كانوا يفعلون كل ذلك لأمرين اثنين أولهما صفة الصدق التي تطبع شخصياتهم و تصنع اعتدادهم بأنفسهم و ثانيهما الذوق الذي طبعت عليه نفوسهم فكرهوا التكلف و تركوا فضول القول و قصوره و كان هدفهم بيان المعاني التي في ضمائرهم بعبارات بينة و ألفاظ مشرقة ليتفاهموا في محادثاتهم فوفرت لهم جغرافيتهم القصدية رغم اختلاف تضاريسها اللغوية هذا الشرط الذي وفروه لحياتهم فظهر فيهم البيان كنمط من أنماط الثقافة الاجتماعية و كسلوك حضاري طبيعي لا يحصل عليه طالبه اليوم إلا بالتكوين و التدريب و المطالعة و ربما أخطأ سبيله و ضل طريقه .

و البيان هو سر فصاحة العرب و بلاغتهم ،و قد اعتنى به الجاحظ و ذكر نماذجه المختلفة في الشعر و الخطابة و حدد مفهومه قائلا : " **و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، و من أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما**

هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الأفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[1] .

و البيان إذن هو ترجمان العلم و حياته ، و لولاه لبقيت العلوم مستورة غير واضحة ، فتحصل المعرفة بالعلم إذا كان المعلم يعرف طرق البيان التي توصل الفهم و تقربه . و يقول عبد القاهر الجرجاني في بيان قيمة البيان : " **إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا و أبسق فرعا و أحلى جنى ، و أعذب وردا و أكرم نتاجا و أنور سراجا من علم البيان ، الذي لولاهُ لم تر لسانا يحوك الوشي ، و يصوغ الحلي و يلفظ الدر و ينفث السحر و يقري الشهد ، و يريك بدائع من الزهر و يجبيك اليانع الحلو من الثمر . الذي لولا تحفيه بالعلوم و عنايته بها و تصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، و لما أصبحت لها يد الدهر صورة و لاستمر السرار بأهلتها ، و استولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء و محاسن لا يحصرها الاستقصاء** "[2] .

فإذا كانت البلاغة تعتني بجمال اللفظ و المعنى و موافقتهما لمقتضى الحال و ترتبط أكثر ما ترتبط بالآداب و الفنون اللفظية فإن البيان يعتني بالعلوم و المعارف و الأفكار فيؤديها في وضوح الشمس و ضوء النهار ، فهو يكشف عما في العقول و القلوب بالعبارات المؤدية و الإشارات المؤيدة و لهذا ارتبط بالعلوم و المعارف و هو يسعى إلى تفهيمها و تعليمها و تعميمها .

إن البلاغة هي حلية الأدباء ، و البيان هو مصباح العلماء و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام وظيفتهم بيان الوحي تبليغا و توجيها فقد بعثوا بلسان قومهم ليبينوا لهم ما أنزل إليهم .

---

(1) الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق د. درويش بويدي ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، ط2، عام 2000 ن ص 56 .

(2) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، عام 1978 ، ص 4 .

المبحث السابع : البناء اللغـــوي

ما انفكت الدراسات النقدية و البحوث اللغوية تتطور و تســـتفيد ممـــا يســـتجد من نتائج و مناهج ، و كـــان النقـــد و التحليـــل العـــربي القديمـــان يقومـــان تقليديـــا على دراسة المبنى كشكل من أشكال الوصول إلى المعـــنى ، ثم دراســـة المعـــنى .

و قد ظهرت اللسانيات البنيوية الحديثة كفتـــح جديـــد للنقـــد الأدبي و التحليـــل اللغوي وكانت أفكار دو سوير و اصطلاحاته في تحليل بنيـــة الكـــلام باعتبـــاره نظامـــا أو بناء يشتمل على مجموعة من العلامـــات روافـــد جديـــدة غـــذت التحليـــل اللغـــوي و مدت أفقه نحو مجالات جديـــدة .

و لا يمكن القول أن دوسوسير له براءة اخـــتراع البنيويـــة اللغويـــة لأننـــا نجـــد العرب قد التفتوا إلى البنـــاء في اللغـــة و اســـتخدموه كمصطلـــح نحـــوي ، و اعتـــبروه كهيكل ثابت للكلمة في مقابل الإعـــراب الـــذي يعـــبر عـــن التغـــير الـــدال لأواخـــر الكلمات أو التغير الصوتي الوظيفـــي . كمـــا تصـــوروا البنـــاء علـــى أنـــه الـــتركيب و الصياغة و من هنا جاءت تسميتهم للمبني للمعلـــوم و المبـــني للمجـــهول في الأفعـــال و نحن إذن أمام ثلاثة مفاهيم لمصطلح البناء في الاستعمال اللغـــوي العـــربي القـــديم :

أولا : البناء في مقابل الإعـــراب .
ثانيا : البناء للمجهول في مقابل البناء للمعلـــوم في الأفعـــال .
ثالثا : المبنى في مقابل المعـــنى .

و لا أدعي أن هذه المفاهيم هي البنيويـــة اللغويـــة الـــتي جـــاء بهـــا دو سوســـير و لكنني أعتبرها إرهاصا لها ، و لا تعتبر نظرية النظـــم الـــتي تبلـــورت عنـــد الجرجـــاني غريبـــة عـــن النظـــام اللغـــوي الـــذي جـــاء بـــه دو سوســـير فيمـــا جـــاء بـــــه

من نظريات تتعلق ببِنْيةِ الكلام ، و باختصار "" فإن البنيوية اللغويـــة هـــي اتجـــاه يقـــول بسيطرة النظام اللغوي فإن البنيوية اللغوية هي المنهج الـــذي يتعـــرض لدراســـة الشـــكل بوصفه كلا بعد تحليله إلى عناصره الصغيرة بهدف وضـــع هـــذا الشـــكل في التصنيـــف الملائم له "" [1]. و هي " تتعامل مع النص على أنه مـــادة معزولـــة ذات وحـــدة عضويـــة مستقلة ، و أنه منفصل و معزول عن سياقه و عن الـــذات القارئـــة " [2] .

و بهذا يتم التعامل مع النصوص اللغوية بفك خيوط نســـيجها الـــتي تصنـــع ســـر النظام و الصناعة فيها التي غالبا ما تخفى علـــى غـــير المتخصـــص فالاهتمـــام بالشـــكل أو الصورة الكلامية لتبيين براعة المتكلم أو الكاتب و قدرتـــه علـــى التشـــكيل و إبـــداع لغة جديدة من لغة عتيـــدة .

و لا شك أن هذا المنهج البنيوي إذا طبقناه على العينة المذكـــورة مـــن الحديـــث النبوي المتواتر لفظا تعطينا النتائج العلمية الدقيقـــة في كيفيـــة توظيـــف اللغـــة و تنســـيق و حداقها و الخصائص التي اكتسبتها من خلال الاســـتعمال النبـــوي .

و هذا التطبيق يكتسي أهمية علمية عظيمة للأســـباب التاليـــة :

1- إن أرقى كلام عربي بعد القرآن الكريم هو كلام النـــبي محمـــد صلـــى الله عليـــه و سلم و من المهم أن نعرف خصائص هذه البلاغـــة الراقيـــة .
2- إن التعامل مع الأحاديث المتواترة لفظا ينفي الاحتمـــالات و يقطـــع بأننـــا أمـــام وحدة مصدرية متمـــيزة .
3- من خلال هذه الدراسة قد نغوص إلى أسرار التأثـــير اللغـــوي و الأدائـــي عنـــد الرسول عليه الصلاة و الســـلام .

---

(1) و (2) انظر : د . ميجان الرويلي بالاشتراك . دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط2 ، عام 2000 ، ص 32 .

و البلاغة في الحديث النبوي غرضها البيان و هي دائمـــا علـــى شـــرطه و هدفـــه كمـــا هي في القرآن الكـــريم .

و الحديث النبوي كله بيان للمعرفة التي جـــاءت في القـــرآن الكـــريم و إذا مـــا تفحصنا فهارس كتب الحديث الستة و جدناها على أبـــواب متنوعـــة تغطـــي النشـــاط الإنساني كله في الدنيـــا و الآخـــرة و ذلـــك لشـــمولية الديـــن الإســـلامي ، و بعـــض الأبواب له طابع علمي محض كباب الزكـــاة و الصيـــد و البيـــوع و ســـائر المعـــاملات المالية و السياسية و الاجتماعية مما لا تكفي في تبيلغه البلاغـــة و بعضـــه لا تناســـب فيـــه بلاغة الكلام لطبيعة موضوعه العلمية ، و لكـــن البيـــان هـــو الـــذي يكشـــف معنـــاه بوسائله اللفظية و غير اللفظيـــة .

و هكذا فإن مفهوم البيان أوسع من مفهوم البلاغة و هـــو يغطـــي كـــل الســـيرة النبوية و يوجد في كل أحاديثه الصحيحة ، و لهـــذا اخـــترت أن يكـــون تعبـــيري عـــن كلام النبي بأنه البيان و له بناء لغوي مؤسس علـــى قواعـــد تنـــير الحوالـــك و توضـــح المعمالـــــك .

و نجد أنفسنا أمام أسماء أربعة لمسمى واحـــد و هـــي :

1- الحديث النبـــوي .
2- الخطاب النبـــوي .
3- النص النبـــوي .
4- البيان النبـــوي .

و هي كلها تعبر عن الفعل الكلامي و النشـــاط اللســـاني الـــذي مارســـه النـــبي عليه الصلاة و السلام ،و لكني فضلت مصطلح البيان النبـــوي لأنـــه يعـــبر عـــن حيـــاة النص ، و حيوية الخطاب و حيمية الحديث و فعالية التعليـــم و التوجيـــه .

الفصل الأول : الخصائص الصوتية في البيان النبوي

المبحث الأول : أهداف الدراسة الصوتية

المبحث الثاني : الأصوات اللغوية و معانيها في اللسان العربي

المبحث الثالث : الصوت النبوي

1- التشكيل الصوتي في البيان النبوي .

2- صفاء و سلامة المخارج .

3- القيمة الأخلاقية .

4- القيمة التعبيرية .

المبحث الرابع : الاقتصاد و الكفاية في البيان النبوي الصوتي .

1- النطق و السكوت .

2- الجهر و الخفوت .

3- التكرار و الإعادة .

4- التعبير الانفعالي .

المكتبة المركزية

المبحث الأول : أهداف الدراسة الصوتيـــة

للأصوات أهمية كبيرة في حياة الإنسان و الحيوان معـــا لأن بهـــا يقـــع التواصـــل و يتم التناغم و يطرد التجاوب . و للجهاز السمعي دوره الفعـــال في عمليـــة النطـــق عند الإنسان لأنّه أداة تلقي اللغة التي يتعلمها و يتكلمـــها ، و مـــن ولـــد أصـــمّ عـــاش أبكم طول حياته ليس لاختلال جهاز النطق عنده ، بل قد يكـــون ســـليما مائـــة بالمائـــة بل لأن جهاز السمع متعطل و اللغة تؤخـــذ بالســـماع .

و كل ما تسمعه أذن الإنسان من أصوات يعبر عـــن معـــنى و يـــؤدي إلى شـــعور و يقرر موقفا يسمى الاستجابة سواء كان هذا الصـــوت هـــزيم الرعـــد أو خريـــر المـــاء أو دوي السيارات أو جرس المنبه ، و جهاز السمع هو الـــذي يتلقـــى هـــذه الأصـــوات و ينقلها عبر الإحساس إلى الشـــعور و إدراك مـــن أجـــل تفســـيرها إلى اســـتجابات و مواقف . و الصوت بالمعنى العـــام : " **هـــو الأثـــر الســـمعي الـــذي بـــه ذبذبـــة مستمرة مطردة ، و لو لم يكن مصـــدره جـــهازا صوتيـــا فمـــا نســـمعه مـــن الآلات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات و كذلك الجـــس الإنســـاني صـــوت** "" [1] .

و إذا كانت أصوات الطبيعة يحس بها الإنسان و الحيوان لإدراك ما يحيط بهما ليتخـــذ كل منهما الموقف السلوكي المناسب نحو أي صوت كان كما قال الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بـــالذئب إذ عـــوى

و صوت إنسان فكـــــدت أطـــير

فالأحرى أن تكون لأصوات اللغة آثار معتبرة في حـــالتي الإفـــراد و الـــتركيب ، و قـــد عنيت اللسانيات الحديثة الغربيـــة بدراســـة الصـــوت اللغـــوي مـــن نـــاحيتين لتكـــون الدراسة شاملة و محيطة بكل خصائص الصوت اللغـــوي :الناحيـــة الأولى تعـــتني بفيزيـــاء

---

(1) تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب عام 1986 ، ص 67 .

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

الصوت اللغوي و تهتم بكيفية إخراجه و خصصوا لذلك علما يسمى فونيتيك Phonetique أما الناحية الثانية فتعتني بوظيفة الأصوات اللغوية و خصصوا لها علما يسمى فونولوجيا Phonologie .

و للدراسة الصوتية لوحدات الكلام أهمية كبيرة في مساعدة اللغويين على فهم العلاقات الدلالية بين الأصوات و المعاني ، يقول تشومسكي في هذا الصدد : "" **إذا شئنا دراسة اللغة بوصفها صوتا له معنى ينبغي علينا أن نحلل الصوت و المعنى ، أو ينبغي علينا على الأقل تقديم بعض الشروط حول تمييز أصوات العبارات و معناها** "" . [1] و الدراسة الصوتية تعتمد على المنهج التجريبي القائم على الجهاز النطقي و الجهاز العصبي و النفسي أيضا انطلاقا من الفرضيات و المسلمات الأولية ، و يبين تشومسكي أهمية الدراسة الصوتية أنها تتمثل في : "" **إثبات أن لعناصر التمثيل الفونيتيكي خصائص منتظمة ، و تراعي بعض المبادئ العامة و أنها ترتبط بمستويات أخرى من البنية اللغوية بواسطة قواعد تتسم بعمومية معينة و بأهمية ما و أن التمثيلات الفونيتيكية تقوم بدور هام في نماذج الأداء الكلامي** "" . [2]

و إذا كانت اللسانيات الغربية الحديثة قد استطاعت دراسة الصوت اللغوي تجريديا ، أي مفصولا عن المعنى فإن فعل ذلك في الأصوات العربية يعتبر نوعا من الإجهاض للغة كلها لأنه فعلا كما قال تشومسكي أن التمثيلات الفونيتيكية تقوم بدور هام في نماذج الأداء الكلامي ، و كذلك لأن أصوات اللغة العربية صفاتها أرواحها ، لأنها موضوعة على نسق معنوي ذاتي يكتسبها من ذاتها

---

(1) و (2) : أنظر : د.ميشال زكريا ، الألسنية علم اللغة الحديث ، قراءات تمهيدية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، بيروت ، ص 132 .

و مخارجها هي أشبه ما تكون بصفات الذات و صفات المعـــاني و الجـــدل القـــائم فيـــها في العقائد الإسلامية أما في أصوات اللغة فلا جدال . و لهـــا أصـــوات أخـــرى مركبـــة كعنقود النحل أو هي أقرب تســـمى حـــروف المعـــاني . و مـــن هنـــا تكتســـي هـــذه الدراسة لأصوات اللغة أهميتـــها .

المبحث الثاني : الأصوات اللغوية و معانيها في اللســـان العـــربي

عندما كان الدرس اللغوي نشطا في زمن الخليـــل و ســـيبويه ، رتبـــت الأبجديـــة العربية ترتيبا صوتيا حسب مخارجها من أقصاها إلى أدناها و ذلك مـــا فعلـــه الخليـــل في كتابة العـــين .

و قد رتب الأبجدية على النحو التـــالي : ع.ح.ه أ.خ.غ/ق.ك/ج.ش.ض/ص.س.ز/ ط.د.ت/ ظ.ث.ذ/ر.ل.ن.ف.ب.م.و / همزة .

أما سبويه فقد رتبها على النحـــو التـــالي : همـــزة أهـــ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ض ذ ب م و ، و هـــو أيضـــا ترتيـــب صـــوتي مبـــني على المخارج يختلف عن ترتيب الخليـــل .

و هذه الحروف الثمانية و العشرون المسماة بحروف المبـــاني لا تخلـــو مـــن معـــان خاصة بكل حرف منها ، لا ســـيما و أن اللغـــة العربيـــة في طفولتـــها كـــانت صوتيـــة ذات المقطع الواحد ثم بعـــد ذلـــك ذات مقطعـــين ، و قـــد توصـــل بعـــض البـــاحثين إلى إدراك ذلك من خلال الألفـــاظ الـــتي تشـــترك في حـــرف فـــإن بينـــها اشـــتراكا في معنى مـــا .

و هاك المعاني الذاتية التي تحملها الحـــروف العربيـــة [1] .

1. الهمزة : يدل على الجوفية ، و على ما هو وعاء للمعنى ، و يدل على الصفة تصـــير طبعا .
2. الباء : يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما و يدل علـــى القـــوام الصلـــب با لتفعـــل .
3. التاء : يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابـــس للطبيعـــة

---

(1) أنظر : د . أسعد أحمد علي ، تهذيب المقدمة اللغوية ، للعلايلي ، دار النوال ، دمشق ، ط2 عام 1981 ص 63-64 .

4. الثاء : يدل على التعلق بالشيء تعلقا له علامته الظاهرة سواء في الحس أو في المعنى .
5. الجيم : يدل على العظم مطلقا .
6. الحاء : يدل على التماسك البالغ و بالأخص في الخفيات و يدل على المائية.
7. الخاء : يدل على المطاوعة و الانتشار ، و على التلاشي مطلقا .
8. الدال : يدل على التصلب و على التغير المتنوع .
9. الذال : يدل على التفرد .
10. الراء : يدل على الملكة و على شيوع الوصف .
11. الزاي : يدل على التقلع القوي .
12. السين : يدل على السعة و البسطة من غير تخصيص .
13. الشين : يدل على التفشي بغير نظام .
14. الصاد : يدل على المعالجة الشديدة .
15. الضاد : يدل على الغلبة تحت الثقل .
16. الطاء : يدل على الملكة في الصفة .
17. الظاء : يدل على التمكن .
18. العين : يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقا .
19. الغين : يدل على كمال المعنى في الغؤور أو الخفاء .
20. الفاء : يدل على لازم المعنى ، أي المعنى الكنائي .
21. القاف : يدل على المفاجأة التي تحدث صوتا .
22. الكاف : يدل على الشيء ينتج عن الشيء في احتكاك .
23. اللام : يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه .
24. الميم : يدل على الانجماع .
25. النون : يدل على البطون في الشيء ، أو على تمكن المعنى تمكنا تظهر أغراضه .
26. الهاء : يدل على التلاشي .

27. الواو : يدل على الانفعال المؤثـــر في الظواهـــر .

28. الياء : يدل على الانفعال المؤثـــر في البواطـــن .

هذه المعاني الغالبة على الحروف التي هي أصوات العربيـــة تجعـــل بنيـــة الكلمـــة غير اعتباطية و لا مرتجلة و قد قرر ابن جني هـــذه الحقيقـــة فقـــال بتصـــاقب الألفـــاظ بتصاقب المعاني و هو على أضرب منها التقـــديم و التأخـــير في المـــادة الحرفيـــة للكلمـــة قال ابن جني : "" و منـــها التقـــديم و التأخـــير في تقليـــب الأصـــول نحـــو (ك ل م) و (ك م ل) و (م ك ل) و نحـــو ذلـــك . و هـــذا كلـــه و الحـــروف واحـــدة غـــير متجاورة و لكن من وراء هذا ضـــرب غـــيره و هـــو أن تتقـــارب الحـــروف لتقـــارب المعاني و هذا باب واسع . من ذلـــك قـــول الله ســـبحانه : ﴿ **ألم تـــر أنـــا أرســـلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا** ﴾ أي تزعجـــهم و تقلقـــهم ، فـــهذا في معـــنى تهزهم هزا ، و كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقـــوى مـــن الهـــاء و هـــذا المعـــنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز مالا بال له كـــالجذع و ســـاق الشـــجرة و نحـــو ذلك "" [1] . و إذا طبقنا هذا على المعـــاني الأولية الذاتيـــة لنفـــرق بـــين الأز و الهـــز وجدنا ذلك صحيحا لأن الهمزة تـــدل علـــى الجوفيـــة و البـــاطن و الكـــافرون تهزهـــم الشياطين من الداخل من نفوسهم و قلوبهم أمـــا الهـــاء فتـــدل علـــى التلاشـــي و هـــذا المعنى عجيب كما قرره ابن جني فإن الحرف في الكلمة لـــه دلالتـــه الخاصـــة في التعبـــير عن المعنى العام . فحروف المباني تشتمل على معـــاني كليـــة عامـــة تســـاهم في تحديـــد المعنى الخاص لبنية الكلمـــة كـــالألوان المختلفـــة الـــتي يـــأخذ منـــها الرســـام بمقـــادير و يناسب بينها في المجاورة ليعبر عن المعنى الـــذي يريـــد في لوحاتـــه ، و كـــأن الواضـــع للغة العربية كان له ذوق جمالي و دقة فنيـــة معماريـــة في بنـــاء الكلمـــة بحيـــث تكـــون

---

(1) ابن جني : الخصائص . ج2 ، ص 146 .

الألفاظ لها صفات معينة تكتسبها من مادتها الأولية أي الحروف أو الأصوات فالكلمة في العربية لها صفة صوتية مستخرجة من مجموعة الحروف التي تتألف منها و منها يطفح المعنى الذي يدركه أرباب الذوق و الحكمة .

يقول الدكتور فايز الداية في هذا المقام : "" **و يتجلى الجانب الدلالي لصفات الألفاظ فيما تشف عنه من سمات تتعلق بأصوات اللفظة و تشكيلها الصرفي وحدة مميزة في الكلام ، فالعذوبة و الحلاوة و السهولة إنما تكون في الحرف و ائتلافه مع حروف متناسبة فيما بينها . و كذلك نلحظ في النعوت في اللفظة و مستحسنة لدى القراء و النقاد لدقة أدائها المدلول . و الجمال شكلي فيها ، و عندما نقرر أن عملا كهذا يشمله مفهوم الدلالة فإننا نستند إلى أن مدلول اللفظة يعد محصلة مجموعة من العوامل منها : الإيقاع الصوتي و إيحاؤه ، و من ثم مدى قدرته على الانتظام في العبارة الواحدة و في السياق اللفظي و الغرض المعبر عنه . و ندرك كذلك أننا أمام أحكام عامة غير تفصيلية تتناول العلاقات بين الأصوات و ما ينتج عنها ، أو تتبع الصيغة الصرفية و تؤرخ لها أو تناقش تأثيرها و اختلافه عن الصيغ الأخرى** "" [1] .

إذن ففيزياء الأصوات أو الفونيتيك عند علماء العربية كان يخضع للحس الدلالي أو الذوق و صفات الحروف و مخارجها و معانيها العامة الكلية و لا يمكن أن يقال أن حروف المباني الثمانية و العشرين خلو من المعاني ، و قرر عبد القاهر الجرجاني و غيره من أهل اللغة أن زيادة حرف أو أكثر في مادة الكلمة زيادة في المعنى و هناك منهج آخر في دراسة أصوات العربية يطلق عليه اسم السيميا أو علم أسرار الحروف ، و يرى أصحاب هذا العلم أن للحروف أسرارا خاصة

---

(1) د . فايز الداية ، علم الدلالة العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،عام 1988 ، ص 63-64.

و طبائع تميزها . و كان اصل هذا العلم من السحر و الطلاسم و لكن المتصوفة استخدموه من أجل الكشف عن الأسرار الربانية . و قد خصص ابن خلدون في مقدمته لهذا الموضوع فصلا معتبرا و يقول معبرا عن فحوى هذا العلم عند أصحابه : "" **و زعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك و الكواكب و أن طبائع الحروف و أسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام ، فحدث لذلك علم أسرار الحروف و هو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه و لا تحاط بالعدد مسائله . تعدد فيه تأليف البوني و ابن العربي و غيرهما ممن اتبع آثارهما ، حاصلة عندهم و ثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى و الكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان** "" [1] .

و اعتبر هذا المنهج الحروف كالطبيعة مقسمة إلى أربعة عناصر النارية و الهوائية و المائية و الترابية ، و تتقاسم هذه الأمزجة الأربعة الحروف العربية بحيث يأخذ كل مزاج سبعة أحرف بعدد أيام الأسبوع بحسب الترتيب الأبجدي على النحو التالي :

الترتيب / الطبيعة	1	2	3	4	5	6	7
النارية	أ	هـ	ط	م	ف	س	ذ
الهوائية	ب	و	ي	ن	ض	ت	ظ
المائية	ج	ز	ك	ص	ق	ث	غ
الترابية	د	ح	ل	ع	ر	خ	ش

و نلاحظ أن هذه الترتيبة الأبجدية للحروف تقرأ عموديا على النحو التالي : أبجد ، هوز ، حطي ، كلم ، نصع ، فضق ، رست ، ث خ ذ ، طغش .

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، عام 1960 ، ص 936 .

و تأثير الحروف الأبجدية يعود إلى طبيعتها أي فيزيائيتها و هناك من جعل لكل حرف رمزا عدديا يرجع إليه في نفس أسرار الكلمات المكونة منها .

و ليس هنا مجال بسط هذا الموضوع للوقوف عليه ، لأن علم أسرار الحروف و إن كان ينبني على دراسة الصوت فيزيائيا و استكناه أسراره إلا أنه يبقى علما كهنوتيا خاصا ليس مجاله الدراسة اللغوية لأن غرضه روحي و لأنه صعب يشبه الألغاز و الطلاسم و لتردد الحكم في درجة علميته و يعبر ابن خلدون عن صعوبة هذا المسلك بقوله : "" **فأما سر التناسب الذي بين هذه الحروف و أمزجة الطبائع أو بين الحروف و الأعداد ، فأمر عسير على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم و القياسات ، و إنما مستندهم فيه الذوق و الكشف قال البوني : و لا تظن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلي و إنما هو بطريق المشاهدة و التوفيق الإلهي** "" [1] .

إن أسرار الحروف ليس مما يهتم به اللغويون و اللسانيون كثيرا لأن هذا المنهج يهدف إلى اكتشاف المعاني المكنونة التي ليست من الوضع و هو علم كهنوتي أقرب إلى السحر و مع ذلك فإن السيميائية الحديثة تفتح صدرها و ذراعيها لمثل هذه المباحث و علم الدلالة كذلك . و مهما يكن فإن العرب قد اهتموا بالغوص في أعماق الحروف و الأصوات اللغوية و قيمة ذلك لا يستهان بها في المباحث اللسانية و لكنها لنوع خاص من الدراسة ، و إذا ثبت علميا أن للحروف العربية أسرارا خاصة بكل حرف و أن لكل حرف طبيعة و مزاجا فإن ذلك يهدم نظريتي المواضعة و الاعتباط و يقلبهما رأسا على عقب ليرتفع لواء نظرية التوقيف و لكن دون ذلك ولوج الجمل في سم الخياط .

---

(1) نفس المصدر ، ص 938 .

و ابن سينا كان أقرب إلى الدراسة الموضوعية العلمية للتفاعل العضوي الذي يؤدي إلى حدوث الأصوات اللغوية بواسطة احتباس الهواء و تموجه في الجهاز الصوتي الإنساني . يقول في هذا الشأن : "" **أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة و بقوة و بسرعة ... ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيتوجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه فإن العلة القريبة – كما أظن – هو التموج و للتموج علتان قرع و قلع** "" [1] .

و مهما يكن فإن اللسانيات العربية قد حددت مخارج الحروف في لغة الضاد بدقة متناهية لأجل تجويد القرآن الكريم هذا العلم الفريد في العربية دون غيرها الذي يستند إلى مخارج الحروف و صفاتها . و عدد مخارج الحروف في اللسان العربي سبعة عشرة مخرجا لمن جعل للصوائت (حروف المد) مخرجا أي بإضافة مخرج لا يحتبس فيه الهواء و هو الجوف فتسمى حروف المد الحروف الجوفية أو الحروف الهوائية . و من لم يجعل لحروف المد مخرجا خاصا عد مخارج الحروف في العربية ستة عشرة مخرجا .

و يمكن التعرف على المخرج بطريقة عملية بسيطة و هي حبس الهواء عند النطق بالحرف بهذه الطريقة : أب – أح – أت . . . إلخ و هذه الطريقة الصوتية من خصائص النطق العربي ، فالعرب لا يبدأون بساكن و لا يقفون على متحرك .

و ها هي مخارج الحروف السبعة عشرة كما هي في علم التجويد :

1. الجوف : لحروف المد أي الصوائت و تسمى الحروف الهوائية أو الجوفية
2. أقصى الحلق : الهمزة و الهاء ، قيل على مرتبة واحدة و قيل تسبق الهمزة .
3. وسط الحلق : ع – ح .

---

(1)) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1978 ، ص 8 .

4. أدنى الحلق إلى الفـــم : غ – خ .

5. أقصى اللسان مما يلي الحلق و ما فوقه مـــن الحنـــك : ق .

6. اقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا و مما يليـــه مـــن الحنـــك: ك.

7. الحروف الشجرية : من وسط اللســـان بينـــه و بـــين وســـط الحنـــك ج – ش – ي غير المدية ، و الشجرة هي مخرج الفـــم أي مفتحـــه .

8. من أول حافة اللسان و ما يليه من الأضراس مـــن الجـــانب الأيســـر عنـــد الأكـــثر و من الأيمن عند الأقل و عند سيبويه مـــن الجـــانبين : ض .

9. من حافة اللسان من أدناها و ما بينها و ما يليها مـــن الحنـــك الأعلـــى ممـــا فويـــق الضاحك و الناب و الرباعية و الثنيـــة : ل .

10. من طرف اللسان بينه و بين ما فوق الثنايا أسفل الـــلام قليـــلا : ن .

11. من طرف اللسان بينه و بين الثنايا العليـــا مـــن مخـــرج النـــون غـــير أنهـــا أدخـــل في ظهر اللسان قليلا . و يقال لها الذلقية نسبة إلى مخرجـــها و هـــو طـــرف اللســـان إذ طرف كل شيء ذلقـــه : ر .

12. من طرف اللسان و أصول الثنايا العليـــا اعتمـــادا إلى جهـــة الحنـــك : ط– د – ت و يقال لهذه الثلاثة النطعية لأنها تخرج من نطع الغار الأعلـــى و هـــو ســـقفه .

13. من بين طرف اللسان فويـــق الثنايـــا الســـفلى : ص – س – ز و هـــذه الأحـــرف الثلاثة هي الأسلية لأنها تخرج من أســـلة اللســـان وهـــو مُسْـــتَدَقُّهُ ، و تســـمى أيضـــا حروف الصفـــير .

14. من بين طرف اللسان و أطراف الثنايا العليـــا : ظ–ذ–ث ، و يقـــال لهـــا اللثويـــة نسبة إلى اللثة و هو اللحم المركب فيـــه الأســـنان .

15. من باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايـــا العليـــا : ف .

16. مما بين الشفتين و (غير المديـــة) ب – م .

و يقـــال لهـــذه الأحـــرف الأربعـــة ف – و – ب – م الشـــفهية و الشـــفوية نســـبة إلى الموضع الذي تخرج منه و هو الشـــفتان .

17 الخيشوم : و هـــو للغنـــة و تكـــون للنـــون و الميـــم الســـاكنتين حالـــة الإخفـــاء أو الإدغام بغنـــة .

بواسطة ضبط هذه المخارج يمكننا تصـــور التفـــاعلات الآليـــة للكـــلام أثنـــاء النطق و الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم و لم يخف هـــذا علـــى اللســـانيين العـــرب إذ جعلوا لهذه الحروف صفات صوتية تتراوح بين القـــوة و الضعـــف و التفخيـــم ، لذلـــك تنقسم إلى قوية و ضعيفة ، و على أساس هذه الصفات المعنويـــة قـــامت نظريـــة المعـــنى في الحرف العربي ، و بموجبها أيضا يطفح المعنى في التشـــكيل الصـــوتي البنـــائي للكلمـــة و الجدول التالي يبين لنا الحروف و صفاتهـــا .

الصفة	العدد	الحروف	الدرجة
الهمس	10	سكت فحثه شخص	الضعف
الجهر و الشدة	8	أجد قط بكت	القوة
الجهر و التوسط	5	لن عمر	
الجهر و الرخاوة	5	غ ، ض ، ظ ، ذ ، ر	
الجهر و الشدة	6	طبق أجد	
الإستعلاء	7	قظ خص ضغط	التفخيم
الإنطباق	4	ص ، ض ، ط ، ظ	القوة
الصفير	3	ص ، س ، ز	
القلقلة	5	قطب جد	
الخفاء	4	الهاء ، و حروف المد	
اللين	2	الواو و الياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما	
الانحراف	2	اللام و الراء أو اللام و الطاء	
الغنة	2	ن ، م	
التكرار	1	ر	
التفشي	1	ش	
الاستطالة	1	ض	

المبحث الثالث : الصوت النبـــوي

ذكرت القواعد العامة التي تتحكم في الصـــوت اللغـــوي في اللســـان العـــربي و تحدد صفاته الذاتية و مخارجه في الجهاز النطقي ومعنـــاه الجزئـــي في الكلمـــة ، و مـــع هذا يبقى إنتاج الصوت عملا فرديا يختلف مـــن شـــخص إلى شـــخص و يعتـــبر ذلـــك الصوت الفردي علامة خصوصية شـــخصية لصاحبـــه فصـــوت الصـــبي يختلـــف عـــن صوت الشيخ و صوت المرأة يتميز عن صوت الرجل . إن كـــل شـــخص ينتـــج صوتـــا خاصا ، و كثير من النـــاس تكـــون أصواتهـــم عـــاملا أساســـيا في نجاحـــهم الســـريع أو فشلهم الذريـــع .

إذن فاختلاف الأصوات مـــن حيـــث إنتاجـــها و إصدارهـــا ظـــاهرة لغويـــة لسانية تسترعي الانتباه و التوقف عندها . و قد أدرك ذلـــك بلاغيـــو العـــرب فجعلـــوا البلاغة و الفصاحة كما تكونان في الكلام تكونـــان في المتكلـــم فقـــد يكـــون الكـــلام بليغا فصيحا و المتكلم ليـــس كذلـــك لآفـــات خلقيـــة أو ســـلوكية تتعلـــق بالكفـــاءة و التأدية على حد تعبير شومسكي . و مادام الصوت اللغـــوي إنتاجـــا فرديـــا يســـتطيع المتكلم أن يتحكم فيه أو يطبعه بطابعه الخاص فإن دراســـة الأصـــوات اللغويـــة تطـــرح هذا الإشكال المنهجي في البحث إذ لا يمكن فصـــلها البتـــة عـــن منتجـــها و مصدرهـــا و قد أشار إلى هذا الدكتور تمام حسان بقوله : "" **و ما دام إنتـــاج الصـــوت عمـــلا فرديا و قد سبق أن قلنا أن الأخوين لا ينطقان نطقـــا متشـــابها تمامـــا فـــإن دراســـة الأصوات إنما تقوم على أساس فـــردي لا جمعـــي** "" [1] .

و هذه الفردية في دراســـة الصـــوت ترتبـــط بشـــخصية المتكلـــم و نفســـيته و غالبا ما يكون للنبر و تقاطيع الوجه و ارتفـــاع الصـــوت و انخفاضـــه الأثـــر القـــوي في تحديد المعنى و تشكيل الخصـــائص

---

(1) د . تمام حسان : مناهج البحث في اللغة . ص 76 .

و لذلك تكون الدراسة العلمية الدقيقة للصوت اللغوي كإنتاج لا تلغي من حسابها الطرف الأساسي و هو المنتج قائمة على منهج علمي دقيق يتمثل في أن ."" **نختار من اللغة التي تريد أن تدرسها من الناحية الأصواتية متكلما من متكلمي هذه اللهجة نشأ عليها من طفولته مع تفضيل المتكلم الذي لم يغادر المنطقة اللغوية التي تتكلم اللهجة فيها طول حياته ، فهذا خير من يمثلها تمثيلا صحيحا و الأفضل في ذلك أن يكون ذلك المتكلم (و لنسمه بعد ذلك مساعد البحث) أميا لا يعرف القراءة و الكتابة لأن للقراءة و الكتابة تقاليدها لا تتمشى دائما مع المنهج الصحيح فإذا كان المساعد قارئا كاتبا تدخلت معرفته بذلك في مجرى البحث و ضيعت كثيرا من الفائدة على طالب البحث** "" . [1]

و من هذا الجانب نجد أن النبي محمدا عليه الصلاة و السلام هو أفضل مساعد في البحوث الصوتية العربية لتوفر الشروط المنهجية كلها فيه و في كلامه .

1. إنه أمي لا يقرأ و لا يكتب و لا أثر خارجي في شخصه .
2. إنه لم يخرج طيلة حياته من منطقة اللغة التي ندرسها .
3. إن أفصح متكلمي هذه اللغة و أبلغهم .
4. أن له توجيهات و إرشادات في تصحيح الكلام و ضبط اللسان و تطوير الدلالة .

و يطرح أمامنا إشكال علمي هو عدم تسجيل الصوت النبوي المقترن بأنفاسه عليه الصلاة و السلام الذي قرع طبلة أسماع المتلقين فأحدث فيها الانفعال المناسب ما نسميه الآن بالصوت النبوي ما هو في الحقيقة إلا ما علق في الأسماع و حفظته الصدور و رددته الألسنة و دون بعد ذلك في السطور و البون شاسع

---

(1) د. تمام حسان ، نفس المصدر . ص 76 .

بين اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة ، و إن كان المدونون حريصين على الدقة و المقاربة لأجل الحفاظ على ألفاظ النبوة و لكن هيهات هيهات أن يسجلوا الصوت و النبرات النبوية إلا في ذاكرتهم ، و لو كانت وسائل تسجيل الصوت متوفرة في ذلك الزمان لوثقت لنا الصوت النبوي توثيقا ثمينا سواء في أداء الكلام أو في تلاوة القرآن الكريم تمكننا من الدراسة العلمية المطمئنة على الصوت النبوي في نبراته و تموجاته و هل هو صوت ككل صوت بشري قد يتشابه أو يتكرر أم أنه كان صوتا متميزا .

و لكن كل ذلك ترك للمقاربات و الاجتهادات من خلال الأخبار و النصوص الحديثية المكتوبة و ها هو الجاحظ أمير البيان العربي يفسر البيان النبوي بقوله : "" **هذا الكلام قل عدد حروفه و كثر عدد معانيه ، و جل عن الصنعة و نزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط ، و المقصور في موضع القصر و هجر الغريب الوحشي و رغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، و لم يتكلم إلا بكلام قد خف بالعصمة و شد بالتأييد و يسر بالتوفيق و هذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه و غشاه بالقبول و جمع بين المهابة و الحلاوة ، و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام ، و هو مع استغنائه عن إعادته ، و قلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة و لا زلت له قدم و لا بارت له حجة و لم يقم له خصم و لا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير** """ .[1]

(1) الجاحظ : البيان و التبيين ، ج2 ، ص 244 .

1 - التشكيل الصوتي في البيان النبـــوي :

و لسنا في حاجة هنا إلى دراسة فيسيولوجية الأصـــوات و الحـــروف في بنيـــة الحديث و الكلام النبويـــين ، لأن ذلـــك عمـــل مخـــبري أرطفـــوني يتطلـــب الاستعـــانة على الكلمات بساطور الجزار لتقطيع أوصالها و تمزيـــق مفاصلـــها . و عمليـــة التقطيـــع هذه التي أقامها دو سوسير على اللغة لهـــا قيمتـــها مـــن الناحيـــة العلميـــة إذ تســـاهم في إيضاح التموجات الصوتية ، و مـــن خلالهـــا يمكـــن أن نعـــرف طبيعـــة التشـــكيل الصوتي في الكلام و الصفة الغالبة عليه و الســـياقات الـــتي تحـــدد طبيعـــة الحـــروف . إن مثل هذا التطبيق مهم جدا . و لكـــن هـــذه الدراســـة مجازفـــة إذ لم يطبقـــها أحـــد على القرآن الكريم لمعرفة طبيعة تشكيله الصـــوتي رغـــم مـــا حظيـــت بـــه الأصـــوات و الحروف من اهتمام من أجل قراءة القـــرآن و تجويـــده و لم يطبـــق ذلـــك في الشـــعر القائم على الوزن الصوتي اللهم إلا ما فعله الخليل من تقســـيم الأصـــوات إلى حركـــات و سكنات و بناء على تنظيم هذين النوعين يتشـــكل البحـــر .

و يعتبر البناء الصـــوتي أو التشـــكيل الصـــوتي في القـــرآن الكـــريم مظـــهرا من مظاهر إعجازه ، و قد أدرك العرب هذا الإعجاز و هذا الأسر الـــذي يقعـــون فيـــه بمجرد سماعهم لأصوات القرآن الكريم ، و سماه الجرجاني النظـــم الـــذي ليـــس كنظـــم الشعر الذي علموه و عملوا عليه . و لكنهم عجـــزوا عـــن فهمـــه و اكتنـــاه أســـراره قال الجرجاني و هـــو يخـــبر عـــن مواطـــن الإعجـــاز اللفظـــي في القـــرآن الكـــريم : "" **أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمـــه ، و خصـــائص صادفوهـــا في ســـياق لفظـــه و بدائع راعتهم من مبادي آيـــه و مقاطعـــها و مجـــاري ألفاظـــها و مواقعـــها** "" [1] .

---

(1) عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز . ص 32 .

و قد أدرك دو سوسير ضرورة دراسة الأصوات في السلسة الكلامية و هو ما عبر عنه الجرجاني بسياق اللفظ و مجاري الألفاظ يقول دو سوسير : "" **يمكننا أن نجد في البحوث الخاصة و لا سيما مؤلفات علماء الصوتية الإنجليز تحاليل دقيقة لأصوات اللسان ، هل تكفي هذه التحاليل لكي تناسب التصويتية و هدفها كعلم مساعد للألسنية ، إن تفصيلات كثيرة و متراكمة ليست بذات قيمة في حد ذاتها فالمهم إنما هو التركيب وحده ... لمنهج هذه التصويتية عيب واحد يمس نقطة واحدة منه فهو كثيرا ما ينسى أن ليس في اللغة اصوات و حسب و إنما آماد أصوات كلامية و هو لا يعير أيضا العلاقات المتبادلة للأصوات انتباها كافيا** "" [1] .

و هنا تطرح الإشكالات التالية :

1. لماذا لم يحاول المفسرون للقرآن الكريم و قد ضبطوا مختلف القراءات تطبيق صفات الحروف على القرآن الكريم لبيان خصائص تشكيله الصوتي في اللسان لا سيما أنهم قد عدوا حروفه حرفا حرفا ، و حاولوا تأويل المقاطع الصوتية المبهمة المعنى في أوائل بعض السور ؟ .

و أحسب أنهم لو فعلوا ذلك لكانوا قد قدموا فتحا عظيما للصوتيات العربية من النواحي التالية .

- بيان خصائص اللسان العربي من خلال مجاري ألفاظ القرآن الكريم .
- بيان الأثر النفسي للتوقيف القرآني الصوتي ، لأن القرآن كتاب هداية و لا شك أن في نظمه و تشكيله الصوتي ما يعين عليها .
- فتح الطريق لمثل هذه الدراسات في الشعر و النثر و منه الحديث النبوي .

---

(1) فرديناند دو سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ترجمة يوسف غازي و مجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1986 ، ص 69 .

2- هل يمكننا نحن استدراك ذلك بالقيام بالدراسات الصوتية من خلال السلسلة الكلامية في القرآن الكريم و في الحديث النبوي ، أم أن ذلك ممتنع في القرآن كما قال الجرجاني : "" **و غلط الناس في هذا الباب كثير ، فمن ذلك أنك تجد كثيرا منهم يتكلم في شأن البلاغة إذا ذكر أن للعرب الفضل و المزية في حسن النظم و التأليف و أن لها في ذلك شأوا لا يبلغه الدخلاء في كلامهم و المولدون جعل يعلل ذلك بأن يقول : لا غرو فإن اللغة لها بالطبع و لنا بالتكلف ، و لن يبلغ الدخيل في اللغات و الألسنة مبلغ من نشأ عليها و بديء من أول خلقه بها و أشباه هذا مما يوهم أن المزية أتتها من جانب العلم باللغة و هو خطأ عظيم و غلط منكر يفضي بقائله إلى رفع الإعجاز من حيث لا يعلم . و ذلك أنه لا يثبت إعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر و تقصر قوى نظرهم عنها و معلومات ليس في متن أفكارهم و خواطرهم أن تفضي بهم إليها و أن تطلعهم عليها . و ذلك محال فيما كان علما باللغة لأنه يؤدي إلى أن يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواضع عليه أهل اللغة . و ذلك ما لا يخفى امتناعه على عاقل** "" [1]

و أحد صعوبة في هذا النص للجرجاني في تعليل الإعجاز بأنه يكون بمزايا تفوق علوم البشر . فكم من الأمور المعجزة في الطبيعة و الكون يعلم البشر أسرارها و قوانينها و لكنهم لا يستطيعون تركيب أشياء جديدة من عندهم وفق هذه الأسرار و القوانين التي اكتشفوها و كذلك في اللغة لا يمنع أن يعرف العلماء أسرار النظم و قواعد الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم مما ليس هذا مجالا لبسطه و الله تعالى يقول : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [2].

---

(1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز . ص 192

(2) سورة فاطر . الآية 82 .

3 . فرضا أننا وجهنا اهتمامنا إلى الدراسات الصوتية في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف من خلال السياق فهل نجد من يشارك و يبارك هذا الاتجاه الذي يخضع للتأويل خاصة إذ علمنا مدى حضور هذين النصين بالقداسة الدينية و لا يقبلان أي خطإ في التقدير أو انحراف في الاستعمال ، و نحن لسنا بمنأى عن مثل هذه المخاوف بل قد نتعرض لها مباشرة لأن المجال الصوتي التطبيقي من خلال النصوص بصفة عامة و النصوص المقدسة بصفة خاصة ما زال غير معبد و لا موطإ

و مع ذلك فإننا سنحاول دراسة التشكيلة الصوتية و علاقتها بالسياق لبيان مدى ملاءمة الكلام النبوي لقاعدة موافقة الكلام لمقتضى الحال ، و أن السياق اللغوي خاضع للمقام .

و علم الفونولوجيا Phonologie أو علم وظائف الأصوات في التحليل الفونيمي عريق عند العرب كما بينت سابقا و " **قضية العلاقة بين الصوت و المعنى قضية قديمة آثارها الخليل بن أحمد و تبعه سيبويه و أقر لطفها و الاعتراف بصحتها أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص ... و من الواضح أن هذه الآراء تبحث في قضية الانسجام بين الدوال و المدلولات بحيث تنسجم الأصوات القوية مع المعاني القوية و الأصوات اللينة مع المعاني اللينة** "[1] . و إذا كانت اللغة المنطوقة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما عرفها ابن جني فإن هذه الأصوات لم تتركب اعتباطا سواء على مستوى دلالة المفردات أو على مستوى تشكيل الجملة و تركيب العبارة في الكلام المبين ، و بناء على قواعد هذا العلم في اللسان العربي و ما يقدمه من طبائع الحروف و صفاتها فإننا سنحلل حديثا نبويا تحليلا صوتيا على مستوى الإفراد و على مستوى التركيب و نبين مدى الانسجام و التناسق بين الصوت و المعنى و هو الحديث رقم 121 في الملحق و هو في الترهيب من عدم العدل و المساواة في إقامة حد السرقة بقطع يد السارق الضعيف

---

(1) رابح بوحوش ، البنية اللغوية لبردة البوصيري ، ديوان المطبوعات الدامعية ، الجزائر ، ص 49-50.

دون السارق الشريف و ها هي ألفاظ النبي عليه الصلاة و السلام في ذلك الحديث:[1]

- أتشفع في حد من حدود الله ؟

- يا أيها الناس ، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه و إذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد .

- و أيم الله لوأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

هذا الحديث له ملابساته المختلفة و هو مؤيد بغضب النبي عليه الصلاة و السلام و نبراته و نظراته نتيجة الموقف الذي أثار انفعال النبي عليه الصلاة و السلام و خطابه النفسي الانفعالي و هو مقسم إلى ثلاثة مقاطع يشتمل كل مقطع منها على الكمية المناسبة من الأصوات التي تعبر عن المعنى المقصود و سنحاول دراسة نوعية هذه الأصوات في إطار كل مقطع من المقاطع الثلاثة و في إطار السياق العام للنص لاكتشاف حقيقة الانسجام الواقع بين الصوت و المعنى من خلال قراءة الجدول التالي الذي يبين المفردات التي استخدمها النبي عليه الصلاة و السلام باستقرائها من جميع الزوايا الصوتية

المقطع	الأصوات	المجموع
الأول	3أ ، 3د ، 2ج ، 2ف ، 2ل 1ت ، 1ش ، 1ع ، 1م ، 1ن ، 1هـ ، 1و ، 1ي	20
الثاني	15أ ، 9ن ،7ل ، 6ي ، 5هـ ، 4ر ، 4ق ، 4م ، 4و 3س ، 3ف ، 4ك ، 2ذ ، 1ب ، 1ت ، 1ض ، 1د ، 1ش	77
الثالث	6م ، 5أ ، 4ل ، 3ت ، 3د ، 3ن ، 2ح ، 2ط ، 2ق ، 2هـ 2و ، 2ي ، 1ب ، 1ر ، 1س ، 1ع ، 1ف	41

(1) انظر في الملحق الحديث ، رقم 121 .

و عندما ما نقرأ هذا الجدول نكتشف ما تـــدل عليـــه هـــذه الحـــروف بنـــاء على طبيعتها و على صفاتها فإننا نجد ما يلـــــي :

المقطع الأول : أتشفع في حد من حـــــدود الله ؟

هذا الكلام وجهه النبي عليه الصلاة و السلام إلى أســـــامة بـــن زيـــد غاضبـــا عندما توسط به الناس إلى الرسول ليشفع للمرأة المخزومية التي ســـــرقت و نجـــد طبيعـــة الغضب واضحة على الحـــروف لأنـــه اســـتخدم في هـــذا المقطـــع 9 أصـــوات ناريـــة و 4 أصوات هوائية ، و 7 أصوات ترابية ، و لم يســـــتخدم و لا صوتـــا واحـــدا مائيـــا و الجدول يبينـــه .

النارية	3أ ، 2ف ، 2ل ، 1م ، 1هـ	9
الهوائية	1ت ، 1ن ، 1و ، 1ي	4
المائية		
الترابية	3د ، 2ح ، 1ش ، 1ع	7

المقطع الثاني : و في الالتفات من المفرد إلى الجمـــع بقولـــه عليـــه الصـــلاة و الســـلام : يا أيها الناس ، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا ســـرق الشـــريف تركـــوه ، و إذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحـــد .

و هذا المقطع يبرر فيه النبي عليه الصلاة و الســـلام غضبـــه و الجـــدول التـــالي يبين طبيعة الحروف المســـتعملة .

النارية	15أ ، 5هـ ، 4م ، 3س ، 3ف ، 2ن	32
الهوائية	9ن ، 6ي ، 4و ، 1ب ، 1ت ، 1ض	22
المائية	4ق ، 4ك	8
الترابية	7ل ، 4ر ، 2ع ، 1د ، 1ش	15

و تغلب كذلك على هذا المقطع الأصـــوات ذات الطبيعـــة النارية .

المقطع الثالث : و ايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطـــع محمـــد يدهـــا .

النارية	6م ، 5أ ، 2ط ، 2هـ ، 1س ، 1ف	17
الهوائية	3ت ، 3ن ، 2و ، 2ي ، 1ب	11
المائية	2ق	2
الترابية	4ل ، 3د ، 2ح ، 1ر ، 1ع	11

إن استقراء هذه الجداول يبـــين أن الحـــروف النارية هـــي الغالبـــة لموافقـــة موضوع و طبيعة هذا الحديث الذي يطفح بغضب النبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام كمـــا نجد أن صفات أغلب الحروف الواردة هي الشدة و القوة و الجـــهر و الصلابـــة خاصـــة في الألف الصلبة و هو ما يسمى في النقد القـــديم بالجزالـــة و الرصانـــة و هـــي عكـــس السيوغة و السلاسة فإذا كان الأسلوب الصوتي جزلا و رصينـــا و قويـــا و متينـــا فإنـــه يؤدي و يبين معنى من هذا النوع ، و أمـــا إذا كـــان ســـائغا و سلســـا فلأنـــه كذلـــك يؤدي المعنى المناسب لهذا النوع من الأســـلوب الصـــوتي .

2- صفاء و سلامة المخـــارج :

أجمعت المصادر على أن النبي صلى الله عليـــه و ســـلم كـــان فصيحـــا بليغـــا سليم جهاز الصوت رغم أن رباعيته سقطت في غـــزوة أحـــد إلا أنـــه لم يتـــأثر صوتـــه أثناء الكلام بذلك ، و كان جهاز الصوت عنـــده مـــن الســـلامة و الصفـــاء و الضبـــط بحيث لا يتجاوز الحد و لا ينقـــص عـــن المطلـــوب و هـــو مرتبـــط بـــالوعي و الإدراك فإذا رفع صوته فلأن المقام يقتضيه و إذا خفضه فلأجل ذلـــك أيضـــا . و كـــان يـــدرك جيدا مقامات السكوت فلا يتكلم فيـــها ، و مقامـــات الكـــلام فـــلا يســـكت فيـــها و يعرف حقوق المجالس و المجالس ، و لا تؤثر في أدائـــه الصـــوتي الانفعـــالات مـــهما كانت إلا بقدر ما يساهم في أداء دوره التعبيري روي أن عبـــد الله بـــن عمـــرو قـــال : "" **كنت أكتب كل شيء أسمعه مـــن رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم أريـــد حفظه فنهتني قريش و قـــالوا : أتكتـــب كـــل شـــيء و رســـول الله بشـــر يتكلـــم في الغضب و الرضا فأمسكت عن الكتاب فذكـــرت لرســـول الله صلـــى الله عليـــه و سلم فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال : أكتب فوالذي نفسي بيـــده مـــا يخـــرج منـــه إلا حـــق** "" [1] .

و هكذا نجد أن الرسول يرى جهازه الصـــوتي الـــذي منـــه الفـــم بالدرجـــة الأولى مما لا يبرأ منه كثير من الناس لأن النبـــوة تقتضـــي العصمـــة و الكمـــال خاصـــة في البيان و التبليغ فالمخارج في الفم النبوي الشريف تؤدي دورهـــا علـــى أكمـــل وجـــه و هو لا يتأتى لجميع الناس ، ذلك مهم جدا للبحث لأجـــل إبـــراز مـــدى خصوصيـــة مخارج الرسول عليـــه الصـــلاة و الســـلام أو عـــدم خصوصيتـــها . و إطـــلاق هـــذه الخصوصية أو نسبيتها خاصة أننا نعلم بالخبر الصحيح أن النـــاس كـــانوا معجبـــين جـــدا بسماع رسول الله و تكليمه ، و عبد الله بن عمـــرو رضـــي الله عنـــهما كـــان الوحيـــد

---

(1) سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي ، بيروت ن لبنان ، د ت كتاب العلم ، ص 125 .

الذي أذن له الرسول عليه الصلاة و السلام في الكتابة ، و لو فتح الرسول صلى الله عليه و سلم للجميع مجال الكتابة عنه ، لتحولت مجالسه إلى مؤتمرات صحفية شتان بينها و بين المؤتمرات الصحفية في هذا الزمان ، و الرسول لم يكن يملي إلا الرسائل أو العهود و القرآن على كتبته الخاصين فقط ، و مع هذا المنع و الحظر فقد كثر الحفاظ مما يسمعونه من الرسول بالألفاظ و من فاته المنطوق أو تساهل فيه فإنه لا يتساهل في المفهوم و نجد أبا هريرة رضي الله عنه يقول أنه لم يكن أحد من صحابة رسول الله أحفظ منه للحديث إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يحفظ و يكتب أما أبو هريرة فكان يحفظ و لا يكتب .

و من وسائل الوضوح و الصفاء البياني للمعاني كمال الخلقة و جمال المنظر و حسن الصوت قال قتادة : ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه ، حسن الصوت و كان نبيكم صلى الله عليه و سلم حسن الوجه حسن الصوت و هذا ساعد كثيرا على انشداد الناس و انجذابهم إلى النبي عليه الصلاة و السلام لا يسمعون منه الأحاديث الشريفة فقط . و إنما يسمعون منه أيضا القرآن ، يتلوه عليهم بطريقة طريفة غير مألوفة لا علاقة لها بما عرفوه من ترسل الخطباء و إنشاد الشعراء ، و كانو يشعرون بالأثر الصوتي لتلاوته على قلوبهم فلا يستطيعون مقاومتها إلا بالتآمر على النبي بالتشويش عليه و هو يتلو القرآن حتى لا يتأثر الشعب ، أما الزعماء فقد كان لهم من المصالح ما يمنعهم من اتباع الذكر أما الاستماع إليه فلم يكن في مقدورهم مقاومته ،و اقرأ معي هذا الخبر الذي تداولته جميع كتب السيرة النبوية لتدرك مدى عمق التأثير الصوتي النبوي بالقرآن الكريم في الآخرين يقول شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود : "" **رأى القرشيون المشركون أنهم عاجزون عن مقاومة الأثر القاهر الذي تحدثه تلاوة القرآن**

---

(1) أنظر : مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان د ت ، ص 296 .

في صفوفهم فقرروا أن يمنعوا النـــاس مـــن الإنصـــات إليـــه و خوفـــوا بتـــهديداتهم من حاول الإنصات إلى الرسول و هو يتلـــو الكتـــاب المـــنزل كعادتـــه علـــى بـــاب الكعبة و كانوا تارة يجعلون أصابعهم في آذانهـــم لكـــي لا يســـمعوا ترتيلـــه و تـــارة أخرى يصفرون و يصفقون و يصيحون بشـــعر الشـــعراء المشـــركين ليســـكتوه ... و لكن أتدري ماذا كانت النتيجـــة الغريبـــة لقـــد أحـــس هـــؤلاء الذيـــن حرمـــوا الإنصات إلى القرآن ، أحسوا بالرغبة الملحة تعمل في نفوســـهم تلـــك الرغبـــة الـــتي تدفع الإنسان نحو كل ما هو محرم و في ذات ليلة خرج أبـــو ســـفيان و أبـــو جـــهل و الأخنس من بيوتهم ليذهبوا خفية إلى بيـــت الرســـول ، و هنـــاك ألصقـــوا آذانهـــم بالحائط و راحوا يحاولون الاستماع إلى تلاوة بعض الآيـــات الإلهيـــة و شملـــهم ظـــلام الليل ، فلم يلاحظ كل منهم الآخر و لكن طريق الرجـــوع عندمـــا أشـــرق الفجـــر جمعهم وجها لوجه فتلاوموا و قال كـــل منـــهم : لا تعـــودوا فلـــو رآكـــم بعـــض ســـفهائكم لأوقعتـــم في نفســـه شـــيئا ، فـــأخذوا علـــى أنفســـهم عـــهدا غليظـــا بأن لا يقدموا مرة أخرى على مثل تلـــك الحماقـــة ، و لكـــن ليلـــة الغـــد ، و ليلـــة اليوم و الذي تلاه شهدنا نفس الحادث و نفـــس الـــتراجع و التـــلاوم "" [1] .

كان العرب مولعين بالسماع و كانت ثقافتهم الشـــعبية تدفعـــهم إليـــه فـــهي قائمة على الاستحبار و كانوا يعقدون قببا و خيمـــا في اســـواقهم للشـــعراء و الخطبـــاء و نواديهم لم تكن تخلو عندما تخلو من ذلك ، و لكن النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام قد فاجأهم بصنف من الكلام لم يعهدوه و هو القـــرآن الكـــريم و أســـلوب في الإلقـــاء و التأدية لم يعرفوه و هو التلاوة ، فـــأذعنوا لهـــذا و ذاك .

---

(1) د . عبد الحليم محمود : محمد رسول الله ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1985 ، ص 139 .

و تواترت طريقته عليه الصلاة و السلام في ترتيل القرآن و تجويده إلى يوم الناس هذا ، فهذا الجانب اهتم من جوانب الصوت النبوي و هو يتلو القرآن و يجوده أثناء الصلاة و خارجها كان بلا شك له أثره الملموس في أغوار النفوس ، و لا تنكر قيمته في علم اللسان فقد كان الرسول عليه الصلاة و السلام أول معلم للصوتيات و القراءات التي تحرص على إعطاء الحرف في اللسان العربي حقه من الصفات و المخارج ، و بهذا الضبط حفظ القرآن الكريم و حفظت معه اللغة العربية و يمكننا اعتبار الأداء الصوتي النبوي أنه يؤسس قاعدة و مرجعا هاما في علم الأصوات للمختصين و تعليم النطق العربي الفصيح بوجه عام : "" **فعلى كل من أراد نطق العربية على الوجه السليم الصحيح الفصيح أن يراعي مواطن الاستعلاء و الاستفال لكل حرف مع مراعاة مخارج الحروف و تباين الفروق بين حرف و آخر و هذا ما يفتقر إليه كثير من المختصين باللغة و القائمين على تعليمها في البيت و المدرسة و وسائل الإعلام و في مجالات الخطابة و إلقاء الشعر ليس في القراءات فحسب ، و لعل اختلال دقائق الفواصل العضوية التي تميز بينها هو الذي يجعل من بعض الناطقين من لا يقوى على التعبير الصحيح و الإفهام بدقة و إعطاء الحروف و الأصوات حقها من الوضوح في لغة أول ما يميزها عن غيرها من اللغات الفصاحة و اللسن**"" [1] .

و إذا استغللنا الموروث النبوي في القراءات القرآنية و الأداءات الكلامية فإننا نستطيع الحصول على لغة عربية موحدة ، كما هو الشأن في اللغات الحية التي تعتمد في تَعْلِيمِهَا على المحادثة و القراءة و في سلامة حروفها على الكتابة و الإملاء

---

(1) د . نشأة محمد رضا ظبيان : " علوم العربية في الآيات المعجزات " ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 عام 1997 ، ص 36 .

و ليس من قبيل الحشو ما أثبتـــه الـــرواة في الحديـــث الأول أنـــه جـــاء إلى رســـول الله صلى الله عليه و سلم رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوتـــه و لا يفقـــه هـــا يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإســـلام "" فارتفـــاع صوتـــه مـــع عـــدم وضـــوح المخارج طمس المعنى الكلامي و هذا موجـــود عنـــد كثـــير و قـــد تتداخـــل المخـــارج نتيجة ظروف مختلفة يكون ذلك بسبب اضطراب النفـــس لرغبـــة أو رهبـــة أو لتســـارع الهواء و ضيق التنفس بسبب الإجهاد و التعب أو يكون عـــادة لغويـــة مخلـــة بالفصاحـــة لا بد من إزالتها بالدربة و التعلـــم .

و قد تحدث اضطرابات في تخريج الكلام حـــتى بالنســـبة للفصيـــح فيدركـــها و يحس بعبئها فيصححها و يتراجع عنها ، أمـــا النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام فقـــد كمله الله و جمله من هذه الناحية حتى يكون البيان صافيـــا وافيـــا و قـــد وصـــف هنـــد بن أبي هالة المنطق النبوي بقولـــه : " **كـــان رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ليس له راحة و لا يتكلـــم في غـــير حاجـــة ، طويـــل السكوت يفتح الكـــلام و يختمـــه بأشـــداقه ، و يتكلـــم بجوامـــع الكلـــم فصـــلا لا فضول فيه و لا تقصير ، دمثا ليس بالجافي و لا المـــهين يعظـــم النعمـــة و إن قلـــت لا يذم شيئا ، لم يكن يذم ذواقا و لا يمدحـــه و لا يقـــام لغضبـــه إذا تعـــرض للحـــق بشيء حتى ينتصر له ، و لا يغضب لنفسه و لا ينتصر لهـــا ، إذا أشـــار بكفـــه كلـــها و إذا تعجب قلبها ، و إذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامـــه اليمـــنى راحـــة اليســـرى و إذا غضب أعرض و أشاح و إذا فـــرح غـــض طرفـــه ، جـــل ضحكـــه التبســـم و يفتر عن مثل حب الغمام** "" أهـــــ [1] .

فإذا كان يعبر بكل هذه الوسائل ، فإن نصيـــب الصـــوت في التعبـــير النبـــوي قليل ، إذ ما قيس بالوسائل التعبيرية الأخـــرى .

---

(1) أنظر : الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص 290 .

و هنا نطرح سؤالا وجيها ملحاحا : هل كان الرسول عليه الصلاة و السلام يعرف صفات الحروف و مخارجها في اللسان العربي ؟ و هل كان يرمي إلى تمثيل الصوت و تجميله كي يؤثر في الآخرين و الجواب بالطبع لا لأنه لو كان يريد ذلك لفعله قبل البعثة بالتعرض للخطابة و الإنشاد خاصة في سن الشباب فإن أمامنا اليوم أربعين سنة من حياته عليه الصلاة و السلام لم تؤثر فيها عنه كلمة من جهة و من جهة أخرى أن الدراسة العلمية للسان العربي تأخرت لما يقرب من قرن بعد البعثة . و لكن شخصية النبي و ما تفرد به من الفطانة و العصمة و كمال الخلقة و الخلق جعل صوته من أقوى الأدوات التعبيرية التي توسل بها و هو ينشر دعوته المباركة . قال الرافعي : "" **فأنت ترى أن هذا هو النطق الذي يمر بالفكر قبل أن ينطلق إلى الفم و أن العقل فيه من وراء اللسان ، فهو غالب عليه مصرف له حتى لا يعتريه لبس و لا يتخونه نقص ، و ليس إحكام الأداء و روعة الفصاحة و عذوبة المنطق وسلامة النظم إلا صفات كانت فيه عند أسبابها الطبيعية ... لم يتكلف لها عملا ، و لا ارتاض من أجلها رياضة بل خلق مستكمل الأداة فيها ، و نشأ موفر الأسباب عليها كأنه صورة تامة من الطبيعة** العربية "" أهـ [1] .

فلا داعي للوقوف عند رسوم الحروف في العربية و الاحتكام إليها و قد كان يحتكم من أجلها إلى السماع فإن العربية في ذلك الزمن مقربة كانت و معبدة و لم تكن مهربة مبعدة كما هو بعض وضعها اليوم ، فقد وجد الرسول عليه الصلاة و السلام في عصر السليقة العربية التي تعد اللحن عيبا لا يغتفر و لا ينسى. و كانوا متقاربين جدا في المستوى الكلامي و مظاهر الكلام لديهم مشتركة و لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم يتميز في نطقه لولا النبوة و القيادة الزمنية

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، نفس المصدر ، ص 277 .

و الروحية التي أتيحت له فيما بعد مما جعل للكلام دورا وظيفيا مؤكدا لنجاح التبليغ و وصول الرسالة و يستطرد الرافعي محاولا استكناه أسرار منطق النبي عليه الصلاة و السلام بقوله : "" **و لا يمنع أن يكون من فصحاء العرب من يشاركه فيها أو في بعضها فإنما مظاهر للكلام لا غير و إنما الشأن الذي انفرد به النبي صلى الله عليه و سلم أنه مرّه عن النقص الذي يعتري الفصحاء من جهتها أحيانا كثيرة و قليلة لأنها طبيعة فيه او لأن من ورائها تلك النفس العظيمة الكاملة التي غلبت على كل أثر إنساني يصدر عنها حتى قرت أعمالها على نظام لا تعد فيه الفلتة ، و لا يؤخذ عليه مأخذ ، و حتى كأن كل عمل منها كذلك في اصل التركيب و طبع الخلقة . و هذه خصوصية ينفرد بها الأنبياء صلوات الله عليهم إذ هم أمثلة الكمال الإنساني في هذه الخليقة** "" [1]. أهـ

و تجدر الإشارة إلى أن جميع الأصوات الصادرة من الجهاز الصوتي النبوي الشريف . مفعمة بالبيان الذي كنف به عليه الصلاة و السلام في حالتي الإفراد و التركيب و أسلوب الخطاب ، و لذلك فإننا نرى أن البيان النبوي الصوتي يحمل عدة خصائص منها :

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، نفس المصدر ، ص 297 .

أ. القيمة الأخلاقيـــة :

و هي من أخـــص الخصـــائص إذا أن الدعـــوة الإســـلامية جـــاءت مؤكـــدة على الأخلاق و ضرورة تهذيب الصوت الإنساني حـــتى لا يضـــاهي الصـــوت الحيـــواني و نجد في القُرآنِ الكريم مـــن وصيـــة لقمـــان لابنـــه قولـــه تعـــالى : ﴿ **و اغضـــض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [1] كمـــا نجـــد الجـــانب الأخلاقـــي للصوت في توجيهات قرآنية كثيرة منها قوله تعـــالى : ﴿ **يـــا أيـــها الذيـــن آمنـــوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بـــالقول كجـــهر بعضكـــم لبعـــض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون إن الذين يغضـــون أصواتهـــم عنـــد رســـول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهـــم مغفـــرة و أجـــر عظيـــم** ﴾ [2] و كذلـــك قوله تعالى في اقتصاد الصوت : ﴿ **و لا تجـــهر بصلاتـــك و لا تخـــافت بهـــا و ابتـــغ بين ذلك ســـبيلا** ﴾ [3] .

و قد تجســـدت كـــل أخلاقيـــات الصـــوت في البيـــان النبـــوي الشـــريف إذ الإنسان مسؤول عن ألفاظه و أقواله ، و إنها تســـجل جميعـــها فيتحـــرز ألا يســـجل عليه ما يؤذيه و ذلك بالنص القرآني القطعي الدلالة و هو قوله تعـــالى: ﴿ **مـــا يلفـــظ من قول إلا لديه رقيب عتيـــد** ﴾ [4] .

---

(1) سورة لقمان ، الآية : 19 .
(2) سورة الحجرات ، الآيتان : 2 – 3 .
(3) سورة الإسراء : الآية 110 .
(4) سورة ق : الآية 18 .

ب – القيمة التعبيريـــة :

إن الصوت البشري يحمل خصائص فردية متمايزة متداولـــة في الكـــلام فقـــد يكون الكلام واحدا من حيث اللفظ و لكن خـــلال الصـــوت و النـــبرات و النظـــرات و الملامح قد يخرج إلى مقاصد أخرى غير الـــتي وضـــع لهـــا في الأصـــل و قـــد أولـــت البلاغة العربية اهتماما عظيمـــا لهـــذه الظـــاهرة الصوتيـــة في علـــم المعـــاني و مباحثـــه في الأغراض و المقاصد ، التي تفهم من خلال التأدية و الفعـــل الكلامـــي .

و أشار القرآن الكريم إلى ما يمكن أن يتفرع عن الصوت مـــن معـــان مختلفـــة في الدلالـــة و التأويل كقوله تعالى : ﴿ **فلا تخضعـــن بـــالقول فيطمـــع الـــذي في قلبـــه مـــرض و قلن قولا معروفا** ﴾ [1] . و قوله تعـــالى ﴿ **و لتعرفنـــهم في لحـــن القـــول** ﴾ [2] و إذا كان الصوت يحمل هذه الطاقة التعبيرية فإن المتكلـــم الواعـــي بفعلـــه الكلامـــي لا يغفل عنها بحال فهو يســـتصحبها و يســـتخدمها لتخـــدم الأهـــداف الـــتي يتوخاهـــا . و مما تستلزمه الفطانة التي هي صفة أساسية في الأنبياء أن يكونـــوا علـــى وعـــي دائـــم بالطاقة التعبيرية التي يفجرها الصوت و ما تقدمه للحرف و الكلمة مـــن تـــأييد و يـــدل على ذلك عند النبي صلى الله عليه و سلم مـــا وصفتـــه بـــه عائشـــة رضـــي الله عنـــها قائلة : "" ما كان رسول الله صلى الله عليه و ســـلم يســـرد كســـردهم هـــذا و لكـــن يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلـــس إليـــه "" .[3]

و تجلت هذه الخصيصة في الأداء الـــتي لاحظتـــها عائشـــة رضـــي الله عنـــها بوضوح في أنها ساعدت السامعين على التقاط كلام النـــبي وحفظـــه عـــن ظـــهر قلـــب و ذلك مهم جدا في مجال التربية و التعليم و الدعوة بحيث يمـــهل المتكلـــم ســـامعه حـــتى يستوعب الألفاظ و يهضم المعاني و هذا التريث و الإمهال مرتبـــط بمـــا تقتضيـــه الحـــال

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية 32 .
(2) سورة محمد ، الآية 30 .
(3) انظر : سنن أبي داود ، كتاب العلم ، ج2 ، ص 125 .

من الارتباط و الإقبال بحيث يكون السامع مشدودا إلى النبي بنياط القلب و رباط النفس بحيث لا يشعر بأي نوع من أنواع الخرج أو الاستثقال أو الانقباض . بل بالعكس من ذلك إن السامع يحس بالطمأنينة الكاملة و الارتباط الشديد .

و في أحاديث كثيرة نجد كأن الرسول عليه الصلاة و السلام يقطع كلامه تقطيعا و يتوقف و يسكت خلاله و نستطيع أن نلاحظ في كثير من هذه الأحاديث تدخلات الصحابة بالسؤال أو التعقيب من غير أن يقاطعوا النبي عليه الصلاة و السلام لأنه من رحمته بهم و فصته عليه الصلاة و السلام يسكت قليلا أثناء الكلام ليترك للألفاظ صداها في النفوس و مداها في الرؤوس و لذلك قالت عائشة رضي الله عنها أنه كان يتكلم بكلام فصل أي أن النص عنده ينتهي بالجملة القصيرة التي يقترب طرفاها ، و لذلك نستطيع أن نقسم خطبه و أحاديثه إلى جمل كل واحدة قائمة بذاتها مستقلة بدلالتها . كان البخاري يقسم الحديث الواحد إلى عدة أحاديث و يذكره في عدة مواضع حسب ما تقتضيه المواضيع الفقهية التي بنى عليها جامعه الصحيح . و هذه الأحاديث القصار سميت بجوامع الكلم . هذا من جهة و من جهة ثانية أنه كان عندما يسكت أثناء الكلام يتيح فرصة لمن يريد أن يعبر عما يشغله و ربما ليجعل عليه الصلاة و السلام من الحديث محادثة و محاورة و مبادلة و مجاذبة لأطراف حديث .

و في الأمثلة التالية تتجلى لنا حقيقة مهمة في الحديث النبوي أثرت في بنيته النصية أيما تأثير بحيث كان بتقطيع الكلام يشجع التدخلات من غير مقاطعة أو مضايقة ، بدفعه المخاطبين إلى الكلام و التعبير عن نفوسهم دفعا و منعهم من التحرج أو التأذي منعا ، و نستطيع تتبع ذلك بالجدول التالي :

الحديث	كلام الرسول	كلام غيره
1	خمس صلوات في اليوم و الليلة لا إلا أن تطوع ،و صيام رمضان لا إلا أن تطوع ، و ذكر له الزكاة (بالمعنى) لا إلا أن تطوع . ... أفلح إن صدق	فإذا هو يسأل عن الإسلام (بالمعنى) هل علي غيرها ؟ هل علي غيره ؟ هل علي غيرها . ... و الله لا أزيد علي هذا و لا أنقص
16	يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار . تكثرن اللعن و تكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل و دين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها . أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم فذلك من نقصان دينها	و بم يا رسول الله ؟ و ما نقصان ديننا و عقلنا يا رسول الله . بلى . ... بلى
23	... ... يا بلال . قم فناد بالصلاة	اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى بل بوقا مثل قرن اليهود ألا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة ...
26	مروا أبا بكر فليصل بالناس مروا أبا بكر فليصل بالناس إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس	إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس
32	... ألا أخبركم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم و لم يدرككم أحد بعدكم و كنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله تسبحون و تحمدون و تكبرون خلف كل صلاة ثلاثا و ثلاثين .	ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا و النعيم المقيم . يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم و لهم فضل من أموال يحجون بها و يعتمرون و يجاهدون و يتصدقون . ...

الحديث	كلام الرسول	كلام غيره
46	... ما منكم من أحد ، ما مـــن نفـس نفوسـة إلا كتـب مكانها مـن الجنـة و النـار و إلا قـد كتـب شـقية أو سـعيدة . أما أهل السعادة فييســرون لعمـل السـعادة و أمـا أهل الشقاوة فييسرون لعمـل الشـقاوة ... فامـا مـن أعطـى و اتقـى وصـدق بالحسـنى فسنيسـره لليسـرى و أمـا مـن بخـل و اسـتغنى فسنيسـره للعسـرى .	... يا رسول الله أفـلا نتكـل علـى كتابنـا و ندع العمل ، فمن كان منا مـن أهـل السـعادة فسـيصير إلـى عمـل أهـل السعادة ، و أما مـن كـان مـن أهـل الشـقاوة فسـيصير إلـى عمـل أهـل الشقاوة .

المبحث الرابع : الاقتصاد و الكفاية في البيان النبـــوي الصـــوتي

1. النطق و الســـكوت :

إن وظيفة الكلام عند الرسول عليه الصلاة و الســـلام قائمـــة علـــى الفطانـــة و الوعي و التحكم النموذجي في إنفاق الصوت و إطلاقـــه ، و كـــان يســـتخدم كـــل وسائل التعبير التي من بينها النطق و الســـكوت عندمـــا يقتضـــي المقـــام أحدهمـــا دون الأخـــر .

و من دلالات السكوت عند النبي عليه الصـــلاة و الســـلام الموافقـــة و المواطأة و يسميه الفقهاء السنة التقريرية و هي تتنـــاول مـــا شـــهده أو سمعـــه عليـــه الصلاة و السلام فلم ينكره و لم ينه عنـــه .

و قد وردت أحاديث كثيرة من العينة التي بـــين أيدينـــا ســـجل فيـــها الـــرواة بدقة متناهية كلام النبي و سكوته أحيانا أثنـــاء الكـــلام ليفســـح مجـــال الكـــلام لغـــيره من غير مبالغة من الرســـول أو مقاطعـــة مـــن الســـائل أو ليســـمح للســـامع بـــالحفظ و الفهم أو ليعطي للتفكير الدور اللازم في تقدير الألفـــاظ و المعـــاني .

و يعتبر السكوت المدرك الواعي نوعا من أنواع البيـــان – و قـــد ذكرنـــاه في الفصل السابق – و هو الاعتبار ، و بين الاعتبار و العبـــارة علاقـــة تســـمى البيـــان إذ لأشياء تعتبر بمعانيها لمن اعتبر [1] و كـــان الرســـول عليـــه الصـــلاة و الســـلام يجيـــد لسكوت كما يجيد الكلام بالمفهوم البياني فكلامه كـــلام الحكيـــم و ســـكوته ســـكوت لعـــــارف .

---

(1) انظر : قدامة بن جعفر : نقـــد النـــثر ، ص 18 .

و لم يكن كل سكوت النبي عليه الصلاة و السلام يفيد التقرير بل كان يسكت أحيانا على المكروه لحكمة يقدّرها عليه الصلاة و السلام و من أمثلة هذا السكوت .

1- ما رواه البخاري و غيره عن عائشة أن النبي عليه الصلاة و السلام قال لها : ((**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم** - قال ابن الزبير - **بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين ، باب يدخل الناس و باب يخرجون**)) ففعله ابن الزبير[1] .

و ذكر البخاري هذا الحديث بعد باب ترك الجواب للسائل لحكمة اقتضت ذلك في باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس فيقعوا في أشد منه و استنبط الإمام العيني من هذا الحديث فوائد كثيرة تدل على أن السكوت النبوي على بعض المكروه يدل على حسن السياسة و بعد النظر منها قوله : ((**قد يترك يسير من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سببا لفتنة قوم ينكرونه ، و أن النفوس يجب أن تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض ، و إذا تعارضت مصلحة و مفسدة و تعذر الجمع بين فعل المصلحة و ترك المفسدة بدأ بالأهم ... و فيه فكر ولي الأمر في مصالح رعيته و اجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة و إقامة الحد و فيه تأليف قلوبهم و حسن خياطتهم و أن لا ينفروا و لا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي**))[2] هذه المصالح كلها و غيرها كانت تجول في خاطر النبي عليه الصلاة و السلام مع خطورة تفويتها لو فاتحهم بالكلام عما يجول في خاطره ؛ فسياسة الناس تعني دراسة جميع أحوالهم و توقعات ردود أفعالهم و قد سن النبي و هو الحاكم المطاع سنة السكوت

---

(1) صحيح البخاري : كتاب العلم رقم 126 . ج1 ، ص 67 ، و انظر في الملحق ، رقم 8 .

(2) البدر العيني : عمدة القارئ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ج2 ، ص 203 .

عن بعض المصالح المرسلة إذا كانت تثير ردود أفعال غير محمودة ، حتى يحين الوقت المناسب لمفاتحة من يهمه الأمر و يكون قد مر بتمهيدات و مقدمات و يعتبر الكلام أمرا حساسا خاصة في قضية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا سيما إذا كان بغير ضوابط . و لا يجوز لنا أن نتصور أن النبي عليه الصلاة و السلام كان يتكلم كلما رأى منكرا يريد أن يغيره ، أو عن له معروف يود أن ينشره ، و هو يطبق قول الله تعالى المنزل عليه : ((**فذكر إن نفعت الذكرى**)) [1] بل كل النصوص تثبت أنه عليه الصلاة و السلام كان يتفهم الواقع و يحدد المتوقع و لا يتكلم إلا في أوقات يحمد فيها الكلام و لا يحمد السكوت و لا يسكت إلا في ظروف يحمد فيها ا السكوت و لا يحمد الكلام ، و النص التالي يبين لنا سكوت النبي و أمره لجلسائه أن يسكتوا و هم يشاهدون رجلا أعرابيا يبول في المسجد على مرأى من النبي و صحابته .

2- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال : ((قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم : ((**دعوه و هريقوا على بوله سجلا من ماء – أو ذنوبا من ماء – فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين**)) [2] .

فالذي حمل الرسول على السكوت على هذا الفعل المشين داخل المسجد ليس هو الإقرار به و لكن هو عدم الإضرار أكثر بالمخاطب الذي قد يشعر أن كرامته مجروحة و قيمته مداسة فتأخذه العزة بالإثم و إنما غض الطرف عن منكر مؤقت دفعا لمنكر قد يطول وقته في إقناع هذا الرجل و هو في حالة الدفاع عن نفسه و يتحول الأمر من مجرد دعوة و إرشاد إلى خصومة و جلاد ، ثم إن هذا الأعرابي قد تفهم الرسول عليه الصلاة و السلام سلوكه و أنه ليس بدافع الإساءة و انتهاك حرمة المسجد و مجلس النبي و لكنه دافع الجهل و العادة البدوية .

---

(1) سورة الأعلى ، الآية 9 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، رقم 220 ، ج 1 ، ص 92 . و انظر في الملحق رقم 13.

3- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال : ((**لو لا أن أشق على أمتي – أو على الناس – لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**)) [1] .

هذا السكوت كان بالنسبة إلى النبي عليه الصلاة و السلام يعبر عن أكثر مما يعبر عنه الكلام ، و كان يربي عليه أمته في مواطن كثيرة كالتي ذكرناها ، لمن كان في موقع كموقعه عليه الصلاة و السلام في القيادة و الحكم و التعليم ، و رب كلام أبلغ منه السكوت لمن كان له عقل يدرك به حقائق الأمور و دقائق الأسرار . و في الصلوات يحرم الكلام بالإحرام و في صلاة الجمعة يحرم الكلام بخروج الخطيب و شروعه في الخطبة التي تلزم المصلين بالسكوت .

4- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ((**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت – و الإمام يخطب – فقد لغوت**))[2] و اللغو من الأعمال التي يحرص المؤمن على تبرئة نفسه منها بتوجيه من القرآن و النبي عليه الصلاة و السلام .
و دأب المحيط النبوي على اعتبار السكوت أدبا لازما في مواطنه .

5- روى البخاري في باب عنونه بـ : ((**إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم**)) بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ((**أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لا تحت ورقها**)) فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم و ثم أبو بكر و عمر رضي الله عنهما فلما لم يتكلما قال النبي صلى الله عليه و سلم ((**هي النخلة**))

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الجمعة ، رقم 887 ، ج1 ، ص 266 . و انظر في الملحق رقم 33.
(2) صحيح البخاري : كتاب الجمعة ، رقم 934 ، ج1 ، ص 277 . و انظر في الملحق رقم 35 .

فلما خرجت مع أبي قلت : يا أبت وقع في نفسي النخلة قال : ما منعك أن تقولها ؟ لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا و كذا . قال : ما منعني إلا لم أرك و لا أبا بكر تكلمتما فكرهت "" [1].

هذا الأدب في الكلام هو السمة الغالبة على التربية الإسلامية في ذلك العصر بصفة خاصة في اعتبار مواطن الكلام المناسبة و مواطن السكوت الواجب و هذا الخلق الذي تربى عليه الرجال و النساء كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يوجه إليه مباشرة أو يقره ليكون السكوت دليلا على الأدب و الحياء . و قد أمر الرسول الكريم الأبكار أن يعبرن عن رضاهن عندما يستأذنهن أولياؤهن في الزواج بالسكوت .

روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ((**لا تنكح الأيم حتى تستأمر و لا تنكح البكر حتى تستأذن**)) قالوا : يا رسول الله : و كيف إذنها ؟ قال : **أن تسكت**)) [2] .

و ذكر الحديث في رواية أخرى بعبارة : ((**رضاها صمتها**)) .

و هكذا نجد أن التوجيه النبوي إلى عملية التحكم في اللسان و الكلام كانت هدفا تربويا من أجل وضوح التواصل و سلامة التبليغ كما أنها عنصر أساسي في الأخلاق و التربية في مجالات العلم و مقامات الخطاب .

---

(1) البخاري ، الأدب المفرد . دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، عام 1996 ، رقم 365 ، ص 111 .
(2) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، رقم 5136 ، ج9 ، ص 1654 . و انظر في الملحق رقم 104 .

2- الجهر و الخفـوت :

إن الرواة حرصوا علـى نقـل أقـوال الرسـول عليـه الصـلاة و السـلام و حفظها بلفظها مقرونة بسياقاتها و ملابساتها و ظروفـها بمكانهـا و زمانهـا . و نقلـوا في ثناياها أقوال غيره من المشاركين في الكلام أو الحـاضرين و كـانوا بذلـك يقومـون بتسجيل أمين لملابسات و مواقع التحديـث النبـوي ، و قـد لاحـظ الـرواة المثـير الصوتي و أثره التعبيري لـدى النـبي عليـه الصـلاة و السـلام فدونـوا ملاحظـاتهم و استنبطوا أحكاما فقهية عملية جانبية لها منزلتها العلمية مـن مجـرد درجـة الصـوت . لهذا كان البخاري يجعـل الحديـث الواحـد في أبـواب فقهيـة مختلفـة نظـرا لهـذه الملابسات التي تكتنف الحديـث .

لقد سبق أن ذكرنا القيمة الأخلاقيـة الـتي خـص بهـا الصـوت البشـري و التعليمات الشرعية التي حرصت على تهذيب درجة الصوت بحيـث لا يكـون زائـدا على الحاجة و لا ناقصا عنها . و من هذه المواطـن مـا رواه البخـاري عـن عبـد الله بن عمرو قال : ((**تخلف عنا النبي صلـى الله عليـه و سـلم في سـفرة ، سـافرناها فأدركنا و قد أرهقتنا الصلاة و نحن نتوضـأ فجعلنـا نمسـح علـى أرجلنـا فنـادى بأعلى صوته : و يل للأعقاب من النار)) مرتـين أو ثلاثـا** "" [1].

فهذا الحديث أخرجـه البخـاري في كتـاب الطـهارة و في كتـاب العلـم و من الرواة من وضعه في كتاب العلم كالنسائي و منـهم وضعـه في كتـاب الطـهارة كمسلم اعتمادا على الدلالات المسـتفادة مـن ملابسـات الحديـث ، و قـد ترجـم البخاري في كتاب العلم لهذا الحديث بقوله ((باب من رفـع صوتـه بـالعلم)) .

(1) صحيح البخاري : كتاب العلم ، رقم 96 ، ج1 ، ص 58 . و انظر في الملحق رقم 6 .

و استخلص الفقهاء أن العالم أو المعلم يجوز له رفع صوته لكن بالعلم فزيادة الصوت إذا أدت إلى زيادة بيان ، و نقصه إذا أفضى إلى نقصه فالزيادة مطلوبة يقول البدر العيني و هو يستخلص الأحكام و الفوائد من هذا الحديث : ((**إن العالم ينكر ما يرى من التضييع للفرائض و السنن و يغلظ القول في ذلك و يرفع صوته للإنكار ، و جواز رفع الصوت في المناظرة بالعلم**)) [1] .

و الظرف المناسب الذي يتطلب رفع الصوت هو الخطابة التي دفعها الرسول عليه الصلاة و السلام و رفعها عما كانت عليه في الجاهلية و قدمها على الشعر الذي كان مقدما عليها و ما كان لتكون لها هذه الحظوة لولا الانطلاقة الجديدة المتجددة و الانبعاثة القوية التي حباها بها النبي عليه الصلاة و السلام . و قد عني الرواة بوصف النبي عليه الصلاة و السلام و تمثل صورته و هو يخطب فعن جابر رضي الله عنه قال : ((**كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا خطب احمرت عيناه ،و علا صوته و اشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم و مساكم و يقول : بعثت أنا و الساعة كهاتين ويقرن بين إصبعه السبابة و الوسطى**)) [2] و هذه هي مميزات الأسلوب الخطابي الذي يثير الانفعال المطلوب و يضمن بارتفاع الصوت حصول البلاغ المبين من أدنى الحضور إلى الخطيب إلى أبعدهم مجلسا عنه و إذا علمنا أن خطب الرسول عليه الصلاة و السلام كان يحضرها الجم الغفير خاصة في خطبة حجة الوداع بعرفة إذ اجتمع حوله مائة و أربعة و عشرون ألفا أو مائة و أربعة و أربعون ألفا من الناس [3] هذا العدد الهائل الذي لا يسعه أكبر مدرجات الملاعب قام فيهم الرسول عليه الصلاة و السلام خطيبا بدون مكبر صوت و علينا عندئذ أن نتصور الجهد النفسي

---

(1) البدر العيني : عمدة القاري ، ج2 ، ص 7 .

(2) انظر : د.عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، دار إقرأ بيروت ، ط2 ، 1986 ص 263 .

(3) المباركفوري : الرحيق المختوم ، دار الشهاب الجزائر عام 1989 ، ص 542 .

الذي بذله من أجل تبليغ الكلام و رفع الصوت حتى يصل إلى جميع المخاطبين .

و قد رسم بأدائه الخطابي عليه الصلاة و السلام منهجا و سنة لمن أراد أن يحترم السامعين من الخطباء و يحظى بقبولهم باكتمال خطبه من جميع النواحي و خاصة من الناحية الصوتية و الأدبية و الأدائية .

يقول محمد بن علوي المالكي الحسيني في وصف كمال الأدب في الخطب النبوية : ((كانت خطبه مثلا عليا يحق على كل داع إلى الإصلاح أن يقتدي بها و يقتبس من آدابها ، ويسوس النفوس بمثل أساليبها ، و كان يحرص صلى الله عليه و سلم على أن تطرق مواعظه آذان المستمعين متمايزة الحروف مفصلة الكلمات فكان يلقي الخطبة قائما رافعا بها صوته ، و يخطب على مكان مرتفع و لذلك اتخذ المنبر بمسجده بالمدينة ، و يحرص على أن تقع الموعظة في قرارات النفوس)) [1] إلى أن يقول : ((و قد يدع الخطبة العامة و يتجه في أثنائها إلى إرشاد شخص بعينه متى خشي فوات الفريضة)) [2] إنها خطابة واعية بأجواء الخطاب حريصة على البيان و الوضوح أثناء التواصل و هذا سر نجاحها و كانت هناك ظروف تتطلب خفض الصوت كالجنائز مثلا التي كان يخيم فيها الصمت و يستغل الرسول هذا الظرف و لا يكسر جدار الصمت إلا بصعوبة ليعظ الناس موعظة يساهم الظرف في مساعدة الرسول عليه الصلاة و السلام على أدائها و من ذلك ما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه قال : ((كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه و سلم فقعد و قعدنا حوله و معه مِخْصَرَةٌ فنكس فجعل ينكت بمِخْصَرته ثم قال ... الحديث)) [3] . إن هذا الجو الجنائزي المهيب يعقد ألسنة الناس عن الكلام و منهم النبي عليه الصلاة و السلام لبشريته و شدة رحمته و كلمة "ثم" في نص الحديث تدل على مرور فترة من الزمن

---

(1)،(2) محمد المالكي الحسيني ،محمد الإنسان الكامل ، دار الشروق جدة ، ط4 ، عام 1987 ، ، ص 66.
(3) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم 1362 ، ج ، 1ص 405 . و انظر في الملحق رقم 46 .

كان يخيم فيها السكوت و أخذ المخصرة و الاشتغال بها له دلالتـــه في التحليـــل النفســـي و مع ذلك فإن الناس كانوا ينتظـــرون أن يتكلـــم عليـــه الصـــلاة و الســـلام و عندمـــا قعدوا حوله فهم هو ذلك و لذلك لم يفوت الفرصـــة و لا شـــك أن درجـــة الصـــوت في هذا الظرف كانت منخفضة و قد وضع البخاري لهـــذا الحديـــث العنـــوان التـــالي : ((**موعظة المحدث عند القبر و قعـــود أصحابـــه حولـــه**)) و يعلـــق الدكتـــور عبـــد الرحمن طالب على هذا الحديث بقوله : ((**و الفرصـــة في الحديـــث كـــانت تشـــتمل على الأشياء كلها تساعد على تأثير الوعظ في الحـــاضرين آنـــذاك و هـــي : المقـــبرة الجنازة ، حضور الرسول صلى الله عليه و ســـلم ، تنكيـــس الـــرأس ، قـــرع الأرض بالمخصرة ، السكوت ، حفر القبر ، حزن قرابـــة الميـــت ، ثم الموعظـــة البليغـــة الـــتي تشتمل على أمور في القضاء و القدر الســـعادة و الشـــقاوة و يســـتفاد مـــن هـــذا أن الموعظة في المقبرة مطلوبة و مرغوب فيـــهاو نتائجـــها محققـــة ســـيما إذا صـــدرت من مؤمن عالم تقـــي**))[1] .

كما سجل الرواة بأمانة طريقة الســـائلين في طـــرح أســـئلتهم علـــى رســـول الله صلى الله عليه و سلم التي تتطلب الإسماع و رفع الصـــوت حـــتى يبلـــغ إلى مســـامع رسول الله عليه الصلاة و السلام خاصة إذا كـــان الســـائل بعيـــدا عـــن مجلســـه عليـــه الصلاة و السلام و من ذلك ما رواه البخاري بسنده عـــن طلحـــة بـــن عبيـــد قـــال : ((**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من أهل نجد ثـــائر الـــرأس يســـمع دوي صوته و لا يفقه ما يقـــول حـــتى دنـــا فـــإذا هـــو يســـأل عـــن الإســـلام**)) الحديث [2] فإنه كان يسأل الرسول عليه الصلاة و السلام من بعيد الأمـــر الـــذي جعـــل سؤاله غير مفهوم فتطلب الأمر دنوه و قربـــه مـــن النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام . و نستشف من هذا أن البعـــد بـــين طـــرفي الحـــوار يـــؤدي إلى التشـــويش في عمليـــة

---

(1) د . عبد الرحمن طالب : منهجية الاستفادة من الأحاديث النبوية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر عـــام 1993 ، ص 37 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، رقم 46 ،ج1 ، ص 39 . و انظر في الملحق رقم 1 .

التواصل و لكن في الحديث النبوي يكون عدم الوضوح من طرف واحد و هو المخاطب للنبي عليه الصلاة و السلام . إذ ما وجدنا حديثا واحدا أن النبي عليه الصلاة و السلام قال كلاما و استعاده المخاطب فليس لأنه لم يسمعه لأن طريقة كلام الرسول عليه الصلاة و السلام كانت تضمن لكل الحاضرين المنصتين حظهم من البيان النبوي الكريم بدون تشوش و لا غموض و إن كان البعض منهم يحرص على أن يكون قريبا من الرسول عليه الصلاة و السلام و هو يتكلم .

3- التكرار أو الإعادة :

يلاحظ على النصوص النبوية شيوع ظاهرة التكرار أو الإعادة لبعض الصيغ اللفظية بطريقتين مختلفتين فإما أن تأتي اللفظة أو الصيغة مكررة في المتن و إما أن يذكر الراوي الذي سمع كلام الرسول عدد مرات ذكر الرسول لتلك الصيغة أو اللفظة ((**و هذا أسلوب يستوقف الباحث في الحديث الشريف لكثرة ما ورد عليه من أمثلة و شواهد ، و هو يؤكد و يجسد حرص النبي صلى الله عليه و سلم على رسالة ربه**))[1] و خصص البخاري لهذه الظاهرة اللفظية في الحديث النبوي بابا عنونه بالعبارة التالية : ((**من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه فقال ألا و قول الزور فما زال يكررها و قال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه و سلم هل بلغت ثلاثا**))[2] .

و قبل الاستدلال لهذا الباب بألفاظ النبي صلى الله عليه و سلم أذكر ما لاحظه أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم : ((**أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ،و إذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا**))[3] .

---

(1) د . عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، دار البشير ،عمان، ط2 عام 1994 ص 656 .

(2) ، (3) صحيح البخاري كتاب العلم ،ج1 ، ص 58 .

و لن أخوض هنا في مباحث التوكيد البلاغيـــة و النحويـــة لأن ذلـــك مجالـــه الدراسة التركيبية ، لكننا ما دمنا بصدد معاينة الخصـــائص الصوتيـــة في البيـــان النبـــوي فيجدر بنا أن نستشف الحكمـــة التربويـــة و البيداغوجيـــة و التبليغيـــة مـــن وراء هـــذه الظّاهرة اللفظية الصوتية التي تكررت كثيرا في الحديـــث النبـــوي ، و الإمـــام البخـــاري يرى أن تكرار الكلمة لتفهم عنـــه ، و لكنـــا نلاحـــظ أن هـــذه العبـــارات المكـــررة مفهومة من أول مرة ، و لذلك فقد يكون التكـــرار للحفـــظ و قـــد يكـــون التكـــرار للإنذار أو لأغراض مختلفة يقتضيها سياق الحديث و هذه شـــواهد حديثيـــة تمثـــل هـــذه الظاهرة اللفظية المسموعة في البيان النبـــوي .

1- حديث عبد الله بن عمرو : ((**تخلف رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم في سفر سافرناه فأدركنا و قد أرهقنـــا الصـــلاة ، صـــلاة العصـــر و نحـــن نتوضـــأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوتـــه "" ويـــل للأعقـــاب مـــن النـــار ""))** مرتين أو ثلاثـــا [1].

2- حديث أسماء في سؤال القبر أن رسول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم قـــال : ((**إنكم لتفتنون في قبوركم مثـــل – أو قريـــب – لا أدري أي ذلـــك قـــالت أســـماء من فتنة المسيح الدجال ، فأما المؤمن أو الموقـــن – لا أدري أيـــهما – قـــالت أســـماء فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات و الهدى فأجبنـــا و اتبعنـــا هـــو محمـــد))** . ثلاثا ... الحديـــث [2]

(1) صحيح البخاري كتاب العلم ، رقم 96 ج1 ، ص 58 . و انظر في الملحق رقم 6 .
(2) صحيح البخاري كتاب العلم ، رقم 86 ج1 ، ص 55 . و انظر في الملحق رقم 7 .

3- حديث عائشة في مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت : ((**لما مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ... فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس . و أعاد فأعادوا له فعاد الثالثة فقال : إنَّكُنَّ صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر فصلى ...**)) الحديث [1] .

4- حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((**الصيام جنة فلا يرفث و لا يجهل و إن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين**)) الحديث [2] .

هذه العينة تشتمل في متونها على قرائن لفظية تشير إلى التكرار و الإعادة لبعض أجزاء الكلام النبوي مثل مرتين أو ثلاثا أو فأعاد أو مازال يكررها .

و قد يكرر الراوي العبارة نفسها التي كررها الرسول عليه الصلاة و السلام مثلما نجد في بعض الأحاديث منها على سبيل المثال :

1- حديث أبي هريرة : ((**أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، رأى رجلا يسوق بدنة فقال : اركبها فقال : إنها بدنة . فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة ويحك ، في الثانية أو في الثالثة**)) [3] فقد تكررت الكلمة ثلاث مرات بلفظها كما سمعها من النبي عليه الصلاة و السلام و لكنه شك في كم كررها من مرة فقرن الحديث بما فيه شكه .

---

(1) صحيح البخاري كتاب الاذان ، رقم 604 ، ج1 ، ص 197 . و انظر في الملحق رقم 23 .
(2) صحيح البخاري كتاب الصوم ، رقم 1894 ج2 ، ص 564 . و انظر في الملحق رقم 65 .
(3) صحيح البخاري كتاب الحج ، رقم 1689 ج1 ، ص 501 . و انظر في الملحق رقم 61 .

2- الحديث الذي رواه أنس بن مالك أن أبا طلحة قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم : ((**يا رسول الله إن الله قال في كتابه : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون و إن أحب أموالي إلي بير حاء و إنها صدقة لله أرجو برها و ذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت .**

فقال : بخ . ذلك مال رائح ، ذلك مال رائح ، قد سمعت ما قلت و أرى أن تجعلها في الأقربين ، قال : افعل يا رسول الله)) [1] .

3- حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ((**المعدن جبار و البئر جبار ،و العجماء جبار ، و في الركاز الخمس**)) [2]

4- التعبير الانفعالي :

هناك لغة أخرى ليس لها أصوات و لكن لها أدوات تساهم في التواصل و التعبير و لها بلاغتها التي لا يتقنها إلا الأفذاذ من الناس و هي لغة الجسد و حركاته المختلفة ، و كثير من اللغويين لا يعيرون كبير اهتمام لهذا الجانب التعبيري لكنه في مجال المسرح و التمثيل و الدلالة له حظه من العناية و الاهتمام يقول جلين ويلسون : ((**يستخدم البشر لغتين منفصلتين تماما ، و قد تتفق هاتان اللغتان في الرسائل التي تنقلانها أحيانا أما في أحيان أخرى فيحدث الصراع بينها إحدى هاتين اللغتين هي اللغة اللفظية أو اللغة المنطوقة ، و هي اللغة التي نكون نحن جميعا على ألفة بها سواء كانت هي اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو العربية أو أي لغة أخرى إنها اللغة الصالحة لنقل المعلومات حول الحقائق و الأشياء و للتعبير المنطقي و حل المشكلات كما أنها يمكن كتابتها أيضا**

---

(1) صحيح البخاري كتاب الوكالة ، رقم 2318 ج1 ، ص 689 . و انظر في الملحق رقم 80 .
(2) صحيح البخاري كتاب المساقاة ، رقم 2355 ج2 ، ص 702 . و انظر في الملحق رقم 84 .

المكتبة المركزية

لكن هناك لغة أخرى أكثر عموما و هي تسمى لغة الجسد ، و هي لغة تستخدم بشكل لا شعوري و تعبر عن الجوانب الأكثر حقيقة من ذواتنا من مشاعرنا و انفعالاتنا و حاجاتنا و اتجاهاتنا . و هذه اللغة هي الأكثر صعوبة في كتاباتها لكنها ربما كانت هي الأكثر أهمية في العلاقات الشخصية المتبادلة فيما بيننا و هي أيضا اللغة الجديرة بالاهتمام)) [1] . و هذه اللغة التي لا يتلقاها السمع و إنما يتلقاها البصر كثيرا ما تطغى على ما يقوله اللسان و تكون أكثر تعبيرا و أقوى في التواصل و يخلص الكاتب إلى القول : ((**إن البحوث التي أجريت حول المناظرات الرئاسية قد كشفت عن أن الناس يكونون الانطباعات و يصدرون أحكامهم بخصوص الفائز في الانتخابات اعتمادا على أسس تتعلق بلغة الجسد الخاصة بالمرشحين و بدرجة تفوق كثيرا الاعتماد على مضمون ما يقوله المرشحون فعلا))** [2] .

و ما كنت لأدرج هذا الجانب التعبيري من البيان النبوي في إطار الخصائص الصوتية إلا لأنه جزء أساسي في بناء الحديث النبوي و الرواة على اختلاف طبقاتهم أثبتوه و لم يهملوه ، أثبتوه بدقة متناهية في متون الأحاديث و تناقلوه على الدوام . و لأمر آخر و هو أن الرسول عليه الصلاة و السلام يجمع بين بلاغتين و لغتين متعاضدتين إحداهما صائتة و الأخرى صامتة جعلتا معا النبي الكريم ملء السمع و ملء البصر ، ليجيء بيانه سمعيا بصريا في آن واحد ، و قد سجل الرواة ما شاهدوه و ما سمعوه ركبوا بألفاظهم و عباراتهم تلك المشاهدات و لذلك جاء ثلثا السنة بطريقة بصرية تعتمد على المشاهدة و هما السنة العملية و السنة التقريرية .

---

(1) (2) جلين ميلسون : سيكولوجيا فنون الأداء . سلسلة عالم المعرفة ترجمة د. شاكر عبد الحميد ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، عدد 258 ، جوان 2000 ، ص 167-168 .

و قد تنبه البخاري فعنون لبعض الأحاديث القولية التي جمعت إلى اللغة المنطوقة لغة أخرى غير منطوقة بعنوان : ((من أجاب الفتيا بإشارة اليد و الرأس)) .

و إذا تصفحنا الأحاديث القولية المتفق عليها نجد في بعض منها أن الرسول عليه الصلاة و السلام كان يستعمل رأسه و يده وأسارير وجهه بما يناسب موضوع الحديث و منها :

1- حديث عائشة رضي الله عنها في مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه عندما خرج إلى الصلاة و أبو بكر يصلي بالناس ((**فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه و سلم أن مكانك ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه**)) [1] .

فالعبارة المسطورة ليست من لفظ النبي عليه الصلاة و السلام و إنما هي تفسير من الراوي لإشارة النبي اليدوية التي تأمر أبا بكر بمواصلة الصلاة التي أمره الرسول عليه الصلاة و السلام أمرا شفويا مذكورا في متن الحديث أن يصليها بالناس و لذلك استمر أبو بكر في الصلاة بالناس و هو يصلي بصلاة رسول الله .

و نفس الحدث قد وقع لأبي بكر من قبل عندما تقدم للصلاة بالناس ثم جاء رسول الله يشق الصفوف ليصلي إلى جنب أبي بكر و لكن أبا بكر تنحى و تراجع عن الإمامة و اقرأ معي الحديث التالي الذي يبين دور الإشارة الذي تؤديه في البيان النبوي و كيفية تأويلها من الوجوب إلى الالتماس .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الآذان ، رقم 664 ، ج1 ، ص 210 . و انظر في الملحق رقم 26 .

2- عن سهل بن سعيد رضي الله عنه قال : ((**بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم أن بني عمرو بن عوف بقباء كان بينهم شيء فخرج يصلح بينهم في أناس من أصحابه فحبس رسول الله صلى الله عليه و سلم و حانت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حبس و قد حانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس . قال نعم إن شئت . فأقام بلال الصلاة و تقدم أبو بكر رضي الله عنه فكبر للناس ، و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشي في الصفوف يشقها حتى قام في الصف فأخذ الناس في التصفيح - قال سهل التصفيح هو التصفيق - قال : و كان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس التفت فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأشار إليه يأمره أن يصلي** ، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده فحمد الله ثم رجع القهقرى وراءه حتى قام في الصف و تقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلى للناس ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال ...)) الحديث [1] .

3- حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر يوم الجمعة فقال : ((**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه . و أشار بيده يقللها**)) [2] .

و كانت تظهر على صفحات وجهه الكريم أسارير تدل على سريرته و عواطفه و الغضب و الحب و الكراهية ، و إذا غضب على أهله أو على أحد من الناس ظهر على وجهه فلا يحتاج المغضوب عليه إلى العبارة و إنما يحتاج إلى معرفة الخطأ الذي تسبب به في إغضاب الرسول ليصححه إن لم يكن قد عرفه و صححه و من ذلك الحديث التالي :

---

(1) صحيح البخاري : كتاب العمل في الصلاة ، رقم 1218 ، ج1 ، ص 363. و انظر في الملحق رقم 41
(2) صحيح البخاري : كتاب الجمعة . رقم 935 ، ج1 ،ص 278 . و انظر في الملحق رقم 36 .

4- عن عائشة رضي الله عنها : ((**أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهية فقالت : يا رسول الله أتوب إلى الله و إلى رسوله صلى الله عليه و سلم ما ذا أذنبت ؟ فقال صلى الله عليه و سلم ما بال هذه النمرقة ؟...** الحديث)) [1] .

و هو في بعض الأحاديث يستعمل أصابع اليد للإشارة إلى المكان و إلى القرب ، و تكون الإشارة و الحركة الجسدية دائما مطابقة للعبارة القولية و مؤيدة لها .

و أحب أن أختم هذا المبحث بإشراقة لوجه الرسول صلى الله عليه و سلم تزري بإشراقة بدر التمام تعبر عن تأثره بالنكتة اللغوية الكلامية عندما تصدر من المتكلم في المجلس الذي لا يطيب إلا بالانفعال الوجداني و المشاركة النفسية للمخاطبين .

5- قال أبو هريرة : ((**بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه و سلم إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : مالك ؟ قال وقعت على امرأتي و أنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا ، فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، فقال هل تجد إطعام ستين مسكينا ، قال : لا .**

قال : فمكث النبي صلى الله عليه و سلم فبينا نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه و سلم بعرق فيه تمر – و العرق المكتل – قال :أين السائل ؟ قال : أنا قال : خذ هذا فتصدق به ، فقال الرجل : أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ فو الله

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الصوم ، رقم 1957 ، ج2 ، ص 582. و انظر في الملحق رقم 71 .

ما بين لابتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي : فضحك النبي صلى الله عليه و سلم حتى بدت أنيابه ثم قال : أطعمه أهلك)) [1] .

و من المهم جدا أن نلاحظ أن هذا الحديث الذي نقرؤه في اقل من دقيقة قد استغرق فترة من الزمن لم تكن بالقصيرة إذ أن الرسول عليه الصلاة و السلام مكث مدة و انقطع عن مخاطبة السائل و خاض مع أصحابه في شؤون أخرى من الكلام حتى جاءت الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسأل عن الرجل و أعطاها إياه ليتصدق بها لينشط الحديث بينهما من جديد ، و كان ضحك النبي صلى الله عليه و سلم و كان جل ضحكه التبسم و لكن هذه المرة تبسم حتى كأنه ضحك لظهور أنيابه ليعطيه حكما آخر لم يكن منتظرا و هو الصدقة على الأهل .

لقد كان وجود النبي نفسه يعبر عن معاني كثيرة ، و يثير مشاعر مختلفة و لذلك عندما نرى النصوص النبوية اليوم مكتوبة علينا أن نقرأها و نحن نتصور شخصية النبي عليه الصلاة و السلام ، لأن القراءة التعبيرية التي تمثل المعنى للنصوص النبوية هي التي تقارب المعاني التي تؤديها و تعنيها .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب البيوع ، رقم 2105 ، ج2 ، ص627 . و انظر في الملحق رقم 78.
(2) صحيح البخاري : كتاب الصوم رقم 1936 ، ج2 ، ص 575 . و انظر في الملحق رقم 66 .

و في الخلاصة لقد أوتي الإنسان القدرة على الكلام و جعل كلامه مرآة لقلبه و عقله و هو أداة التواصل بين الناس و وسيلة الإعراب عن مكنونات النفس و مكبوتات الفؤاد . و يمثل كلام الرسول صلى الله عليه و سلم مرتبة فوق كلام البشر و دون القرآن ، و سمي حديثا لأنه صدر عن مشافهة و سماع .

و قد بينت في هذا الفصل الخصائص الصوتية التي يعتمد عليها التعبير الشفهي في الأساس من صفاء الحروف و سلامة المخارج و أدب الحوار و لطف المحادثة و استعمال التكرار و توظيف الإشارة و استغلال الصورة و الموقف .

إن الحديث النبوي حديث شفوي متداول عل الألسنة قبل أن يستقر في الدواوين و الكتب ، و يعتبر نموذجا للمجالسة و المحادثة الفعالة البناءة الجذابة التي تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام ، قال المسعودي : ((**و قد قالت الحكماء في هذا و أكثرت ، و أمرت بحسن الاستماع و الصمت و أطنبت . فقالوا: لا تحسن المحادثة إلا بحسن الفهم ، و قالوا : تعلم حسن الاستماع هو إمهال المحدث حتى ينقضي حديثه**)) [1] . و قد لاحظنا أن الحديث النبوي كان خاليا من المؤثرات الخارجية كالفوضى و التشويش و المقاطعة و المعارضة و المناقصة و إنما هو حديث ليس فيه هجوم و لا تكلف قائم على قواعد صوتية تعتمد على حسن الكلام و حسن الاستماع . و علينا اليوم عندما نقرأ الحديث أن لا ننسى أنه رواية لنشاط لغوي شفوي له ملابساته الصوتية و الحسية و مقاماته الموضوعية التي سجل الرواة بعضها كما ذكرنا . و لكنهم لم يستطيعوا أن يسجلوا الصوت و الصورة إلا في ذاكرتهم ،و لهذا السبب تناقل كثير من الناس النصوص النبوية كأنها نصوص مكتوبة و هي في الحقيقة نصوص مسموعة تعتمد على الصوت و التقاطه .

---

(1) المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر ، دار المعرفة ، بيروت 1983 ، ج4 ، ص 269 .

الفصل الثاني : الخصائص الإفرادية في البيان النبوي

المبحث الأول : تعريف الكلمـــــة

المبحث الثاني : خصائص الأسماء في البيان النبوي

1- الاسم في اللسان العربي
2- أسماء الله الحسنى
3- أسماء الأعلام
4- الأسماء و الألقاب و الكنى
5- أسماء المعاني الجديدة
6- الألفاظ الغريبة

المبحث الثالث : شك الراوي في المفردة

المبحث الرابع : اختلاف الألفاظ في الحديث الشريف

المبحث الأول : تعريف الكلمـــة

تطلق الكلمة في اللسان العربي على الكلام المركب المفيد و علـــى المفـــردة الـــتي نعنى بها في هذا الفصل و خصائصها في البيان النبوي . و الكـــلام لا يـــراد بـــه الكلمـــة المفردة لأن الكلام كما يعرفه النحاة هو القول المركـــب المفيـــد بـــالوضع . و إن كـــان يبدو شكليا من خلال النطق أو الكتابة أن بعض الكلام قد يتـــألف مـــن كلمـــة واحـــدة مثل قولنا في الجواب نعم أو لا أو شـــكرا أو اســـكت ، ففـــي الواقـــع هنـــاك حـــذف واجب أو جائز أو استتار جائز أو واجب أيضا لأن الكـــلام لابـــد أن يســـتوفي ركـــني الإسناد و هما المسند و المسند إليـــه .

و قد عرف الشريف الجرجاني الكـــلام بقولـــه : " **هـــو مـــا تضمـــن كلمتـــين بالإسناد** " [1] و هو تعريف ناقص فقد يتضمن الكلام أكـــثر مـــن كلمـــتين و أعتقـــد أن هذا التعريف يصدق على أقل ما تبنى عليه الجملة من كلمـــات ، أمـــا الكـــلام فيتضمـــن العدد الكافي من الكلمات التي يقتضيها البيان و الإعراب عـــن المعـــاني . و لكـــن هـــذا التعريف يدل على أن الكلمة الواحدة لا تسمى كلامـــا . حـــتى تـــؤدي معنـــاه و هـــو الإفادة و عندئذ و إن بدت شكليا أنها واحدة فـــهي تخفـــي في ظلـــها أختـــا أو أكـــثر و يعود الشريف الجرجاني بعد هذا التعريف ليسوق تعريفا آخـــر للكـــلام في اصطـــلاح النحويين و هو : " **المعنى المركب الذي فيه الإســـناد التـــام** " [2] .

و سقت تعريف الكلام عرضا بين يـــدي الحديـــث عـــن خصـــائص الكلمـــة في البيان النبوي و ما ذلك بخروج عن الموضوع بل إنه مـــن صميمـــه إذ أن لحمـــة الكـــلام و سداه إنما هما الكلمات و المفردات المعجمية الجـــاهزة الـــتي يســـتغلها المتكلـــم أثنـــاء خطابه و ينسج منها لغته الخاصـــة .

---

(1) -(2) الشريف الجرجـــاني ، التعريفـــات ، ص 130 .

و يعرف الدكتور تمام حسان الكلمة العربية بأنها : " صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم . و تصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير موضعها ، أو يستبدل بها غيرها في السياق و ترجع في مادتها غالبا إلى اصول ثلاثة ، و قد تلحق بها زوائد "[1].

و هذا التعريف الذي نستأنس به في تحليلنا لخصائص الكلمات في البيان النبوي من خلال الإفراد عن السياق لدراسة المعجم اللغوي المستخدم و الموظف عند النبي عليه الصلاة و السلام . و ما من شك في أن المفردات وحدات دالة على معان جزئية . و هي اصغر وحدة دالة في الكلام و إذا أخرجناها من إطارها الكلامي و جردناها من السياق و فككناها عن التركيب فنكون عندئذ قد جردناها من روحها و رونقها لندرسها دراسة معجمية قاصرة عن الدلالة الكلية التي تؤديها هذه الكلمات في إطار الجملة و قد تنبه إلى هذه الصعوبة الدكتور تمام حسان حين قال :"يدور المعجم حول الكلمة إيضاحا و شرحا ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي و هذا المعنى قاصر في حقيقته عن المعنى الاجتماعي أو الدلالي الذي يُعْنَى بِتتبعِ الجملة أو قل الحدث الكلامي و ما يحيط به من ما جريات "[2].

و قد اعتنى النحويون و البلاغيون العرب بألفاظ الحديث النبوي و ألفوا في ذلك كتبا صرفوا فيها عنايتهم إلى شرح المفردات التي يحتاج إلى شرحها و من هذه الكتب : المجازات النبوية للشريف الرضي و الفائق في غريب الحديث للزمخشري و في مقدمة فتح الباري جزء خاص بغريب الحديث و غرضي في هذا الفصل دراسة القاموس النبوي المتداول في الحديث و اثره في اللغة بصفة عامة . فالمعجم العربي مليء بالألفاظ و المفردات و لكن يختلف الناس في استعمال بعضها و إهمال بعضها الآخر وإبدال بعضها من بعض و لكل شخص أو جماعة أو شعب القاموس

---

(1) د.تمام حسان : مناهج البحث في اللغة . ص 266 .
[د.تمام حسان : مناهج البحث في اللغة . ص 258.

الخاص في إطار اللغة الواحدة ؛ إذ أننا لو كنا نعرف جميع ألفاظ اللغة فإننا لا نستعملها جميعها و لا يستخدم جميع الناس نفس القاموس رغم وجود القاموس المشترك بينهم . إذ تختلف المواضيع و النسبة في استعمال من شخص إلى آخر و يتجه علم النفس اللغوي الحديث في هذا الاتجاه لتوصل إلى معرفة العادات اللفظية لدى المتكلم التي قد تؤثر في اللغة بصفة عامة و هذا اشتهرت عند العرب في إطار اللغة العربية لغات كثيرة محترمة كلغة تميم و لغة قريش و في نفس الاتجاه يبحث علم الاجتماع اللغوي أيضا .

و من المؤكد أننا عندما نستعرض مفردات حديث النبوي من الناحية الإفرادية بعزلها عن سياق الحال و المقال فإننا سنرمي إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- القاموس النبوي و دلالته على نفسية نبي عليه الصلاة و السلام .
2- السمات العامة للألفاظ المتداولة التي تشكل ظاهرة معينة في البيان النبوي .
3- الإضافات المعجمية للغة من خلال إحداث تغيير في الدلالات و المعاني أو تهذيبها .

و سوف أحاول قدر المستطاع تجاوز سبح معجمي في دراسة ألفاظ النبوة إلى المنهج النسقي التداولي لتحديد الخصائص العامة لهذه الألفاظ و أنواعها و دلالتها في هذا البيان المشرق .

المبحث الثاني : خصائص الأسماء في البيـــان النبـــوي .

1- الاسم في اللسان العـــربي :

يعرف الشريف الجرجاني الاسم بقوله : " الاسم مـــا دل علـــى معـــنى في نفســـه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ، و هو ينقسم إلى اسم عين و هـــو الـــدال علـــى معـــنى يقوم بذاته كزيد و عمرو ، و إلى اسم معنى و هو مـــا لا يقـــوم بذاتـــه ، ســـواء كـــان معناه وجوديا كالعلم أو عدميا كالجـــهل "[1] .

و ذكر ابن فارس أقوالا متفرقة لعلماء عصره يحـــاولون أن يضعـــوا فيـــها حـــدا للاسم و لكنه نقدها جميعا لقصورها و عدم إحاطتها بـــالمعرف بـــه و لكنـــه في الأخـــير هو أيضا عجز عن تقديم تعريف يشفي الصدور و هذا بقولـــه : " فأمـــا الاســـم فقـــال سيبويه الاسم نحو رجل و فرس و هذا عند نحويين و مـــا أراد بـــه ســـيبويه التحديـــد إلا أن أناسا حكوا عنه أن الاسم هو المحـــدث عنـــه . و هـــذا شـــبيه بـــالقول الأول ، لأن كيف اسم و لا يجوز أن يحدث عنه . و سمعت أبا عبد الله بـــن محمـــد بـــن داود الفقيـــه يقول : سمعت أبا العباس محمد بن زيد المـــبرد يقـــول مذهـــب ســـيبويه أن الاســـم مـــا صلح أن يكون فاعلا ... قال : و عارضه بعض أصحابه في هـــذا الشـــأن بـــأن كيـــف و عند و حيث و بين أسماء و هي لا تصـــح أن تكـــون فاعلـــة ... و قـــال الكســـائي: الاسم ما وصف و هذا أيضا معارض بما قبله مـــن كيـــف و أيـــن أنهمـــا اســـمان و لا ينعتـــان .

و كان الفراء يقول : الاسم ما احتمل التنوين أو الإضافـــة أو الألـــف و الـــلام و هذا القول أيضا معارض بما ذكرنـــاه أو نذكـــره مـــن الأســـماء الـــتي لا تنـــون و لا تضاف و لا يضاف إليها و لا يدخلها الألف و الـــلام . و كـــان الأخفـــش يقـــول إذا وجدت شيئا يحسن له الفعل و الصفة نحو زيـــد قـــام و زيـــد قـــائم ثم وجدتـــه يثـــنى

---

(1) الشريف الجرجـــاني : التعريفـــات ، ص 21 .

و يجمع نحو قولك الزيدان و الزيدون ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم و قال أيضا ما حسن فيه ينفعني و يضرني ، و قال قوم ما دخل عليه حرف من حروف الخفض ، و هذا قول هشام و غيره و له قول آخر إن الاسم ما نودي و كل ذلك معارض بما ذكرناه من كيف و أين و قولنا إذا و إذا اسم لحين "[1] . ثم يخلص في النهاية فيقول : " هذه مقالات القوم في حد الاسم يعارضها ما قد ذكرته و ما أعلم شيئا مما ذكرته سلم من معارضة ، و الله أعلم أي ذلك أصح و ذكر لي بعض أهل العربية أن الاسم ما كان مستقرا على المسمى وقت ذكرك إياه و لازما له و هذا قريب " أهـ[2]

و من خلال هذا النص المطول لإمام من أئمة العربية في القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي يتبين لنا اضطراب الحد و عدم التوصل إلى تعريف دقيق للاسم لأن كل الذي ذكروه في تعريف الاسم ليس في الحقيقة تعريفا و إنما هو تمثيل أو علامات تطرأ على الإسم من حين لآخر . و حتى معارضة ابن فارس تبدو بدائية جدا ، إذ لا وجه لها و لو أنه جمع تلك الأقوال كلها لألف منها نظرية تتعلق بعلامات الاسم التي يعرف بها ، و يبدو أن إشكالية تعريف الاسم قد استعصت حتى على النحويين فهذا ابن هشام استدرك ما فات ابن فارس و هو يعرف الاسم بعلاماته فيقول : " فأما الاسم فيعرف بأل كالرجل ، و بالتنوين كرجل و بالحديث عنه كتاء ضربت ، و هو ضربان معرب و هو ما يتغير آخره بسبب العوامل الداخلة عليه ، و مبني و هو بخلافه "[3] .

و لا نستطرد كثيرا في سوق الأقوال المحاولة تحديد مفهوم الاسم إلا أنه يبدو لنا أن تعريف الجرجاني أكثر تعبيرا عن المفهوم و تبقى العلامات أهم السمات التي يعرف بها و هي سمات تظهر على البنية الصوتية و هي :

---

(1) ابن فارس ، الصاحبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، عام 1997 ، ص 48 و 49 .
(2) ابن فارس ، نفس المصدر ، ص 49 .
(3) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، دار رحاب لي – الجزائر – د ت ، ص 18 .

أل التعريفية أو التنكير أو الإضافة و هذه الثلاثة لا تجتمع واحدة منها مع أختيها في اسم واحد . اللهم إلا النكرة التي تضاف إلى النكرة و لكنها تؤثر فيها كقوله صلى الله عليه و سلم لمن جاءه يسأله عن الإسلام: "خمس صلوات في اليوم و الليلة ..."[1].

و يعرف الاسم أيضا بالنداء ، و أخص ما يعرف به الإسناد إليه .

و هو ما يفسر ببساطة لإفادة الوضوح بالحديث عنه . و قال ابن مالك في ألفيته :

بالجر و التنوين و النـــدا و أل و مسند للاسم تمييز حصل

و الاسم قد خصص بالجر كما قد خصص الفعل بأن ينجز ما

و هناك أنواع كثيرة من الأسماء بحسب الوضع أو الاشتقاق الصرفي أو التركيب النحوي . و ما دمنا في معرض الحديث عن الخصائص الإفرادية فلن أخوض في أنواع الأسماء التي يحددها التركيب النحوي .

2- أسماء الله الحسنى :

لقد جاءت البعثة المحمدية من أجل التوحيد و نبذ عقيدة الشرك و تعريف الناس بخالقهم و رازقهم و تبليغهم رسالاته و نداءاته (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالاته و الله يعصمك من الناس ...**)[2] .

و قد عرف الله نفسه للناس بأسمائه و صفاته و أفعاله التي تنزهه عن النظير و الشبيه. و قد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الله تعالى خص نفسه بأسماء تفرد بها لا يشاركه فيها أحد و هي كلها لله وحده سبحانه و تعالى و من دعاه و عبده بأي واحد منها فقد حصل له التوحيد المطلوب . قال الله تعالى : (**رب السماوات و الأرض و ما بينهما فاعبده و اصطبر لعبادته هل تعلم له سميا**)[3].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم 46 ، ج1 ص 39 ، و انظر في الملحق حديث رقم 1 .
(2) سورة المائدة ، الآية 67 .
(3) سورة مريم ، الآية 65 .

و قال : (الله لا إله إلا هو له الأسمـــاء حـــسنى)[1] كمـــا قـــال : (قـــل ادعـــوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسمـــاء حســـنى)[2] .

كما أحيط الإسلام قرآناً و سنة كل فكرة مبدعـــة في الجاهليـــة لآلهـــة و همـــية مادية كالأصنام أو خيالية و أبدلها بأسمـــاء حسـنى و بذلـــك تغـــير المعبـــود لفظـــا و معنى . فانتهى طور بألفاظه و معانيه و بدأ عصر جديـــد بألفاظـــه الجميلـــة و معانيـــه الجليلـة .

قال الله تعالى : (أفرأيتم الـــلات و العـــزى و منـــاة الثالثـــة الأخـــرى ألكـــم الذكر و له الأنثى تلـــك إذا قســـمة ضـــيزى إن هـــي إلا أسمـــاء سميتموهـــا أنتـــم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعـــون إلا الظـــن و مـــا تهـــوى الأنفـــس و لقد جاءهم من ربهم الهـــدى)[3]

فكثر تداول أسماء الله تعـــالى عـــلى ألسنة ، و نشـــط النـــاس في ترديدهـــا في عبادتهم و عاداتهم لسهولتها و عذوبتها ، و حرصهم منـــها لفـــظ الجلالـــة " الله " الـــذي يعرفه الجرجاني قائلا : " **الله علم دال على الله الحق دلالـــة جامعـــة لمعـــاني الأسمـــاء الحسنى كلـــها** "[4] .

و جميع الأحـــاديث النبويـــة مرصعـــة بألفـــاظ الجلالـــة الدالـــة علـــى ذات الله أو صفاته ، هذه الأسماء الحسنى تتـــوزع عـــلى الســـياقات التاليـــة في البنـــاء اللغـــوي للحديـــث .

1- القسم : فـــوالله

2- ذكر الله بالقصد : لا يمل الله حـــتى تملـــوا .

3- الدعاء : صلى الله عليه و ســـلم - أشـــدك الله .

---

(1) سورة طه ، الآيـــة 8 .
(2) سورة الإسراء ، الآيـــة 110 .
(3) سورة النجم ، الآيات مـــن (19 إلـــى 23)
(4) الجرجـــاني : التعريفـــات ، ص 27 .

4- الإضافة : رسول الله - عبـــد الله

و من أراد أن يحصيها فأمامه وقت طويل ... لكنه نـــوع مـــن العبـــث الـــذي لا طائل فيه فالكثرة ماثلة عيانا و كفى بها برهانا ... لكنها كثـــيرة خفيفـــة لا يشـــعر بهـــا من يسرد الأحاديث و لكنه عندما يدقق النظر في الألفـــاظ بأنواعـــها الثلاثـــة سيجد أن أكثرها ذكرا الله التي تزين البناء اللغوي للسيرة و تجسـد أمريـن مـهمين في النشاط اللساني الجديد الذي أحدثته البعثـــة محمديـــة :

الأول : يظهر في قوله تعالى : " **يا أيـــها الذيـــن آمنـــوا اذكـــروا الله ذكـــرا كثـــيرا و سبحوه بكرة و أصيلا** " [1] . فلم يؤمر المسلمون بالإكثـــار مـــن فعـــل إلا ذكـــر الله فكثرة ذكر الله في الحديث و العبادة له أثـــره الســـلوكي و النفســـي و اللغـــوي أيضـــا . و قد حققه عليه الصلاة و السلام فهو أكـــثر الذاكريـــن و أكـــبر الشـــاكرين و أفضـــل العـــابـــــدين .

الثاني : يظهر في قوله تعالى : " **و رفعنا لـــك ذكـــرك** " [2] إذ ارتبـــط اســـم الرســـول باسم الله تعالى في كلمة التوحيد و هي لا إلـــه إلا الله محمـــد رســـول الله و في الصـــلاة على النبي بعد التلفظ باسمه أو سماعـــه صـــلى الله عليـــه و ســـلم بعـــد التلفـــظ باســـمه أو سماعه يقول السيد قطب ما قاله المفســـرون : " و رفعنـــا **لـــك ذكـــرك رفعنـــاه في الملأ الأعلى ، و رفعناه في الأرض و رفعناه في هذا الوجـــود جميعـــا ، رفعنـــاه فجعلنـــا اسمك مقرونا باسم الله كلما تحركت بـــه الشـــفاه** " [3] .

و كان عليه الصلاة و السلام حريصـــا علـــى تعلـــيم النـــاس أســـماء الله تعـــالى و صفاته تعليما مباشرا كلما دعت المناسبة إلى ذلك ، و قـــد ثبـــت هـــذا في أحـــاديث صحيحة كثيرة منـــها :

---

(1) سورة الأحـــزاب ، الآيـــات 41-42 .
(2) سورة الشرح ، الآيـــة 4 .
(3) سيد قطب : في ظـــلال القـــرآن ، دار الشـــروق ، بـــيروت ، ط10 عـــام 1982 ، ج6 ، ص 3930 .

✱ روى البخاري عن عبد الله قال : " **كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده و السلام على فلان و فلان . فقال النبي عليه الصلاة و السلام : " لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام و لكن قولوا : التحيات لله و الصلوات و الطيبات** " الحديث [1] .

3 – أسماء الأعلام :

إذا اعتبرنا الإسناد الأساس التوثيقي الذي يقوم عليه متن الحديث النبوي فإننا نجد هذا الإسناد يتركب من أسماء كثيرة مترابطة تسمى السلسلة التي تعني رواية الحديث و تلقيه من طرفه إلى منتهاه و هو النبي عليه الصلاة و السلام .

يقول ابن الصلاح : " التسلسل من نعوت الأسانيد و هو عبارة عن تتابع رجال الإسناد و تواردهم فيه واحدا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة " [2] و يتسلسل هؤلاء الأعلام في السند بألفاظ تدل على صفة الرواية و التحمل و نوضح ذلك بالجدول التالي في إسناد بعض الأحاديث .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الأذان رقم 835 ، ج1 ص 254 ، و انظر في الملحق رقم 31 .
(2) مقدمة ابن الصلاح ، ص 161 .

الرقم	المدون	العلاقة	الراوي	العلاقة	الراوي	العلاقة	الراوي
01	البخاري	حدثنا	إسماعيل	قال حدثني	مالك بن أنس	عن	عمه أبي سهيل بن مالك
		عن	أبيه	أنه سمع	طلحة بن عبد الله	يقول :	
02	البخاري	حدثنا	إسماعيل	قال حدثنا	مالك	عن	ابن شهاب
		عن قال	حميد بن عبد الرحمن	عن	أبي هريرة	أن	رسول الله (ص)
03	البخاري	حدثنا	علي بن الجعد	قال أخبرنا	شعبة	عن	أبي حمزة
		قال كنت أقعد مع	ابن عباس	ثم قال :			

و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإمام البخاري توفي سنة 256 هـ فإننا ندرك أن هذه السلسلة المتشابكة من الأعلام تمثل طريقا زمنيا مأمونا عبر أكثر من قرنين لسيرورة الحديث النبوي الشفهية قبل تدوين و هو ما يمثل ثلاثة أو أربعة أجيال :

و ينقسم الأعلام في السند إلى فئات أعلاها طبقة الصحابة و هم الذين نقلوا الحديث عن الرسول مباشرة و منهم نساء كعائشة أم المؤمنين و تليها طبقة التابعين و هم الذين لم يعاصروا النبي و لكن عاصروا الصحابة عليهم الرضوان و تليها طبقة ثالثة و هم الذين لم يعاصروا الصحابة و لكن عاصروا التابعين و يسمون بتابعي التابعين ، و بعدهم قل الحفظ و ظهرت الحاجة إلى الضبط فظهر عصر الأئمة الحفاظ الذين أدركوا أن عصور المشافهة انتهت عندما اجتهدوا في تلقي الحديث الصحيح و تدوينه .

كما ينبغي ألا ننسى أن هؤلاء الأعلام الذين تناقلوا الحديث من جيل إلى جيل هم أعلام عصرهم في العلم و الضبط و الورع و الاستقامة العدول و تراجمهم

معروفة مشهورة في كتب الطبقات و الجرح و التعديل ، و أحكام العلماء في توثيقهم مدونة في مظانها و مواطنها .

تشكلت من هؤلاء الأعلام حركة ثقافية واسعة تعنى بتراجمهم و توثيقهم و البحث في سيرهم و أحوالهم .

كان الإمام البخاري صارما في عملية تعديل الراوي إذ يشترط المعاصرة و اللقاء و لهذا سلسل هؤلاء الأعلام بألفاظ تدل على اللقاء و السماع : حدثني حدثنا - قال حدثني - قال حدثنا أنه سمع ، كنت اقعد مع - ثم قال - يقول أخبرني ، قال أخبرني أخبره أخبرنا ، يقول سألت ، فقال : و هذه الألفاظ تدل على التحديث و السماع ، كما أن هناك العنعنة و تكون بلفظ (عن) و هي أيضا يجري حولها المحدثون تحقيقا لإثبات اللقاء و السماع بين الطرفين .

إنّ الإسناد أصبح ضرورة بعد القرن الثاني من الهجرة حيث قل الضبط و ظهر الخلط و انكمشت الرواية و تراجعت درجة التواتر يقول الدكتور عجاج الخطيب : " **فما نقل من الأحاديث نقلا متواترا لا يحتاج إلى دراسة أسانيده لأن غاية ما تنهي إليه الدراسة يحققه النقل المتواتر الذي يفيد القطع و يورث اليقين و هو أعلى درجات النقل ، و ما لم يبلغ حد التواتر فلا بد من إسناده ليعرف مخرجه و طريقه و أحوال رجاله من صدق و ضبط و عدالة فيقبل خبر من توفرت فيه شروط النقل دون من لم تتوفر فيه جميعها أو بعضها إلى جانب دراسة الجوانب الأخرى المتعلقة بالمتن و الإسناد ليحكم على الخبر بالقبول أو الرد** " [1] .

(1) د . محمد عجاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث ، ص 31 .

و يشترط في صحة السلسلة وجود العلاقة بين الراوي و المروي عنه التي يستفاد منها السماع و لهذا اشترط البخاري في تتبع أحوال رجال إسناده حصول اللقاء الذي فيه الجزم بالتحديث والسماع أو ما يفيد غلبة الظن .

و بسبب هذه العلاقة فإن التلقي يكون إما بصيغة التحديث أو العنعنة : **" و القاعدة في مصطلح الحديث أن الشخص إذا سمع الحديث بمفرده من الشيخ يقول : " حدثني " و إذا سمع ذلك من الشيخ مع جماعة يقول : " حدثنا " و إن قرأ الطالب بمفرده على الشيخ و هو يستمع إليه فيقول : " أخبرني " و إن سمع الطالب شخصا يقرأ على الشيخ يقول أخبرنا "** [1].

و قد جمع السيوطي هذه الطرق بقوله :

و استحسنوا لمفرد حدثني و قارئ بنفسه أخبرني

و إن يحدث جملة حدثنا و إن سمعت قارئا أخبرنا

أما العنعنة فهي التي يرمز لها بحرف عن التي ليس فيها تصريح من الراوي بالسماع بإحدى الصيغ الأربعة السابقة ، و صيغة العنعنة عند البخاري قليلة و هي عنده تفيد الإسناد المتصل لتوفر الشروط التي وضعها لقبول المعنعن و هي عدالة الرواة و ثبوت لقاء الراوي بمن روى عنه و البراءة من التدليس .

و نُحَصِّلُ اليوم من جراء فحص الإسناد و رجاله أن الذين نقل عنهم المدونون حديث رسول الله عليه الصلاة و السلام ليسوا عامة الناس و إن كانوا يحفظون بعض الأحاديث خاصة المتواترة منها لأن الحديث كان يمثل جزءا مهما من الثقافة الشعبية الدينية و إنما نقلوه رسميا من الشيوخ الذين تحملوا الحديث بطريقة رسمية و أدوه بطريقة رسميةو دونه بعد ذلك المدونون بتلك الطريقة الرسمية العلمية المضبوطة .

---

(1) د .عبد الرحمن طالب ، منهج الاستفادة من الأحاديث النبوية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1993 ، ص 38 .

و بهذه الطريقة في انتقـــاء الـــرواة و اشـــتراط الصرامـــة في تعديلـــهم و قبـــول روايتهم دون الحديث متواتره و آحاده و نستخلص من ذلك مـــا يلـــي :

1- هؤلاء الأعلام هم كبار الشيوخ الذين اشتغلوا بالبيان النبـــوي و نقلـــه و نشـــره في النـــاس.

2- إن هناك أعلاما آخرين أقل ضبطا ، أو أخطوا شـــرطا لم يـــرو عنـــهم البخـــاري و إن كان حديثهم صحيحا و نقلهم دقيقـــا و مـــن هـــؤلاء الـــرواة غـــير المتخصصـــين أو الذين عرفوا برقة في دينهم فالحديث لن ينقل من ثقافـــة النـــاس و إنمـــا مـــن صـــدور العدول الضـــابطين.

3- لهذا السبب كثرت كتب الحديث و أرخى بعضـــهم حبـــل الشـــروط الشـــديد الذي وضعه البخاري على الرواة ، و لكن مع ذلك كان أصـــح الكتـــب بعـــد كتـــاب الله صحيح البخاري الذي صرح عنه بنفسه أنه لم يجمع فيـــه كـــل الصحيـــح و أبقـــى الباب مفتوحا لمن بعـــده .

4- إن هذا الضبط و التحري و نسبة الحديـــث إلى راويـــه المباشـــر يقلـــب مقولـــة الرواية بالمعنى رأسا على عقب و يعطيها مفهوما آخر و هو أن الروايـــة بـــالمعنى كـــانت قبل تدوين الحديث و كانت جائزة لعامة الناس أما عند التدويـــن فكـــان الحـــرص علـــى الألفاظ و الصيغ المأثورة شديدا و كان النقل عن الحفاظ الذيـــن يـــروون الصيغـــة الـــتي سمعت من الصحابي عن رسول الله ، و نجد أن الرواية بـــالمعنى كـــانت للصحابـــة فقـــط الذين أجازها لهم رسول الله صلى الله عليه و ســـلم ، أمـــا عندمـــا انتقـــل الحديـــث إلى حلقات التعليم فقد أصبح رسميا بصيغه و ألفاظـــه المـــأثورة عـــن الصحابـــة ، و موقـــف النحاة المشهور من عدم الاستشهاد بـــالحديث النبـــوي إنمـــا كـــان في فـــترة مـــا قبـــل التدوين عند النحاة الأوائل الذين ســـبقوا المحدثـــين .

يقول الدكتور عودة خليل أبو عـــودة : " **إن دلالـــة الروايـــة بـــالمعنى -إذن- لا تعني أن الحديث النبوي الـــذي جمـــع و دون في المســـانيد قـــد روي بمعنـــاه دون لفظه ، بل إنها تعني فترة محدودة كان يقال فيها الحديـــث بمعنـــاه** ، لأن جـــل النـــاس

لا يحفظونه و لكن هذه الفترة انتهت بتدوين الحديث النبوي الشريف بالمنهج و الأسلوب الذي كتبت في تفصيله و الإشادة به آلاف الكتب "[1] .

و تجدر الإشارة إلى أن الرواية غير العلمية للآثار النبوية ما زالت مستعملة إلى الآن بحيث يروى الحديث بصيغة ما معناه إذا كان الراوي أو الناقل قد قرأ الحديث و لم يحفظه أو بصيغة التمريض و هي قوله روي أو ورد أو ثبت .

و العلماء لا يجيزون هذه الطرق لأنها تضعف الثقة في نسبة الحديث إلى النبي عليه الصلاة و السلام ، و ثانيا تقضي على رونق اللفظ النبوي و لفظ الصحابي .

و نختصر اليوم هذه القائمة من أعلام السند و نكتفي بالصحابي بشرط أن يكون هذا الحديث قد أخرجه المدونون في دواوين السنة المشهورة ، و لكن تبقى قيمة أولئك الأعلام محفوظة في مجال التاريخ و السير و التراجم ، و إثبات النص النبوي علميا و رسميا . و يعلق الدكتور عودة خليل أبو عودة على أسلوب المحدثين في جمع الحديث و تدوينه بقوله : " **هذا المنهج في التدقيق و التثبت من الحديث الشريف ما زالت الدنيا كلها تشهد به و تتحدث عنه ، و تتمنى لو كتب به تاريخ الدنيا كلها و أيام الشعوب جميعها** "[2].

و نحن الآن بين أيدينا ثروة ضخمة من مأثورات النبي عليه الصلاة و السلام مدونة في دواوين السنة و هي مقسمة إلى درجات منها الصحيح و الحسن و الضعيف و يمكننا أن نستنتج من دراسة أعلام الإسناد الخصائص التالية :

أولا : إن الإسناد قد سور الحديث النبوي بسور متين حتى لا ينفذ ما ليس منه من الحديث الموضوع و فتح بابا علميا في توثيق الأخبار لم يكن مفتوحا من قبل :

---

(1) د . عودة خليل أو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف . ص 91 .
(2) المصدر السابق ، ن ص .

" **إن مثل هذه الدراسات لم تكن معروفة قبل الإسلام فكانت وقائع التاريخ و قصصه يروى غثها و سمينها ، و صحيحها و ضعيفها ، و حقها و باطلها و ما حدث و ما لم يحدث على أنها حقائق مسلمة ، و كذلك كانت تتلقى الديانات و تنتقل الأفكار و الأقوال من معلميها أو قائليها إلى من يليهم من غير أي تحر لأحوال نقلها و لمضمونها حتى إذا جاء الإسلام انبرى علماؤه إلى ضبط المنقول عن الرسول صلى الله عليه و سلم ضبطا دقيقا محررا** ".أهـ[1]

و يكونون بذلك قد وضعوا حدا لعصر الحفظ و المشافهة و الرواية و المراجع البشرية الواعية لبعض الحديث و يكونون بذلك أيضا صناديق محكمة و أوعية يحفظ فيها الحديث متواتره و آحاده فأصبح الحديث يؤخذ من دواوينه و كان من قبل يؤخذ من الرجال و الأمر نفسه قد سبق بالنسبة للقرآن الكريم و لولا الإسناد القائم على الضبط و التحري لتسربت أحاديث الناس إلى الحديث النبوي و لقل الضبط . و لا عجب إذا تغير مفهوم التواتر فأصبحت الكتب الستة يضاف إليها موطأ الإمام مالك من المتواتر .

ثانيا : بالإضافة إلى ما حققه الإسناد من حفظ الحديث النبوي الشريف و توثيقه فإنه قد حفظ أيضا أسماء أعلام الرواية و العلم حتى القرن الثالث الهجري و مكن علم الرجال و ما يقوم عليه من الجرح أو التعديل من ضبط سيرة هؤلاء الأعلام الذين ارتبطت أسماؤهم بالحديث النبوي الشريف فتكونت لنا سلسلة من الأعلام حسب الأجيال قام عليها نظام الطبقات ، و قد ألفت في سيرهم الكتب التي تشبه معاجم الأعلام .

ثالثا : بناء على دراسة السند و معرفة أحوال الرواة يصنف الحديث إلى درجات و مراتب و هي مشروحة في كتب علوم الحديث . و أعتقد أنه ينبغي مراجعة مصطلح الحديث و تجديده وفق المعطيات و الأوضاع الجديدة ، فمعظم

---

(1) د . محمد عجاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث ، ص 31 .

هذا العلم كان قد وضع أثناء الرواية الشفهية ، و مازال الكثيرون يرددون أن المتواتر قليل رغم أن صحيح البخاري و الكتب الستة متواترة جيلا عن جيل تتلقاها الأمة كلها بالقبول .

فالسنة النبوية الصحيحة المتفق عليها كلها متواترة فالآحاد أيضا قد تواترت.

4- الأسماء و الألقاب و الكنى :

هذه قضية هامة تعتبر من الظواهر اللفظية المتواترة في البيان النبوي الشريف سندا و متنا تستوقفنا بتنوعها و خصوصيتها وإضافتها إلى قاموس التسمية مواد جديدة و انطلاقة متجددة إلى الأبد . فإذا كانت أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى هكذا بصيغة التفضيل التي تنبئ عن الاشتراك في صفة الحسن بين الأفضل و الفاضل فإن جميع أسماء الأعيان الواردة في النصوص النبوية مصطبغة بصبغة الجمال و الانتخاب ، و هذا لأن التوجيه القرآني العام أعطى التسمية قيمتها و تبعتها قال الله تعالى من سورة الحجرات : (**يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم و لا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن و لا تلمزوا أنفسكم و لا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان و من لم يتب فأولئك هم الظالمون** " [1] .

و قد كانت أسماء العرب خليطا يجمع الحسن و القبيح كما كان فيها من طابع البداوة العربية ما فيها فقد يسمى الرجل و المرأة بأسماء الحيوان كأسد و عنيزة ، كما كان فيها من الطبقية و العرفية ما فيها فهناك أسماء جميلة للأحرار و الحرائر و أخرى دونها للإماء و العبيد و قد ندد بهذا التناقض و التضارب في التسمية حتى في الشخص الواحد حسب ظهور المصلحة أو انتفائها عنترة بن شداد قائلا :

---

(1) سورة الحجرات ، الآية 11 .

ينادونني في السلم يا ابن زبيبة و عند اصطدام الخيل يا ابن الأطايب و كانت الحسابات الشخصية و الصراعات القبلية التي تؤجج روح الخصومة بين الأفراد و الجماعات تفسح المجال لتعدد الأسماء للمسمى الواحد بما يرضى و بما لا يرضى . فجاء الهدي النبوي ليصحح الأوضاع و يصلح الأسماء التي لا تتلاءم مع العهد الجديد فشرع يسمي و يعيد التسمية و يلقب و يكني و ذكرت كتب السنة طائفة من الأسماء الجديدة التي افترضها الرسول عليه الصلاة و السلام اذكر بعضها في الجدول التالي من سنن أبي داود [1] .

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و أسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم " .

1- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أحب الأسماء إلى الله عبد الله و عبد الرحمن " .

كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يغير الأسماء القبيحة إلى أسماء مليحة و هذه طائفة منها ذكرها أبو داود في سننه .

الاسم القديم	الاسم الجديد
عاصية	جميلة
برة بنت أبي سلمة	زينب بنت أبي سلمة
أصرم	زرعة
أبو الحكم	أبو شريح
حزن	سهل
حرب	سلم
المضطجع	المنبعث
بنو الزنية	بنو الرشدة

(1) سنن أبي داود : كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء . ج2 ، ص 307

كما نهى عن التسمية بأسماء الجاهلية و كناها كأبي جهل و أبي لهب و العاص و عزيز و عتلة و شيطان و الحكم و غراب و حباب و شهاب كما كان من عادته عليه الصلاة و السلام أن يكني أو يلقب فتلتصق تلك الكنية أو ذلك اللقب بالمخاطب ، راضيا بما أضفاه عليه الرسول عليه الصلاة و السلام مفضلا له على اسمه الذي وضعه له أبوه و أمه أو على كل كنية أخرى يعرف بها لا لشيء إلا لأن الرسول محمدا عليه الصلاة و السلام قد حباه إياه و شرفه به و اختاره له. و قد يقع أن يحمل المولود في أقمطته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ليدعو له و يسميه .

و ها هي عينة من الألقاب و الكنى الجديدة التي أبدعها الرسول عليه الصلاة و السلام و أصبحت ذات دلالة قوية على أصحابها .

1- ابو بكر لقبه رسول الله بالصديق عقب حادثة الإسراء و المعراج .
2- عمر بن الخطاب لقب بالفاروق .
3- علي بن أبي طالب لقبه الرسول أبا تراب .
4- عبد الرحمن بن صخر الدوسي لقبه الرسول عليه الصلاة و السلام أبا هريرة.

المكتبة المركزية

و عمت ظاهرة التلقيب و التكنية في محيط النبي عليه الصلاة و السلام كنوع من أنواع التشريف و التقدير و التلطف في الخطاب و التحبيب إلى المخاطب فما من واحد إلا و له لقب أو كنية اشتهرت أو لم تشتهر فعثمان بن عفان كان يلقب بذي النورين لأنه تزوج بنت رسول الله الثانية عقب وفاة أختها و أسماء بنت أبي بكر كانت تلقب بذات النطاقين لأنها قطعت نطاقها أي حزامها في عملية الهجرة النبوية . و أسامة بن زيد كان يلقب حب رسول الله و خالد بن الوليد كان يلقب سيف الله المسلول ، و حمزة بن أبي طالب كان يلقب أسد الله و جعفر بن أبي طالب يلقب الطيار و هناك الألقاب الجماعية كالمهاجرين و الأنصار و البدريين و أصحاب العقبة و أصحاب بيعة الرضوان .

و كان للتشريع الجديد و ما رسخه في المجتمع من آداب اللباقة و ضروب اللياقة دور عظيم في انتشار هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية إذ ظهرت ألقاب جديدة فرضتها الحياة الجديدة فزوجات الرسول صلى الله عليه و سلم هن أمهات المؤمنين ، و ظهرت ألقاب سلطانية و أخرى وظيفية مثل : مؤذن رسول الله و خادم رسول الله ، و شاعر رسول الله و ظئر رسول الله ، التي لم يتوان المجتمع في تداولها كعادة العرب في التلقيب بالخصال الحميدة و الأفعال الحسنة التي تبرز عند شخص ما .

و خلاصة القول فيما يتعلق بأعلام الأشخاص فإننا نستخلص الخصائص المتواترة التالية :

الأولى : أن أسماء النبي عليه الصلاة و السلام : محمد - أحمد كانت نادرة جدا في عصره فلم نجد أحدا من الصحابة اسمه محمد أو سمى ابنه محمدا رغم أن الرسول عليه الصلاة و السلام قد أتاح ذلك و أباحه لجميع فقال : " **تسموا باسمي و لا تكتنوا بكنيتي** " . و هذا يدل على الحضور الشعوري الدائم للنبي عليه الصلاة و السلام في النفوس . و القيمة الاعتبارية التي كانت تحملها تلك الأسماء و كأنه كان علما للرسول عليه الصلاة و السلام فقط ، أما اليوم فنلاحظ أن المتسمين بأسماء النبي لا يحصون كثرة .

الثانية : ارتباط اسم النبي و أسماء الصحابة بلازمة لفظية تعبر عن القيمة الاعتبارية التعظيمية لهم .

فما يذكر النبي عليه الصلاة و السلام باسمه الشخصي أو الوظيفي إلا و تلته لازمته اللفظية و هي : صلى الله عليه و سلم ، أو عليه الصلاة و السلام على الوجوب و لا يكتفي بلفظها بل لابد من كتابتها أيضا و أما الصحابي فلازمته اللفظية هي (رضي الله عنه) أو (عليه الرضوان) و تفرد و تثنى و تجمع و قد لا تكتب و هذا تأدبا و احتراما .

الثالثة : لقد أخذت التسمية العينية للأشـــخاص منعطفـــا جديـــدا بالبعثـــة المحمديـــة إذ انتفت الصيغ الجاهلية في تسمية الناس بالبهائم و الحيوانـــات و الألفـــاظ النابيـــة الخشـــنة فتحسنت الأسماء و الألقاب و الكنى ، و صار للمســـلمين أسمـــاء خاصـــة تميزهم عـــن غير المسلمين ، و رغم أن الرسول عليه الصلاة و الســـلام لم يغـــير إلا الأسمـــاء القبيحـــة أو المكروهة و لم يوجب الإســـلام تغيـــير الاســـم لأن انتقـــالهم إلى الإســـلام لا يعـــني التدين الحق فقط و إنما يعني أيضا التعريـــب اللفظـــي و المعنـــوي بالانتمـــاء إلى الأمـــة العربية المســـلمة .

و من الطرافة بمكان أن نجد الحركـــة الشـــعوبية في العصـــر العباســـي الـــتي لهـــا أسبابها السياسية المباشرة قد طالت هذه الظاهرة الاجتماعية و قـــد ســـجلها أبـــو نـــواس في إحدى قصائده قـــائلا :

و لكن يهودي يحبك ظاهـــرا	**و يضمر في المكنون لك الغدرا**
فقلت له ما الاسم قال سموأل	**و لكنني أكنى بعمرو و لا عمروا**
و ما شرفتني كنية عربيـــــة	**و لا أكسبتني ثناء و لا فخـــرا**
و لكنها خفت و قل حروفها	**و ليس كأخرى إنما جعلت وقرا**

فهذا اليهودي الذي يطاوع النمط الاجتمـــاعي في ألقـــاب الفخـــر و التشـــريف يكنى أبا عمرو و ليس له ولد يسمى عمـــروا و لا يشـــعر بفخـــر و لا شـــرف بســـبب هذه الكنية و لكنه يحبها لأمر بنيوي لغوي فيها إذ ليس فيـــها عجمـــة و هـــي خفيفـــة و قليلة الحروف . و واكبت هـــذه الظـــاهرة الاجتماعيـــة حركـــة علميـــة ، إذ ألـــف العلماء في الأسماء و الكنى مؤلفات كثيرة بلغت عشرين مؤلفـــا أو تزيـــد منـــها الأسمـــاء و الكنى لابن حنبل ، و منها كتاب المنى في الكـــنى للســـيوطي .[1]

(1) انظر ، طالب عبد الرحمن : المنة عبر العصور ، ص 253 .

5- أسماء المعاني الجديـــدة

إن الحديث النبوي باعتباره بلاغا للنـــاس و بيانـــا تحتشـــد فيـــه أسمـــاء لمعـــان جديدة جاءت بها رسالة الإسلام بما تحملـــه مـــن تجديـــد لحيـــاة النـــاس . و الإســـلام بوحييه القرآن و السنة غير كثيرا من المعاني التي كانت تحملـــها بعـــض الألفـــاظ القديمـــة . فأصبح لتلك الألفاظ معنيان معـــنى لغـــوي و معـــنى شـــرعي أو اصطلاحـــي . و في جميع اللغات نجد معانيها اللغوية تطغى علـــى المعـــاني الاصطلاحيـــة فيكـــون الغمـــوض فيها في المعنى الاصطلاحي لأنه معنى محدود أما المعنى اللغـــوي فيعرفـــه الخـــاص و العـــام ممن يتكلمون تلك اللغات . أما في اللســـان العـــربي فـــالعكس تمامـــا فتجـــد أن اللغـــة العربية قد تنازلت عن كثير من الألفاظ لصـــالح القـــرآن الكـــريم و الحديـــث الشـــريف و أصبحت مشتهرة بمعانيها الجديدة أما معانيـــها الأصليـــة فحظيـــت بالإهمـــال و قلـــة الاستعمال نظرا لتداول المعنى الجديد و كثرة استعماله و إهمال المعـــنى اللغـــوي القـــديم. و كان الانتقال في بداية الأمر من المعنى القـــديم إلى المعـــنى الجديـــد بممارســـة تعليميـــة و تربوية من النبي عليه الصلاة و السلام ، و عندما نتصفـــح بعـــض النمـــاذج الحديثيـــة من أقواله عليه الصلاة و السلام تبدو لنـــا هـــذه الإشـــكالية دون حاجـــة إلى توضيـــح و لتكن النماذج التاليـــة :

1- **" جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مـــن أهـــل نجـــد ثـــائر الـــرأس يسمع دوي صوته و لا يفهم ما يقول حتى دنا فإذا هو يســـأل عـــن الإســـلام "** [1]

إن كلمة الإسلام لم تشكل لهذا الرجل غريبا لفظيا ، و إنمـــا شـــكلت لـــه نوعـــا من الغريب المعنوي ، و بالرغم مـــن أن هـــذه الكلمـــة موجـــودة في اللســـان العـــربي إلا أنها كانت نادرة الاستعمال و كأنما قد حفظت لتستوعب المعـــنى الجديـــد الخـــالد .

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان رقم 46 ، ج1 ، ص 39 و انظـــر فـــي الملحـــق رقـــم 1 .

2- " أمرهم بالإيمان بالله وحده : قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم .قال : شهادة ألا إله إلاّ الله و أن محمد رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صيام رمضان و أن تعطوا من المغنم الخمس " .[1]

3-" لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام " [2] .

2- " اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم و لا تتخذوها قبورا " [3] .

3- " ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة و اللقمتان
و التمرة و التمرتان و لكن المسكين ، الذي لا يجد غنى يغنيه ... الحديث" [4] .

هذه المفاهيم الجديدة التي حملتها كثير من ألفاظ النبوة هي أبعد ما تكون عن المجاز و الكناية و مألوف العرب في الاستعمال و أقرب ما تكون إلى تغيير الدلالة تغييرا قصديا يتماشى مع الإسلام .

و كثير من الأسماء المعنوية كالإسلام و الإيمان و الزكاة و السؤال و الحساب و كذلك كثير من الأسماء الذاتية كالقبر و الجنة و النار و غيرها كثير أيضا قد تغيرت مدلولاتها و اصطبغت بمعاني الإسلام و أصبحت هذه الكلمات كمؤشر لغوي يدفع إلى فعل أو ينهى عن فعل بمعنى آخر فقد أصبح لهذه الكلمات طاقة تربوية مؤثرة في النفس و قد رأينا في بعض النماذج السابقة كيف كان النبي عليه الصلاة و السلام يساهم في تغيير مفاهيم بعض الكلمات كالمسكين و السلام.

و لو توسمنا الألفاظ العربية المتداولة قبل البعثة المحمدية و المتداولة بعدها لوجدنا كثيرا من وجوه الاختلاف التي تؤكد على دور النبي عليه الصلاة و السلام و أثره في مفردات اللغة و معاني ألفاظها .

---

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان رقم 53 ، ج1 ، ص 41 ، و انظر في الملحق رقم 3 .
(2) صحيح البخاري كتاب الأذان رقم 835 ، ج1 ، ص 254 و انظر في الملحق رقم 31 .
(3) صحيح البخاري كتاب التهجد رقم 1187 ، ج1 ، ص 351 و انظر في الملحق رقم 39 .
(4) صحيح البخاري كتاب الزكاة رقم 1479 ، ج1 ، ص 442 ، و انظر الملحق رقم 56 .

6-الألفاظ الغريبـــة :

إن البيان لا يحتمل الغرابة و الغموض فإنـــه ينـــهدم و يتنـــاقض و بيننـــا و بـــين الحدث الكلامي للنبي عليه الصلاة و السلام سلسلة مـــن القـــرون تمتـــع فيـــها اللســـان العربي بكل حرية في النمو فأحدث و تـــرك و مـــا يظـــهر غريبـــا في الحديـــث النبـــوي أحسبه أحد أمريـــن :

الأول : أنه لم يكن غريبا على المخاطبين الذين سمعوا النبي يقولـــه ، و إنمـــا هـــو غريـــب على الأجيال المتعاقبة حيث غمضت دلالة تلك الألفاظ بســـبب قلـــة اســـتعمالها كمـــا يحدث عادة في جميع النصوص القديمـــة .

الثاني : أنها ألفاظ نطق بها النبي دون سواه و هو الـــذي ألفـــها و ألـــف النـــاس عليـــها ليكون له دوره في تكثير اللغة و تزويدها بمفردات جديدة و هذا الـــذي أميـــل إليـــه .

يعرف ابن الصلاح الغريب في الحديث النبوي قائلا : " **هو عبـــارة عمـــا وقـــع في متون الأحاديث من الألفـــاظ الغامضـــة البعيـــدة مـــن الفـــهم لقلـــة اســـتعمالها و هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ، ثم بـــأهل العلـــم عامـــة و الخـــوض فيه ليس بالهين و الخائض فيه حقيق بالتحري جديـــر بـــالتوقي** " [1] .

فمسألة الغريب لم تكن مطروحـــة في زمـــن النـــبي صلـــى الله عليـــه و ســـلم و إنما طرحت فيما بعد عندما ظهرت صعوبة فهم بعض الألفـــاظ الـــتي قـــل اســـتعمالها فحاشا لمن أوتي جوامع الكلم و دعا إلى أن يخاطب النـــاس بمـــا يفـــهمون أن يســـتعمل الغريب الغامض الدلالة . و هو صاحب الأسلوب الواضـــح المشـــرق المبـــين . و نحـــن اليوم عندما نتصفح بعض الأحاديث القولية المتفـــق عليـــها نقـــف فعـــلا علـــى ألفـــاظ غامضة غير مستعملة في زماننا و لكنها مألوفة معروفـــة في زمـــن النبـــوة و قـــد تناقلـــها الرواة كما هي لم يبدلوها بما يرادفها حرصا و أمانة على ألفاظ النـــبي صلـــى الله عليـــه

(1) مقدمة ابن الصـــلاح ، ص 159 .

6-الألفاظ الغريبـــة :

إن البيان لا يحتمل الغرابة و الغموض فإنـــه ينـــهدم و يتنـــاقض و بيننـــا و بـــين الحدث الكلامي للنبي عليه الصلاة و السلام سلسلة مـــن القـــرون تمتـــع فيـــها اللســـان العربي بكل حرية في النمو فأحدث و تـــرك و مـــا يظـــهر غريبـــا في الحديـــث النبـــوي أحسبه أحد أمريـــن :

الأول : أنه لم يكن غريبا على المخاطبين الذين سمعوا النبي يقولـــه ، و إنمـــا هـــو غريـــب على الأجيال المتعاقبة حيث غمضت دلالة تلك الألفاظ بســـبب قلـــة اســـتعمالها كمـــا يحدث عادة في جميع النصوص القديمـــة .

الثاني : أنها ألفاظ نطق بها النبي دون سواه و هو الـــذي ألفـــها و ألـــف النـــاس عليـــها ليكون له دوره في تكثير اللغة و تزويدها بمفردات جديدة و هذا الـــذي أميـــل إليـــه .

يعرف ابن الصلاح الغريب في الحديث النبوي قائلا : **" هو عبـــارة عمـــا وقـــع في متون الأحاديث من الألفـــاظ الغامضـــة البعيـــدة مـــن الفـــهم لقلـــة اســـتعمالها و هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ، ثم بـــأهل العلـــم عامـــة و الخـــوض فيه ليس بالهين و الخائض فيه حقيق بالتحري جديـــر بـــالتوقي "** [1] .

فمسألة الغريب لم تكن مطروحـــة في زمـــن النـــبي صلـــى الله عليـــه و ســـلم و إنما طرحت فيما بعد عندما ظهرت صعوبة فهم بعض الألفـــاظ الـــتي قـــل اســـتعمالها فحاشا لمن أوتي جوامع الكلم و دعا إلى أن يخاطب النـــاس بمـــا يفـــهمون أن يســـتعمل الغريب الغامض الدلالة . و هو صاحب الأسلوب الواضـــح المشـــرق المبـــين . و نحـــن اليوم عندما نتصفح بعض الأحاديث القولية المنطـــق عليـــها نقـــف فعـــلا علـــى ألفـــاظ غامضة غير مستعملة في زماننا و لكنها مألوفة معروفـــة في زمـــن النبـــوة و قـــد تناقلـــها الرواة كما هي لم يبدلوها بما يرادفها حرصا و أمانة على ألفاظ النـــبي صلـــى الله عليـــه

---

(1) مقدمة ابن الصـــلاح ، ص 159 .

و لكن اللغة تكون بالسماع فلم يسمع العرب تطلق كلمة بدنة إلا على الجمل أو الناقة و ذلك واضح في الحديث الأول ، فكأنما قرب بدنة ... فكأنما قرب بقرة ... فكأنما قرب كبشا أقرن فأفاد أن البدنة تطلق على الناقة و الجمل فقط.

و لكن ما سبب الغرابة التي أبداها الأعرابي عندما قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إركبها و هو يعترض بأنها بدنة . أي ناقة أو جمل و هما مما يركب فلماذا اعترض على ركوبها بأنها بدنة ؟ و من لا يقرأ كتب التفسير يظن أن البدنة هنا هي البقرة ، و لذلك استغرب الرجل أمر الرسول إياه بركوبها ، و هنا يتدخل السياق في تفسير الغريب و يتغير المفهوم الخاطئ تماما و نعرف سبب الغرابة عند الأعرابي .

الأول: إن البخاري و غيره من الرواة ذكروا هذا الحديث في كتاب الحج حيث يساق الهدي و هو ما يذبح من الإبل و الغنم . و الآية التي ذكرت كلمة البدن هي من سورة الحج ، إذن فهذه البدنة ساقها الرجل لينحرها في موسم الحج.

الثاني : أن الرجل المعتقد أنه لا يجوز له ركوبها ما دام يقربها الله تعالى و هذا هو وجه الاعتراض و المراجعة و يؤيد هذا قول ابن حجر في الفتح بعد ما ساق الطرق المتعددة لرواية الحديث و ما فيها من زيادات و ملابسات : " **و تبين بهذه الطرق أنه أطلق البدنة على الواحدة من الإبل المهداة إلى البيت الحرام ، و لو كان المراد مدلولها اللغوي لم يحصل الجواب بقوله إنها بدنة ، و الحق أنه لم يخف ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم لكونها كانت مقلدة و لهذا قال له لما زاد في مراجعته " و يلك " و استدل به على جواز ركوب الهدي سواء كان واجبا أو متطوعا به** "[1] و الأمر المتكرر بركوبها لا يفيد وجوب الركوب و لا يفيد العموم و لكنه يفيد وجوب إلغاء الاعتقاد بحرمة ركوبها ورد وجه الاعتراض لأن

(1) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج ، ص 537 .

الأصل في الأشياء الإباحة و لا تحريم إلا بنص وليس بالأوهام و الآراء الشخصية . و من هذه الطرق المختلفة وجد ابن حجر زيادات و إضافات ساعدته على القول أن هذه الكلمة التي رددها الرجل ثلاث مرات لم يخف على النبي صلى الله عليه و سلم مدلولها اللغوي إذ لم تكن غريبة و إنما أراد أن يصحح حكمها الشرعي و من هذه الزيادات :

1- للبخاري زيادة عن أبي هريرة : **فلقد رأيته راكبها يساير النبي صلى الله عليه و سلم و النعل في عنقها .**

2- و لمسلم : **بينا رجل يسوق بدنة مقلدة .**

3- زاد النسائي : **و قد أجهده المشي .**

و الرسول عليه الصلاة و السلام لم يكن يستعمل الغريب اللفظي على الإطلاق و لم يكن الناس يحتاجون إلى شرح الألفاظ شرحا لغويا لأن العربية في عصر النبوة كانت في أوج إشراقها و ريعان شبابها : " **و مما تجب ملاحظته أن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن غريبا على الأمة العربية في صدر الإسلام فقد كان النبي عليه الصلاة و السلام أفصح العرب لسانا و أعذبهم نطقا و أسدهم لفظا ، و أبينهم حجة و أقومهم عبارة ، و أعرفهم بمواقع الخطاب و لا غرو في هذا فقد بعثه الله عز و جل في أمة تعتز بلغتها و تعجب بسحر كلمها فكان يخاطب العرب على اختلاف قبائلهم و لهجاتهم بما يفهمون و إذا غرب عن بعض أصحابه شيء مما يقوله سألوه عنه فيبينه لهم** "[1] .

و هذا الغريب اللفظي هو من قبيل المفردات الصعبة التي يجدها المتعلمون لأية لغة كانت فمن يتعلم اللغة مفردة مفردة ليس كمن تعلمها بالاستعمال و الطبيعة . إذن فالغريب ليس عيبا أو تعقيدا و إنما هو أمر تعليمي واجب لمن لا يعرف العربية إلا بالتعلم حتى يفهم معاني الحديث النبوي .

(1) د . محمد عجاج الخطيب : الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، ص 249 و 250 .

و هو ما تؤكده الحاجة إلى استغلال الإرث النبوي من الناحية اللغوية و من الناحية المعرفية أيضا يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب : " **و ما لبث أن انتقل الرسول صلى الله عليه و سلم إلى الرفيق الأعلى ، و دخل في دين الإسلام كثير من أبناء الأمم الأخرى الذين تعلموا من العربية ما لا غنى لهم عنه في المحاورة و الخطاب ، فكان من الطبيعي أن يجدوا في ألفاظ الحديث النبوي غريبا أكثر مما يجده أبناء العربية ، و نشأت أجيال جديدة من أبناء هذه الأمم احتاجت إلى معرفة كثير من هذه الألفاظ . فانبرى العلماء لبيانها و شرحها بل اهتموا بشرح الأحاديث كلها** "[1].

و فعلا و نتيجة للمفارقة الكبيرة بين وضع اللغة العربية في الوقت الراهن و المستوى الذي ظهرت به في القرآن الكريم و البيان النبوي و عيون الشعر و النثر في مختلف العصور كان لابد من أمرين :

أولهما : ظهور تلك النصوص بمظهر الغرابة و القدم نتيجة انتشار الأمية و اغتراب الفصاحة و تزداد نسبة الغرابة طردا مع زيادة نسبة الجهل .

ثانيهما : لولا هذين المصدرين الخالدين المحفوظين المشرقين لضاع اللسان العربي بكامله عبر الزمن إذ نلاحظ أن الكلمات الغريبة الواردة في الشعر و النثر الجاهليين أعقد و أكثر من الكلمات الغريبة الواردة في القرآن الكريم و الحديث الشريف ، هذا من جهة و من جهة ثانية فإن غريب الشعر الجاهلي مهمل تماما . و أما غريب الحديث فما زال محفوظا في المعجم اللغوي ، بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن طريقة النبي عليه الصلاة و السلام في اختيار ألفاظه ، كانت متميزة عن الطريقة الجاهلية التي تكتنف ألفاظ الشعر و النثر فيها الخشونة و الجشوبة و النصوص الجاهلية شاهدة على امتلائها بالغريب اللفظي و المعنوي .

---

(1) د . محمد عجاج الخطيب : الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، ص 249 و 250 .

و يكون النبي عليه الصلاة و السلام قد هـــذب ألفـــاظ اللغـــة العربيـــة و هـــو نفسه كان يتجنب كثيرا من الغريب أو الثقيل ليســـتبدله بألفـــاظ أخـــرى أرق و أخـــف و المثال التالي من الصحيح يؤكد ذلـــك :

فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم قـــال :" **كانت امرأتان معهما ابناهمـــا، جـــاء الذئـــب فذهـــب بـــابن إحداهمـــا .فقـــالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، و قالت الأخرى : إنمـــا ذهـــب بـــابنك ، فتحاكمتـــا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى ، فخرجتا على ســـليمان بـــن داود عليـــهما السلام فأخبرتاه . فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينـــهما فقـــالت الصغـــرى: لا تفعـــل يرحمك الله هو ابنها . فقضى به للصغـــرى " قـــال أبـــو هريـــرة : و الله إن سمعـــت بالسكين إلا يومئذ و ما كنا نقـــول إلا المديـــة** " [1] .

و تجدر الإشارة أن لكل إقليم قاموسه خـــاص الـــذي يتناســـب مـــع طبيعتـــه و مناخه و لكل بيئة ألفاظها التي لا تعرف في بيئـــة أخـــرى ســـواها . و نحـــن عندمـــا نقرأ الحديث النبوي اليوم على الأرائك في الصالونـــات أو علـــى الـــزرابي في المســـاجد أو في المدن الكبرى و عواصم الدول فلابد أن نستحضر المكان و نتصـــور البيئـــة و مـــا تحمله من تفرع و تنوع و خصائص جغرافيـــة و ثقافيـــة .

فمن يستطيع أن يفهم هذا الحديث " ... **و نهـــاهم عـــن أربـــع ، عـــن الحنتـــم و الدباء و النقير و المزفت و ربما قال : المقير . و قال : احفوظـــهن و أخـــبروا بهـــن من وراءكـــم** " [2].

فهذه الألفاظ موجهة إلى وفد من أعراب البادية تخص حياتهم التي أمرهم الرســـول عليه الصلاة و السلام أن يعدلوها و يغيروها فكانت هذه الألفاظ بالنسبة إليـــهم معروفـــة مألوفة واضحة. أما اليوم في بيئتنـــا فـــلا أحـــد يســـتعمل هـــذه الألفـــاظ أو يعرفـــها

(1) صحيح البخاري ، كتاب الفرائض رقم 6769 ، ج، ، ص 2113 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم 53 ، ج، ، ص 41 و انظر في الملحق رقم 3 .

و من هنا تظهر قيمة كتب تفسير غريب الحديث التي تبين أن الحديث قيل بلغة عصره و مصره و فسر ابن حجر هذه المفردات الغريبة بما يلي [1] :

الحنتم : الجرار الخضر و قيل الحمر و قيل البيض و قال الحربي جرار مزفته و قيل الحنتم المزادة المجبوبة .

الدباء : ممدودة و يقصر القرع .

النقير : هي النخلة ينقر أصلها و ينتبذ فيها .

المزفت : هو المطلي بالزفت من الأواني .

المقير : هو بمعنى المزفت و المقير المطلي بالقار و هو القير و هناك اختلاف في تفسير هذه الكلمات التي تحتاج إلى معاينة و يرى البعض أن الحنتم هي جرار تصنع من طين و دم و شعر يوضع فيها الخمر ، أما الدباء فهي اليقطين اليابس أي الوعاء منه.

و من لا يقرأ هذا الشرح اليوم لا يفهم معنى النهي عن هذه الأربع التي هي من الأواني المتداولة قديما في البيئة العربية البدوية و تستعمل لتصبير التمر و ادخاره و فيها خصوصية التخمير و هذه هي علة النهي لأنه ورد في الحديث أنهم سألوه عن الأشربة فنهاهم عن الانتباذ في هذه الأربع و النبيذ هو ما ينبذ في إناء مخصوص حتى يتخمر . و قد تغيرت حياة العرب و تطورت أوانيهم فلم تستعمل هذه الألفاظ و لكن الحديث النبوي خلدها في بنيته اللفظية لتكون دليلا على الحياة الحضارية و البيئة في ذلك العصر . بل إن من أهل العربية اليوم في عصر تغيرت فيه الأسماء و الأشياء من لا يعرف معنى الجرة .

و يدرك الرواة في بعض الأحاديث غرابة بعض الألفاظ قالها الرسول عليه الصلاة و السلام و لكن الناس أصبحوا يقولون غيرها بدلا منها ، أو وردت في بناء

---

(1) انظر : ابن حجر : تفسير غريب الحديث .

الحديث فلا يتحرجون من شرحها و لا يترددون في توضيح معناها دون اللجوء إلى استبدالها ، و المثالان التاليان يوضحان هذا السلوك اللغوي أثناء الرواية و أثره المنقوش في البناء .

المثال الأول : " ... **فأقام بلال الصلاة و تقدم أبو بكر رضي الله عنه فكبر للناس و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشي في الصفوف يشقها شقا حتى قام في الصف .فأخذ الناس في التصفيح** قال سهل : **التصفيح هو التصفيق ... و تقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلى للناس فلما فرغ أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم بالتصفيح إنما التصفيح للنساء من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله ...** "[1] .

فالصحابي سهل بن سعد رضي الله عنه روى الحديث و أدرك أن كلمة التصفيح غريبة فشرحها و هذا التفسير ضروري في بنية النص حتى يتجنب الغموض إذ لا أحد يسمي اليوم التصفيق التصفيح ، و لعل كلمة التصفيح لها علاقة بالمصافحة و هي وضع اليد في اليد للتحية .

المثال الثاني : " ... **قال : فمكث النبي صلى الله عليه و سلم فبينما نحن على ذلك أتي النبي عليه الصلاة و السلام بعرق فيه تمر - و العرق المكتل - قال : أين السائل ؟ قال : أنا . قال : خذ هذا فتصدق به ...** " .الحديث[2]

كما تشد الانتباه بعض الألفاظ الغريبة التي لم ترد إلا في الحديث النبوي و هي و إن كانت قليلة تدل على دور النبي محمد عليه الصلاة و السلام في توسيع اللغة و تزويدها بمفردات جديدة و سأورد على ذلك أيضا مثالين اثنين :

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة رقم 1218 ، ج1 ، ص 363 و انظر في الملحق رقم 41 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الصوم رقم 1936 ، ج2 ، ص 575 و انظر في الملحق رقم 66 .

المثال الأول : عن أنس رضي الله عنه قال : قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه و بين سعد بن الربيع الأنصاري و كان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن : أقاسمك مالي نصفين و أزوجك :قال : بارك الله لك في أهلك و مالك دلوني على السوق . فما رجع حتى إستفضل إقطا و سمنا فأتى به أهل منزله فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله فجاء و عليه وضر من صفرة فقال له النبي صلى الله عليه و سلم : " مهيم " قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : ما سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب . قال أولم و لو بشاة " [1] .

و كلمة مهيم بقدر ما هي غريبة في اللسان العربي بقدر ما هي واضحة البيان مشرقة بالمعاني و الدلالات واضحة المفهوم خاصة عند المخاطب الذي أسرع بالجواب المناسب . و يقول ابن منظور شارحا الكلمة من خلال مفهومها في الحديث النبوي : " قال أبو عبيد مهيم كلمة يمانية معناها ما أمرك ؟ و ما هذا الذي أراه بك و نحو هذا من الكلام ،و قال الأزهري : و لا أعلم على وزن مهيم كلمة غير مريم و قال الجوهري : مهيم كلمة يستفهم بها معناها ما حالك و ما شأنك و في حديث الدجال فأخذ بلحفتي الباب فقال : مهيم أي ما أمركم و ما شأنكم . و في حديث لقيط فيستوي جالسا فيقول رب مهيم " [2] .

و لم يستشهد ابن منظور لهذه الكلمة النبوية بشيء من أشعار العرب أو نثرهم على غير عادته و منهجه و لو وجده لأورده و لكنه لم يجد هذه اللفظة إلا في منطوق النبي عليه الصلاة و السلام .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب البيوع رقم 2049 ، ج2 ، ص 61 ، و انظر في الملحق 72 .
(2)ابن منظور : لسان العرب ، نشر دار صادر بيروت ، ط جديدة 1992 ، ج12 ص 565 .

و يقول ابن حجر في تفسير هذه الكلمة : " **مهيم هي كلمة يمانية و أفاد بعض حذاق المتأخرين أن اصلها : ما هذا الأمر فاقتصر في كل كلمة على حرف** "[1] محتمل جدا أن يكون هذا التأويل صحيحا ليكون نوعا من أنواع النحت الذي كان العرب يمارسونه لتوليد اللغة . و هو ما نجده في المثال الثاني في المفردات التي لم ترد إلا عن النبي عليه الصلاة و السلام .

المثال الثاني : " **عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم يتبايعون الثمار فإذا جد الناس و حضر تقاضيهم قال المبتاع : إنه أصاب الثمر الدمان أصابه مراض أصابه قشام عاهات يحتجون بها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لما كثرت عنده الخصومة في ذلك: فإمّالا فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر . كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم** "[2] تبدو في هذا الحديث كلمة " إمالا " التي تلفظ بها النبي صلى الله عليه و سلم غريبة و عرفها ابن حجر بقوله : " **إما لا تكررت و هي بكسر أوله و تشديد الميم و فتح اللام ... و المعنى إن كنت لا تفعل كذا فافعل غيره و كأنهم اكتفوا بذكر لا عن ذكر الفعل** "[3] و نحن نستخدم هذه اللفظة بنفس المعنى في عاميتنا بلفظ إمّالا أو همّالا بإبدال الهمزة هاء بمعنى إن لم يكن هذا فهو هذا و يقصد بها إذا انتفى أمر فيلزم من انتفائه أمر آخر يأتي بعدها كما في الحديث على وجه الإبدال كأن يقول التلميذ للأستاذ لم أفهم فيقول له همالا كنت تلعب أو إمالا كنت تلعب .

و شيوع هذه اللفظة في عاميتنا و عدم استعمالها في الكلام الفصيح جعلنا نعتقد أنها لفظة عامية ، و هذا الرأي يبطل جذريا بعدما عثرنا عليها في الحديث الصحيح الذي اتفق الرواة جميعا على أنه مقال النبي عليه الصلاة و السلام

---

(1) ابن حجر : تفسير غريب الحديث ، ص 230 .
(2) صحيح البخاري كتاب البيوع رقم 2193 ، ج2 ص 646 . و انظر في الملحق رقم 76 .
(3) ابن حجر ، تفسير غريب الحديث ، ص 20 .

و منطوقه ، و قد قال ابـــن حجـــر أنهـــا تكـــررت و بذلـــك نشـــهد علـــى أصالتـــها و فصاحتها . و نفتح باب الاجتهاد لأهل اللغة و النحو ليبينـــوا هـــل هـــذه الكلمـــة أداة أم اسم إنما المهم أن ندعو إلى استخدامها في الكلام المنطـــوق و المكتـــوب لأنهـــا ليســـت غريبة عنا و نستعملها كثيرا في دارجتنا و هي مـــن الفصيـــح .

المبحث الثالث : شك الراوي في المفـــردة .

من الظواهر المتكررة كثيرا في بنية الحديـــث النبـــوي القـــولي تصريـــح الـــراوي بشكه و تردده في الجزم بلفظة من الألفاظ التي تشـــكل بنيـــة المـــتن أو النـــص النبـــوي فلا يعرف هل قال النبي هذه اللفظة أو تلـــك ، و قـــد يكـــون هـــذا النســـيان ســـواء من الصحابي الذي سمع الحديث مباشرة عن النبي أو يكون في إحـــدى مراحـــل الروايـــة . و يذكر هذا الشك و التردد أثناء الرواية تحريا للصدق و أداء للأمانـــة و تحرجـــا مـــن التصرف في ألفاظ النبي بترجيح أو تعديل . و هذه الظـــاهرة اللغويـــة في بنـــاء الحديـــث النبوي تشحب أيضا مقولة الرواية بالمعنى المبالغ فيها و هذه أمثلـــة علـــى هـــذه الظـــاهرة اللغويـــة .

1-عن ابن عباس قال : " إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليـــه و ســـلم قـــال : " من القوم - أو من الوفد ؟ قالوا : ربيعة . قال : مرحبـــا بـــالقوم - أو بـــالوفد ،غـــير خزايا و لا ندامى ... و نهاهم عن أربـــع : عـــن الحنتـــم و الدبـــاء و النقـــير و المزفـــت و ربما قال المقير ... الحديث " [1] و الذي يأخذ هذا الحديـــث هكـــذا مـــن دون إســـناد يظن أن الشك هو من ابـــن عبـــاس و لكـــن شـــراح الحديـــث يتتبعـــون و يدققـــون و يقارنون الروايات ببعضها البعض لمعرفة الـــراوي الـــذي شـــك يقـــول ابـــن حجـــر: **" الشك من أحد الرواة إما أبو حمزة أو من دونه و أظنه شـــعبة فإنـــه في روايـــة قـــرة و غيره بغير شك و أغرب الكرماني فقال الشك من ابـــن عبـــاس "** [2] .

2- الحديث المروي عن أسماء أنها قالت : قال رسول الله " ... فأوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب لا أدري أي ذلك قالت أسماء . من فتنة المسيح الدجال .يقال :مـــا علمـــك بهـــذا الرجـــل ؟ فأمـــا المؤمـــن أو الموقـــن لا أدري بأيـــها

(1) صحيح البخاري : كتاب الايمان ، رقم 53 ج1 ، ص 41 ، و انظر في الملحق رقم 3 .
(2) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج1 ، ص 130 .

قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات و الهدى فأجبنا و اتبعنا هو محمد ثلاثا . فيقال : نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به . و أما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ... الحديث "[1] .

فالتردد و الشك ليس صادرا من الصحابية التي سمعت الحديث من النبي عليه الصلاة و السلام و هي أسماء بنت أبي بكر الصديق زوجة الزبير بن العوام . و إنما الشك وقع لمن روى عن أسماء و ربما من فاطمة و هي بنت المنذر بن الزبير و هي زوجة هشام و بنت عمه و أسماء جدتهما جميعا فقد يكون الشك وقع من فاطمة أو زوجها هشام قال ابن حجر :" **لا أدري أي ذلك قالت أسماء جملة معترضة بين بها الراوي أن الشك منه هل قالت له أسماء مثل أو قالت قريبا** "[2] .

و رغم أن الراوي قد نسي كثيرا و تردد في ثلاثة مواطن فإنه بين ذلك صراحة و أثبت مدونو الحديث الرواية كما وردت بدون ترجيح أو تغليب لنفي الشك في التصرف أو التساهل فهم لا يجرؤون على المس بقداسة اللفظ النبوي أو الكذب و التدليس بإظهار الجزم و اليقين في موطن الشك و الارتياب لأن الصدق و الصحة و الأمانة من الصفات العلمية و الأدبية في قبول الرواية .

4- عن أبي هريرة قال : اتبعت النبي صلى الله عليه و سلم و خرج لحاجته فكان لا يلتفت فدنوت منه فقال " **أبغني أحجارا أستنفض بها** - أو نحوه - و لا **تأتني بعظم و لا روث** "[3] .

---

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان ، رقم ج1 ، ص55 ، و انظر في الملحق رقم 7 .
(2) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج1 ، ص 183 .
(3) صحيح البخاري كتاب الوضوء ، رقم 115 ج1 ، ص 76 و انظر في الملحق رقم 11 .

و يعلق ابن حجر على هذا الشك قائلا : " **و وقع في رواية الإسماعيلي أستنجي بدل أستنقض و كأنها المراد بقوله في روايتنا أو نحوه و يكون التردد من بعض رواته** "[1] . و التردد هنا واقع في كلمة استنقض التي وردت في بعض الروايات أستنجي و نتيجة لاختلاف الروايات في هذه الكلمة سجل الراوي شكه بعبارة أو نحوه .

5- حديث أبي هريرة قال : قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم :" **دعوه و هريقوا على بوله سجلا من ماء** أو ذنوبا من ماء - **فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين** "[2] . فهذه العبارة توحي بالترادف أو التغيير من الرسول أو الشك من الراوي و هو الراجح .

6- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه و سلم قال :" **لولا أن اشق على أمتي** - أو على الناس - **لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة** "[3] و يعلق ابن حجر على هذه الصيغة قائلا : " **أو لولا أن اشق على الناس هو الشك من الراوي و لم أقف عليه بهذا اللفظ في شيء من الروايات عن مالك و لا عن غيره، و قد أخرجه الدارقطني في الموطآت من طريق الموطأ لعبد الله بن يوسف شيخ البخاري فيه بهذا الإسناد بلفظ أو على الناس لم يعد قوله لولا أن أشق و كذا رواه كثير من رواة الموطأ و رواه أكثرهم بلفظ المؤمنين بدل أمتي و رواه يحي بن يحي الليثي بلفظ على أمتي دون شك** "[4] .

7- عن أبي سعيد الخدري قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في أضحى - أو فطر - إلى المصلى فمرّ على النساء فقال : " **يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار** "[5] . قال ابن حجر في أضحى أو فطر شك من الراوي.

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج1 ث 183 .
(2) صحيح البخاري كتاب الوضوء ، رقم 220 ج1 ص 78 ، و انظر في الملحق رقم 13 .
(3) صحيح البخاري كتاب الجمعة رقم 887 ج1 ص 266 و انظر في الملحق رقم 35 .
(4) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج2 ص 375 .
(5) صحيح البخاري كتاب الحيض ، رقم 304 ، ج1 ، ص 115 ، و انظر في الملحق رقم 16 .

8- عن إبراهيم عن علقمة قال : قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إبراهيم لا أدري زاد أو نقص فلما سلم قيل له يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء : قال : **وما ذاك ؟** قالوا : صليت كذا و كذا .

فثنى رجليه و استقبل القبلة و سجد سجدتين ثم سلّم ، ثم أقبل علينا بوجهه قال : " **إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ، و لكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني و إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب و ليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين** " [1] .

و شراح الحديث يجزمون بأن هذا السجود كان للزيادة في الصلاة و ليس للنقصان بناء على القرائن اللفظية و الفقهية و النصية ايضا و ها هو ابن حجر يعلق على هذا الشك و التردد بقوله : " ... **و المراد أن إبراهيم شك في سبب سجود السهو المذكور فهل كان لأجل الزيادة أو النقصان لكن سيأتي في الباب الذي بعده من رواية الحكم عن إبراهيم بإسناده هذا أنه صلى خمسا و هذا يقتضي الجزم بالزيادة فلعله شك لما حدث منصور أو يتيقن لما حدث الحكم** " [2] .

و لو استرسلنا في تتبع هذه الحالات من الشك و التردد التي يسجلها الرواة في بنية البيان النبوي لطال بنا المقام ، و لا يرجى منها كبير فائدة في العلم لأنها كلها تتشابه ، و لكن تكرارها يجعل منها ظاهرة لغوية تسترعي الانتباه و تستدعي الدراسة التي نستخلص منها ما يلي :

1- أن تلك الشكوك ليست من الصحابي الذي سمع الحديث مباشرة من مشكاة النبوة و إلا كان ذلك إقلالا بالبيان النبوي التام الواضح الذي لا لبس فيه . و إنما تلك الشكوك ممن روي له الحديث و لم يسمعه من النبي .

---

(1) صحيح البخاري كتاب الصلاة ، رقم 401 ، ج1 ، ص 146 ، و انظر في الملحق رقم 18 .
(2) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج1 ، ص 504 .

2- أن هذه الظاهرة أمر طبيعي في المشافهة و لو كان البيان النبوي مكتوبا في حينه لما حدث مثل هذا التردد .

3- أنها دليل قوي على الأمانة النصية في النقل الشفهي تقديما لألفاظ النبوة بدون تجوز أو تصرف على عكس ما كان يحدث في رواية النصوص الشعرية و النثرية من تبديل لفظ بلفظ و تركيب بتركيب أدّى إلى تجوز كبير في الرواية و ساهم في استفحال قضية النحل و السرقات الأدبية .

المبحث الرابع : اختلاف الألفاظ في الحديث الواحد

من الظواهر المنتشرة في دواوين السنة النبوية أن كثيرا من الأحاديث المكررة لا تتفق و لا تتطابق كلية في ألفاظها فقد تختلف بالزيادة أو الحذف أو إبدال لفظ بلفظ آخر مما يجعل القارئ يجزم بأنه يستحيل أن تكون تلك الألفاظ كلها قد صدرت من مشكاة النبوة .

و قد حرص المدونون على رصد جميع الآثار الصحيحة المروية عن النبي صلى الله عليه و سلم و خاصة البخاري الذي بلغ عدد الأحاديث في جامعه الصحيح 7377 بالأحاديث المكررة و لكن مجموع ما فيه من غير المكرر هو 2761 حديثا فقط . و هذا الرقم ينبئ عن ضخامة ظاهرة التكرار في سرد الأحاديث النبوية في الصحاح . فقد يتكرر الحديث الواحد عدة مرات و في كل مرة يحدث تغير طفيف في بنيته اللغوية النصية و لنضرب لذلك الأمثلة التالية :

المثال الأول : في الملحق الحديث رقم 79 أورد له البخاري أربع روايات .

الرواية الأولى : من سلف في تمر فليسلف في كيل معلوم و وزن معلوم .

الرواية الثانية : من أسلف في شيء ، ففي كيل معلوم ، و وزن معلوم إلى أجل معلوم .

الرواية الثالثة : فليسلف في كيل معلوم إلى أجل معلوم .

الرواية الرابعة : في كيل معلوم و وزن معلوم إلى أجل معلوم و رواه مسلم في صحيحه بروايتين .

الرواية الأولى : من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم و وزن معلوم إلى أجل معلوم .

الرواية الثانية : من اسلف فلا يسلف إلا في كيل معلوم و وزن معلوم .

و رواه أبو داود بروايتين :

الرواية الأولى : من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم و وزن معلوم إلى أجل معلوم .

المثال الثالث : في الملحق الحديث رقم 85 أورده البخاري برواية أخرى هذا نصها.

- سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن اللقطة .

فزعم أنه قال : " أعرف عقاصها و وكاءها ثم عرفها سنة " يقول يزيد : إن لم تعرف إستنفق بها صاحبها و كانت وديعة عنده . قال يحيى : فهذا الذي لا أدري أفي حديث رسول الله هو أم شيء من عنده .

ثم قال : كيف ترى في ضالة الغنم ؟

قال النبي صلى الله عليه و سلم : " خذها ، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب " .

قال يزيد : و هي تعرف أيضا ثم قال : كيف ترى في ضالة الإبل ؟

قال : فقال : " دعها ، فإن معها حذاءها و سقاءها ترد الماء و تأكل الشجر حتى يجدها ربها " [1] .

و يتضح في هذه الرواية تحفظ يحيى من بعض الألفاظ في نسبتها النصية إلى النبي صلى الله عليه و سلم و هو يشك في ضبط الراوي الذي أخذ عنه بقرينتين لفظيتين هما :

- فزعم أنه قال :
- فهذا الذي لا أدري أفي حديث رسول الله أم شيء من عنده .

و رواه البخاري برواية أخرى عن طريق آخر و فيها اختلاف واضح في بعض الألفاظ بالزيادة حينا و بالنقصان حينا آخر و هو الحديث رقم 85 بالملحق و الجدول التالي يبين تباين الألفاظ .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب اللقطة الحديث رقم 2429 ، ج2 ص 726 . و انظر في الملحق رقم 85 .

	ألفاظ النبي في الرواية الأولى	ألفاظ النبي في الرواية الثانية
اللقطة	- أعرف عقاصها و وكاءها ثم عرفها سنة . فإن لم تعرف استنفق بها صاحبها و كانت وديعة عنده	أعرف عقاصها و وكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها و إلا فشأنك بها .
ضالة الغنم	خذها ، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب	هي لك أو لأخيك أو للذئب
ضالة الإبل	دعها ، فإن معها حذاءها و سقاءها ترد الماء و تأكل الشجر حتى يجدها ربها	مالك و لها ، معها سقاؤها و حذاؤها و تأكل الشجر حتى يلقاها ربها .

و لا يستطيع أحد أن يرجح بين الروايتين أو ينقح الألفاظ الدخيلة لتبقى الألفاظ النبوية الأصلية فقط لعدم وجود مصدر مكتوب يرقى زمنه إلى عصر النبوة و هذا الاختلاف في الألفاظ طبيعي في كل تراث شعبي شفوي و نجده واضحا في الشعر الجاهلي بسبب المشافهة و تأخر التدوين . يقول مصطفى صادق الرافعي : " **إن العرب إنما كانوا يحفظون و يتناقلون ، و هم قوم كما قيل : أنا جيلهم في صدورهم ، فلم يكتبوا و لم يدونوا و مع الحفظ النسيان قليله و كثيره ، فإذا نسي أحدهم الكلمة في بيت من الشعر وضع غيرها في مكانها ليقيمه ، إذ لابد أن يرويه أو يتمثل به ثم يكون غيره لم ينس فيروي الشعر على أصله فتجتمع روايتان فإذا كانوا ثلاثة فتلك ثلاث روايات كل منهم بلفظ غير لفظ الأخرى** . و هلم جرا . و قد يحفظ أحدهم القصيدة فإذا رددها يوما على غيره قدم و أخر في بعض أبياتها كما تتفق له حالة الذاكرة في ساعته تلك لا كما حفظها من قبل إذ ليس عنده أصل مكتوب يعارض عليه و يصنع غيره مثل هذا الصنيع

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

بضرب آخر من التقديم و التأخير كما يتهيأ لذاكرته ثم يكون غيرهما قد رواها فثبت في حفظه فلم تختلط فيأتي من ذلك في القصيدة الواحدة ثلاث روايات متعارضة و إذا كثرت أبياتها كثرت روايتها على حسب ذلك " أهـ [1] فالرواية الشفهية تؤثر مباشرة على بعض مكونات النص المروي رغم الحرص على سلامتها من آثار الأخذ و الرد و خلوصها من الشوائب اللفظية الدخيلة عليها خاصة في الحديث النبوي و ما يكتنفه من قداسة وهيبة . و عندما جاء عصر التدوين دونت كل الروايات الصحيحة و لذلك كثر تكرار الأحاديث الواحدة بالزيادة حينا أو بالنقصان حينا آخر أو بالتقديم و التأخير و في كل مرة يجتهد الشراح و المفسرون في المقاربة و التغليب بحسب القرائن المختلفة المتوفرة لديهم .

المثال الرابع : و نختم هذا المبحث بالمثال التالي نستدل به على فطانة الشراح و المفسرين حين يشرحون الحديث و يتطرقون إلى ألفاظه و اختلافها و خصائصها المتنوعة ، لأن العناية فائقة بالمفردات النبوية النيرة .

و المثال هو الحديث رقم 1 في الملحق و فيه الأعرابي الذي جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الإسلام و نجد فيه ما يلي :

1- قال و ذكر له رسول الله صلى الله عليه و سلم الزكاة . قال : هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع .

يقول البدر العيني : " **و ذكر له رسول الله صلى الله عليه و سلم الزكاة :هذا قول الراوي كأنه نسي ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و التبس عليه القول فقال : و ذكر له الزكاة . و في رواية أبي داود : و ذكر له عليه الصلاة و السلام الصدقة و المراد منها الزكاة أيضا... و هذا يؤذن بأن مراعاة الألفاظ مشروطة في الرواية فإذا التبس عليه يشير في لفظه إلى ما ينبئ عنه كما فعل الراوي ها هنا** " [2] .

---

(1) مصطفى صادق الرافعي :تحت راية القرآن ،مكتبة الإيمان ،المنصورة ،مصر، ط1 عام 1996 ص 250 .
(2) البدر العيني ، عمدة القاري ، ج1 ، ص 268 -269 .

2- كما ورد في آخره قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " افلح إن صدق " و هذا القول وارد برواية أخرى فيها زيادة و هي : " أفلح و أبيه إن صدق " .

و يتعرض البدر العيني لهذه الزيادة فيقول : " ... **و القاعدة الأصولية إذا رواه راويان و اشتملت إحدى الروايتين على زيادة فإن لم تكن مغيرة لإعراب الباقي قبلت و حمل ذلك على نسيان الراوي أو ذهوله أو اقتصاره بالمقصود منه في صورة الاستشهاد و إن كانت مغيرة تعارضت الروايتان و تعين الترجيح** "[1] .

و بناء على هذه القاعدة العلمية في قبول الزيادة في اللفظ أو ردها الحريصة على توافق المعنى في الروايتين و كانت إحداهما فيها التباس لفظي ينسب إلى الراوي و يمضي في توضيح تلكم الزيادة فيقول : " ... **و منها ما قيل كيف الجمع بين حلفه بقوله و أبيه إن صدق مع نهيه عن الحلف بالآباء . و أجيب أن ذلك كان قبل النهي . أو أنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف كما جرى على لسانهم عقرت حلقي و تربت يمينك و النهي إنما ورد في القاصد لحقيقة الحلف لما فيه من تعظيم المحلوف و هذا هو الراجح عند العلماء . و قال بعضهم فيه حذف مضاف تقديره و رب أبيه فأضمر ذلك فيه ، و قال البيهقي لا يضمر بل يذهب فيه . و سمعت بعض مشايخنا يجيب بجوابين آخرين . أحدهما : أنه يحتمل أن يكون الحديث أفلح و الله إن صدق فقصر الكاتب اللامين فصارت و الله** (بدون أعجام الباء و البياء في كلمة أبيه فتشبه كلمة الله) **و الآخر : خصوصية ذلك بالشارع دون غيره و هذه دعوى لا برهان عليها . و أغرب القرافي حيث قال : و هذه اللفظة و أبيه اختلف في صحتها فإنها ليست في الموطإ ، و إنما فيها أفلح إن صدق ، و هذا عجيب فالزيادة ثابتة لا شك في صحتها و لا مرية** "[2] أهـ .

---

(1) البدر العيني ، عمدة القاري ، ج1 ، ص 268 -269 .
(2) نفس المصدر ، ج1 ، ص 269-270 .

و هذا الاجتهاد في تفسير هذه المفـــردة الزائـــدة الـــتي تتعـــارض مـــع الحكـــم الفقهي الشرعي القائم على نص نبوي آخـــر صحيـــح يحـــرم الحلـــف بالآبـــاء يقـــوم على احتمالات تبرر هذه الزيادة الصحيحـــة و عـــدم تنافيـــها مـــع الحكـــم الشـــرعي حسب التأويلات التاليـــة :

أ- أن ذلك كان قبل النهي عن الحلـــف بالآبـــاء و معـــنى هـــذا أن الروايـــة الـــتي لم تثبت فيها لفظة و أبيه فيها تدخل من الراوي باجتزاء بعض ألفـــاظ الحديـــث و قـــد يبيح ذلك بعض الرواة لأنفسهم ،و هذا هـــو الأرجـــح .

ب- أن كلمة و أبيه عادة لفظية جاريـــة علـــى اللســـان و لا يقصـــد بهـــا الحلـــف و لم تعرف عن النبي صلى الله عليه و سلم هذه العادة و إنما لـــه عـــادة لفظيـــة أخـــرى مشهورة في القسم و هي قوله : و الذي نفســـي بيـــده .

ج- تقدير حذف المضاف و هو كلمـــة رب فتصبـــح و رب أبيـــه ، و لكـــن إضافـــة رب إلى غير ضمير المتكلم من ألفاظ الكفار و المنـــاوئين ، كقولهـــم و رب الكعبـــة .

د - احتمال أن يكون الراوي و هو يريد أن يكتب و الله قصـــر اللامـــين و هـــذا هـــو التصحيف فظن من قرأها أنها و أبيـــه .

هـ - أنها من خصوصية النبي صلى الله عليه و سلم أي يجوز لـــه أن يحلـــف بأبيـــه .

و- رد قول من ادعى أن هذه اللفظة مختلف في صحتها بأنهـــا ثابتـــة و صحيحـــة .

و خلاصة القول أننا لو ذهبنا نقارن بين الروايـــات المتكـــررة للحديـــث الواحـــد في الديوان الواحد لطال بنا الكـــلام نتيجـــة لاختـــلاف الألفـــاظ نتيجـــة لاختـــلاف الروايات فإذا ما قارنا بين ألفاظ الكتب الستة أو الســـبعة الـــتي اتفقـــت علـــى روايـــة ذلك الحديث لوجدنا الأمر يطول أيضا.و السبب الوحيد في هـــذه الظـــاهرة هـــو عـــدم الرجوع إلى أصل مكتوب و انعدامه لنهي الرسول عليه الصـــلاة و الســـلام عـــن كتابـــة الحديث و ركونهم في ذلك إلى الطـــرق الشـــفهية.

و هذه الظاهرة اللغوية في البيان النبوي تبيح و تتيـــح لقارئـــه أو المتحـــدث بـــه شيئا من النشاط اللغوي الذي يسمح بتغيـــير الألفـــاظ إذا لم يؤثـــر ذلـــك في المعـــاني . و الأمر يختلف بالنسبة إلينا لأن الأصل المكتـــوب موجـــود عندنـــا في دواويـــن الســـنة الصحيحة و يمكننا قياسا على الأصـــل المكتـــوب القيـــام بالنشـــاط اللغـــوي في مجـــالي الإنشاء و الترجمـــة .

و أخيراً رصدت في هذا الفصل أغلب الظواهر التي تميز البيان النبوي من حيث المفردات و بينت السمات العامة للألفاظ المتداولة و التي تشكل ظاهرة لغوية خص بها النبي عليه الصلاة و السلام و تركها سنة في الواقع اللغوي لمن بعده . و قد رأينا كيف أن ألفاظ النبوة كان لها دور كبير في الممارسة الكلامية التي تتجسد فيها مفاهيم الإسلام و تعاليم النبوة.

و قد تميز الفعل الكلامي للنبي عليه الصلاة و السلام بخصائص انطبعت على اللسان العربي إلى الآن و تتمثل في التهذيب المعجمي و إثرائه : فانتفت الغرابة التي تكتنف الألفاظ في العصر الجاهلي شعرا و نثرا ، فأصبحت الألفاظ مفهومة متداولة واضحة موضحة من النبي صلى الله عليه و سلم أو من الرواة في بعض الأحيان و يستطيع الدارس بأبسط مقارنة بين النص الجاهلي و النص النبوي أن يدرك الفروق بينهما و كأن كل واحد منها قد وجد في عصر بعيد جدا عن الآخر و في الحقيقة إنهما متقاربان من الناحية التاريخية و متعاصران و لكن الدور التربوي الذي قام به النبي عليه الصلاة و السلام طور اللغة بسرعة كما طور العرب أنفسهم بسرعة فنقلها و إياهم إلى طور أحسن ما كانت و لا كانوا ليصلوا إليه طبيعيا إلا بعد قرون يعلم الله مداها . و بذلك يكون قد صبغ الألفاظ بالجمال و الأخلاق الصادرين من روحه و تربيته لمجتمع فقد ترقى الفعل الكلامي الاجتماعي و تنقى من الألفاظ القبيحة و البذيئة و الغريبة و الموحشة و قد رأينا كيف كان النبي عليه الصلاة و السلام يغير الأسماء غير اللائقة و يبدلها بأسماء جديدة لائقة ، و كيف كان يكني و يلقب و يوسع المعجم المتداول بالجديد و الجميل .

كما رأينا في هذا الفصل أثر النبوة في التداول اللفظي بحيث كثر ذكر أسماء الله الحسنى و ذكر الرسول و ألفاظ المعاني الجديدة التي تربعت على عرش اللغة بفضل الإسلام و الدور الذي قام به النبي في تجسيده حتى في قاموس اللغة

بفضل الإسلام و الدور الـــذي قـــام بـــه النـــبي في تجســـيده حـــتى في قـــاموس اللغـــة و معجمها . خاصة و أننا قد وجدنا ألفاظا لم يســـمعها العـــرب إلى زمـــن النـــبي عليـــه الصلاة و السلام و قد أشرنا إلى بعضـــها .

و خلاصة القول في هذا الفصل أن الكلمات هـــي اللبنـــات الأوليـــة الـــتي يبـــنى عليها الكلام و قد خصت كلمات النبي و ألفاظـــه بـــالتميز و التأثـــير إذ هـــي جميلـــة في السمع و جميلة في المعنى و بذلك كان أثرها واضحا على اللغـــة و المجتمـــع معـــا .

الفصل الثالث : الخصائص التركيبية في البيان النبوي

المقدمة : أركان الحديث النبوي

المبحث الأول : ملابسات البيان النبوي

أولا : ملابسات السند

ثانيا : ملابسات المتن .

1) أسباب الورود

أ) المحاورة

ب) الوقائع و الأحداث .

ج) الملاحظات النبوية

د) المقاصد و الأغراض .

2) الزمان و المكان

3) الأحوال و الصفات و الهيآت

4) الملابسات النفسية

المبحث الثاني : أنماط الجمل في البيان النبوي .

أولا : الجملة الاسمية و الجملة الفعلية .

ثانيا : الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية .

المبحث الثالث : البناء الفني في البيان النبوي

أولا : الإيجاز و جوامع الكلم .

ثانيا : الصور البيانية و المحسنات البديعية .

يتميز الحديث النبوي في شكله الموثق في الصحيحين بنمط تركيبي متفرد لم يعهد في أي شكل من أشكال النصوص الشعرية أو النثرية ، و يستدعي التأمل و الدراسة .

و تتفاوت الأحاديث النبوية في الطول و القصر و لكنها في أغلب الأحيان متقاربة و لا تشتمل على مقولات النبي صلى الله عليه و سلم فقط ، و إنما تأتي المقولات النبوية مسيجة و محاطة بإطار قوي من المشاهد التي تحدث فيها و الآثار التي تحدثها في النفوس . و يمكننا ببساطة متناهية أن نميز الأركان التي يبنى عليها الحديث النبوي و هي :

الركن الأول :

السند و هو سلسلة الرواة الذين تلقوا الحديث من لدن النبي عليه الصلاة و السلام إلى آخرهم الذي نقل عنه الحديث ليخرج و يدون في الصحيح . فالسند من الناحية اللغوية يشهد على الرواية الشفهية للنصوص النبوية عبر الأجيال في هذا النمط التركيبي بمعنى أن البخاري مثلا لم يخترع الطريق الذي كان موجودا قبله و إنما درسه و تتبعه لإثبات اللقاء و المعاصرة لإيجاد العلاقة الحسية الثابتة بين الراوي و المروي عنه . يقول طاهر الجزائري في تعريف السند : " **و أما السند فهو في اللغة ما استندت إليه من جدار أو غيره و هو في العرف طريق متن الحديث و سمي سندا لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث و ضعفه عليه و سند الحديث هو ما ذكر قبل المتن و يقال له الطريق لأنه يوصل إلى المقصود هنا و هو الحديث كما يوصل الطريق المحسوس إلى ما يقصده السالك فيه و قد يقال للطريق وجه تقول هذا حديث لا يعرف إلا من هذا الوجه** " [1] .

و ليس من قبيل العبث أن يسمى السند الذي يعتمد عليه الحفاظ في تصحيح الحديث و تخريجه بالطريق فكلمة طريق تدل على السيرورة الزمنية

(1) طاهر الجزائري ، توجيه النظر إلى أصول الأثر ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 24 .

للنص النبوي و انتقاله من صدر إلى صدر كلهم أمين عدل قبل أن يستقر في الدواوين . و اعتماد الإسناد في رواية الحديث معناه عدم الركون إلى الرواية في الثقافة الشعبية و اشتراط الرواية عن نخبة متميزة بالخصائص العلمية و الدينية يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب في التزام الإسناد : " **تشدد الصحابة و التابعون و من بعدهم في طلب الإسناد من الرواة و التزموه في رواية الأحاديث لأن السند للخبر كالنسب للمرء قال الإمام محمد بن سيرين (لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم و ينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) و قال الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك (الإسناد من الدين و لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) ... و لم يقتصر التشدد في طلب الإسناد على محيط العلماء و طلاب العلم ، بل ، أصبح الإسناد أمرا بديهيا مسلما به عند العامة و الخاصة ... و هكذا أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية و الاهتمام منذ عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروي و هو بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه و يطمئن إلى صحة ما ينقل عندما ينتهي سنده المتصل إلى الرسول صلى الله عليه و سلم كما يبعث الطمأنينة في نفوس السامعين بروايته بسنده المتصل** " .[1]

و الإسناد يبعث كذلك الطمأنينة على اللغة النبوية و السلوك الكلامي الممارس في عهد النبوة .

و نتيجة لهذا الجهد العلمي في التثبت من الأخبار قبل نقلها من الصدور إلى السطور لا يجد اليوم من يستخدم الحديث النبوي بُدًّا من تخريجه بإسناده إلى مدونيه و يكفي أن يخرج البخاري الحديث في صحيحه للاطمئنان و الثقة .

---

(1) د . محمد عجاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ، 1989 ، ص 419 و 420 .

الركن الثاني :

تمهيد الصحابي للنص النبوي بذكر الملابسات و الظروف التي أحاطت بالنبي عليه الصلاة و السلام أثناء ذلك النص أو قبل ذلك كالزمان و المكان و الأسباب ، و الصحابة يعطون هذا الجانب من البيان النبوي أهمية كبيرة لوضع الحديث في سياقه و تحديد دلالته و تعليل الأحكام المستفادة منه . و نجد نتيجة لذلك في متن الحديث قول الصحابي أحيانا أطول من قول النبي و خاصة في أحاديث عائشة و أبي هريرة رضي الله عنهما .

الركن الثالث :

النص النبوي : و هو ما حفظه الصحابي بعدما سمعه بالصوت النبوي و هو محور بحثنا اللغوي هذا .

الركن الرابع :

التعليق و تسجيل الملاحظة من الصحابي أو غيره من رواة الحديث عقب الانتهاء من سرده لإقرار حكم يريده أو استنباط فائدة يعين على فهمها .

هذا هو الإطار العام الذي يتركب فيه البيان النبوي من الناحية الشكلية و من المعلوم أن ذلك الإطار المكتوب لم يتشكل في العصر النبوي و إنما حدث في عصور الرواية و التناقل عند اشتراط الدقة المتناهية و الضبط الذي لا يتساهل و لا يتغاضى و الجدول التالي يبين هذه الأركان الأربعة على سبيل المثال ، و تأتي هذه الأركان كلها في بعض الأحاديث و في بعضها الآخر تأتي في حدها الأدنى و هو السند و المتن بدون ملابسات و لا تعليق و الجدول يوضح ذلك .

رقم الحديث في الملحق	الركن	التركيب
11	السند	حدثنا أحمد بن محمد المكي قال : حدثنا عمرو بن يحي بن سعيد بن عمرو المكي عن جده عن أبي هريرة قال :
	التمهيد	اتبعت النبي صلى الله عليه و سلم و خرج لحاجته فكان لا يلتفت فدنوت منه فقال :
	النص النبوي	أبغني أحجارا أستنفض بها – أو نحوه و لا تأتني بعظم ،ولا روث.
	التعليق	فأتيته بأحجار بطرف ثيابي ، فوضعتها إلى جنبه و أعرضت عنه فلما قضى أتبعه بهن .
36	السند	حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة
	التمهيد	أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر يوم الجمعة فقال :
	النص النبوي	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه .
	التعليق	و أشار بيده يقللها
54	السند	حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن اسلم عن أبيه قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول .
	التمهيد	حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه و ظننت أنه يبيعه برخص ، فسألت النبي صلى الله عليه و سلم فقال :
	النص النبوي	لا تشتره و لا تعد في صدقتك ، و إن أعطاكه بدرهم فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه .

المبحث الأول : ملابسات البيان النبـــوي

لكل نص إنساني راق يراود الخلود سواء كان شـــعرا أو نـــثرا ظـــروف تســـاهم في إنتاجه و تتركه بعد ذلك ينفرد بشـــخصيته و تـــدع أثارهـــا و بصماتهـــا في بنيتـــه . و هذه الظروف نوعان الأول هو الأحوال النفسية الذاتية الـــتي تتعلـــق بصـــاحب النـــص و تؤثـــر في كلامـــه و كتابتـــه كالنســـيان و الغضـــب و درجـــة الوعـــي و الثقافـــة و الانفعال. و النوع الثاني من الظروف خـــارجي مرتبـــط بـــالمحيط و البيئـــة و نتيجـــة لتفاعلهما يولد النص و يوجد متأثرا بظروفه و ملابســـاته في المبـــنى و المعـــنى ، و هـــذا معلوم مشهور في الشعر فإن الشاعر لا يقول متى شاء بل إن هنـــاك مناســـبات تســـتفزه لقول الشعر ، و الشعر كله وليد هـــذه الظـــروف و المناســـبات و الانفعـــالات ســـواء ظهرت في موضوع القصيدة أو لم تظـــهر .

و القرآن الكريم نفسه لا يفسره المفســـرون و لا يفهمـــه العلمـــاء إلا في إطـــار هذه الملابسات التي تتضمنـــها علـــوم القـــرآن كأســـباب الـــنزول و المكـــي و المـــدني و الناسخ و المنسوخ و حرص الناس على اعتبـــار هـــذه الملابســـات و تداولهـــا خـــارج النص القرآني و زيادة على ذلك فـــإن القـــرآن الكـــريم يوضـــع في الســـياق التـــاريخي و الحضاري فهو في مجمله له سبب نـــزول عـــام يســـتوحي مـــن الملابســـات التاريخيـــة و الحضارية و الدينية التي عاصرت أو سبقت نزولـــه . كتحريـــف الكتـــب الســـماوية السابقة و عدم بقاء نص سماوي موثـــق يرجـــع إليـــه إلى غـــير ذلـــك مـــن الأســـباب و حتى في تدوين القرآن الكريم اهتدى الصحابة إلى كتابة مكـــان نـــزول الســـورة مـــع اسمها فهي إما مكية أو مدنيـــة و اســـتنبطوا الفـــروق البنيويـــة بـــين الســـورة المدنيـــة و السورة المكية . و الجدول التالي يشرح لنا الفـــروق البنيويـــة بـــين المكـــي و المـــدني كما قررها كتب علوم القـــرآن .

جامعة ... المكتبة المركزية

مميزات الآيات المكية	مميزات الآيات المدنية
1. تمتاز بقوة المعارضة الجدلية و ذلك لمناقشة المشركين في التوحيد .	1. تقرر الأحكام الشرعية دون مناقشة و لا مجادلة .
2. جاءت قصيرة في نظم خطابي يحرك العواطف و يحيي الشعور.	2. جاءت طويلة نظرا لسعة موضوعاتها و ما اشتملت عليه من الأحكام .
3. إن الخطاب فيها جاء بيا أيها الناس أو يا بني آدم و هذا ما يقتضيه الواقع .	3. أكثر ما يكون الخطاب فيها بقوله يا أيها الذين آمنوا .

هذه بعض الملابسات اللفظية التي تميز الآيات المكية عن الآيات المدنية في الغالب و هناك ملابسات أخرى موضوعية و تاريخية تجعل المفسرين و علماء القرآن الكريم يحددون مكان نزول السورة و يؤشرونه في المصحف لما له من وزن في فهم السورة في إطار ظروفها و ملابساتها و مهما حاول المفسرون أن يفهموا النصوص بمعزل عن تلكم الملابسات فإنهم لن يصلوا إلى النتائج العلمية المتوخاة سواء في المعنى أو في المبنى .

و في هذا الصدد يقول الدكتور عبد الرحمن طالب : " **قلما تخلص النصوص الدينية أو الأدبية من ملابسات تسبقها أو تتخللها لأن الملابسات أشخاص و حركات و سكنات و عادات و هذه تحدث ضمن زمان معين و مكان محدد ... و لهذا راينا و نحن ندرس الحديث النبوي تداخل دراستنا بين الاستفادة بين الملابسات و بين منطوق النص و مفهومه و إيحاءاته . و قد لوحظ التداخل أحيانا بين ما ذكر و بين مستفادات السند أيضا . ذلك أن وضع حاجز من حديد بين النص و ملابساته غير ممكن و ليس بوارد أبدا في دراسة النصوص التشريعية و لا الأدبية** " .[1]

(1) د. عبد الرحمن طالب ، منهج الاستفادة من الأحاديث النبوية ، ص 26 .

و تلتبس بالبيان النبوي اعتبارات كثيرة كالزمان و المكان و الأشخاص و الأشياء و الحركات و السكنات و غيرها من الظروف التي تكتنفه و تحيط به من كل جوانبه و يناط بها الفهم و البيان . و هناك ملاحظة هامة تتعلق بأمر صارخ اختص به البناء اللغوي في الحديث النبوي و هو أن هذه الملابسات و إن لم تكن من كلام النبي عليه الصلاة و السلام إلا أن الرواة من لدن الصحابة المتلقين إلى الكتاب المدونين حرصوا على حفظ تلك الملابسات و روايتها كما وردت في إطار البنية العامة للحديث بدءا من السند الذي يدل على التناقل و التداول و انتهاء بتفاصيل الظروف التي نطق فيها النبي ذلك الحديث . و كان الحديث يشكل مشهدا تتجسد فيه كل الحيثيات حتى كان من يقرأ دواوين السنة اليوم يلاحظ في الأحاديث القولية الصحيحة كأن النبي يتكلم و كأنه لا يقرأ و إنما يسمع و لأمر ما نهى النبي عن كتابة الحديث و أباح التحدث به إذ قال : " **من كتب شيئا غير القرآن فليمحه** " .[1]

و في سنن أبي داود بسنده أنه دخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله **عن حديث فأمر إنسانا يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه** " .[2] و كان هذا النهي عن كتابة الحديث مخافة أن يلتبس شيء منه بكتابة القرآن الكريم أثناء تلقيه عن النبي لأنه كان مأمورا بتبليغ القرآن و حرصه على هذا التبليغ هو سبب نهيه عن كتابة الحديث خشية أن يشتغل الناس به عن القرآن أو يلتبس شيء منه بالقرآن و مع ذلك فلم يكن نهي النبي صلى الله عليه و سلم عن كتابة حديثه مطلقا بل كان يأذن لبعض الصحابة بذلك ممن يرى أنه لا يلتبس عليهم الحديث بالقرآن . إلا أن هناك حقيقة مهمة جدا و هي عدم ملابسة الخطأ للحديث النبوي الشريف و هو ما يجسد العصمة أثناء القول .

---

(1) سنن أبي داود ، ج2 ، ص 125 .
(2) سنن أبي داود ، ج2 ، ص 125 .

و هذا بإقرار النبي نفسه أن الملابسات النفسية أو الموضوعية لا تؤثـــر بتاتـــا في الحديـــث و لا تميل به عن الحق و الصواب ، فعن عبد الله بن عمرو قـــال :" **كنـــت أكتـــب كـــل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم أريد حفظـــه فنـــهتني قريـــش قـــالوا أتكتب كل شيء و رسول الله صلى الله عليـــه و ســـلم بشـــر يتكلـــم في الغضـــب و الرضى فأمسكت عن الكتـــاب فذكـــرت لرســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال:أكتب فو الذي نفسي بيده مـــا يخـــرج منـــه إلا حـــق** ".[1]
فالخطاب الإلهي و الخطاب النبـــوي خطـــان متوازيـــان في الكمـــال و قـــوة الحضـــور و البيان مع تفرد الأول بخصوصيته الإلهية و تفرد الثاني بخصوصيته البشـــرية و مـــا يتبـــع كلا منهما من ممـــيزات .

و هناك فاصل بين اعتبـــار هـــذه الملابســـات في القـــرآن الكـــريم و اعتبارهـــا في الحديث النبوي الشريف . فالملابسات في القـــرآن الكـــريم نجدهـــا خـــارج النـــص القرآني و ذلك لخلوه من أي أثر بشري فأســـباب الـــنزول و المكـــي و المـــدني تتطلـــب معرفة خاصة خارج إطار المصحف الشريف ، و حتى الأعمـــال الأدبيـــة شـــعرا و نـــثرا التي تنشأ عن ملابسات معينة قلما نعثر عليـــها في بنيـــة النصـــوص ، أمـــا في الحديـــث النبوي فنجد كل شيء ممتزجا في إطـــار الـــتركيب إذ يختلـــط كـــلام النـــبي بالســـند و بسؤال السائل و باعتبارات كثيرة و هذه ميزة النـــص النبـــوي

أولا : ملابسات الســـند

السند ليس من ملابسات الحديث النبوي لأنه تركـــب خـــلال عقـــود الروايـــة الشفهية و عهودها و ثبته التدوين كأثر من آثـــار التوثيـــق و الطمأنينـــة علـــى صحـــة النص . و لكن من يقرأ السند يجد به ملابسات خفيـــة يتفطـــن لهـــا شـــراح الحديـــث العارفون بأحوال الرجال و موضوع البحـــث لا يتعمـــق بالســـندو لكـــن أشـــير فقـــط

(1) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، ج2 ، ص 124 .

إلى بعض الملابسات الخفية التي تؤكد عدم اعتباطيـــة تركيبـــه و تـــدل علـــى حضـــارة الرواية و التعليم فمثلا الحديث رقم 1 في الملحق هذا ســـنده : " **حدثنـــا إسمـــاعيل قـــال حدثني مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيـــه أنـــه سمـــع طلحـــة بـــن عبيد الله يقول : جاء رجـــل إلى رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم مـــن أهـــل نجـد ...**" [1] .

و يقول ابن حجر شارحا ملابسات هذا الإســـناد : " **و رجـــال إســـناد هـــذا الحديث كلهم مدنيون** " فملابســـة المكـــان و هـــو المدينـــة المنـــورة خفيـــة و تحتـــاج إلى شرح و بيان ، بل إن هناك ملابسات القرابة و هي أخفـــى مـــن المكـــان و تحتـــاج إلى معرفة سير و تراجم رجال الســـند و هـــو أمـــر لا يخفـــى علـــى شـــراح الحديـــث كابن حجر إذ يضيف موضحا : " **و مالك و الـــد ســـهيل ، و هـــو ابـــن أبي عـــامر الأصبحي حليف طلحة بن عبيد الله و إسماعيل هـــو ابـــن أبي إدريـــس ابـــن أخـــت الإمام مالك فهو من رواية إسماعيل عن خاله عن عمه عـــن حليفـــه فـــهو مسلســـل بالأقارب كما هو مسلسل بـــالبلد** ".[2]

و يقول البدر العيني كاشفا ملابسات هذا الإســـناد أيضـــا : " **لطـــائف إســـناده منها أن فيه أولا حدثنا إسماعيل ثم حدثني مـــالك لأن في الأول الشـــيخ قراءتـــه لـــه و لغيره و في الثاني قرآه له وحده و منها أن فيـــه التحديـــث و الســـماع و العنعنـــة و منها أن رجاله كلهم مدينون ، و منها أن إســـناده مسلســـل بالأقـــارب** " .[3]

(1) (2) ابن حجر ، فتح الباري ، ج1 ، ص 106 .
(3) البدر العيني ، عمدة القارئ ، ج1 ، ص 265 .

ثانيا : ملابسات المتن

1- أسباب الورود :

تقترن بنية الحديث النبوي الظروف و الأحوال و الأسباب التي ساهمت في جعل النبي يتكلم إما جوابا عن سؤال أو تعليقا على حال ، و أسباب ورود الحديث كأسباب نزول القرآن و الحديث النبوي الشريف في الورود على قسمين ما له سبب قيل لأجله و ما لا سبب له . إلا أن بعض الرواة يجرد الأحاديث من أسباب ورودها و ملابساتها فلا تعرف إلا من طريق آخر و هي تراكيب و تعابير يمهد بها الصحابي لكلام النبي عليه الصلاة و السلام : " **و إن من الأسباب ما يكون بعد عصر النبوة كما في أحاديث ذكروا أسباب ورودها عن الصحابة رضي الله عنهم ، و قد نظر بعض المتأخرين في ذلك و لكن ذكرها أولى لأن فيها بيان السبب في الجملة ، فإن الصحابة رضي الله عنهم حفظوا الأقوال و الأفعال و حافظوا على الأطوار و الأحوال فيكون السبب في الورود عنهم مبينا لما لم يعلم سببه عن النبي صلى الله عليه و سلم** ".[1] و معنى هذا أن السبب قد دخل في بنية النص النبوي أثناء الرواية و المداولة فيأتي تارة في عصر النبوة و تارة بعدها و تارة يأتي بالأمرين معا و هذا الأسلوب الأمين في النقل و الرواية يعني أن الصحابي الذي يروي الحديث و هو يحكيه كما ورد . إلا أن هناك أحاديث لها أسباب ورود و يمكن تجريدها من ذلك السبب فلا يأتي ملابسا لبنية النص ، مثل قوله عليه الصلاة و السلام : " **إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** ".[2]

---

(1) الشريف ابراهيم ، البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث الشريف . ج1 ، ص 24 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، رقم 1 ، ج1 ، ص 3 . انظر في الملحق رقم 125 .

فهذا الحديث له سبب مشهور و لكنه ليس ملابسا لبنية النص و لكن الشراح يذكرون هذا السبب دائما أثناء شرح الحديث و تحليله و يتفقون عليه يقول الشريف إبراهيم: " **هذا الحديث صحيح مشهور متفق عليه أخرجه الأئمة الستة في كتبهم و غيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سببه لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وعك فيها أصحابه و قدم رجل يتزوج امرأة كانت مهاجرة فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر فقال يا ايها الناس إنما الأعمال بالنيات (ثلاثا) فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه ثم رفع يديه فقال: اللهم انقل عنا الوباء(ثلاثا) فلما اصبح قال : أتيت الليلة بالحمى فإذا بعجوز سوداء ملبية في يدي الذي جاء بها فقال هذه الحمى فما ترى فيها فقلت اجعلوها تحم ، و نقل الحافظ السيوطي أن قصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور في سننه بسند على شرط الشيخين عن ابن مسعود و قال ابن مسعود كنا نسميه مهاجر أم قيس**".[1]

و لا يكاد يخلو حديث من سبب الورود ، و في هذا دلالة على أن النبي ﷺ لم يكن يتكلم إلا عندما يرى داعيا موجبا للكلام و ضرورة تدعو إليه و سببا قويا من أسباب التبليغ و الإيصال و لهذا السبب كان الفعل الكلامي للنبي عليه الصلاة و السلام قويا فعالا . و إذا وردت بعض الأحاديث خالية من أسبابها فليس معناه أنه لا سبب لها فقد ترد بطريق آخر مقترنة بسبب ورودها إذ يصعب العثور على حديث ليس له سبب .

و أسباب ورود الحديث كثيرة و متنوعة منها :

أ- **المحاورة** : الأحاديث النبوية المبنية على الحوار بين النبي عليه الصلاة و السلام ، و مخاطبيه كثيرة جدا ، و غالبا ما يكون الحوار عنصرا أساسيا في تركيب النص

(1) الشريف إبراهيم ، البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث الشريف . ج1 ، ص 36 .

بحيث لو جرد الحديث النبوي من ملابساته الحوارية لفقد معناه أو كثيرا من معناه و في هذه الحالة يصبح الحوار كله نصا لكونه شديد الالتباس و اللصوق بكلام النبي عليه الصلاة و السلام ، و في هذا الشأن يقول الدكتور عبد الرحمن طالب :

" و مما ينبغي التنبيه عليه في هذا المجال أن المحاورة التي تقع بين الرسول عليه الصلاة و السلام و بين مخاطبيه قد تدخل في إطار النصوص إذا توقف فهم النص عليها ، و يمكن أن تكون من الملابسات ، إذا استغنى النص عنها في فهم المعنى المراد " .[1]

و الأحاديث الحوارية التي تلابسها أسباب ورودها ملابسة قوية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال الحديث رقم 85 في الملحق و فيه :

" جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسأله عن اللقطة .

فقال : أعرف عقاصها و وكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها و إلا فشأنك بها .

قال : فضالة الغنم ؟

قال : هي لك أو لأخيك أو للذئب .

قال : فضالة الإبل ؟

قال : مالك و لها ، معها سقاؤها و حذاؤها و تأكل الشجر حتى يلقاها ربها ".[2]

و عند تفحص النصوص الحديثية يتبين أن نسبة كبيرة منها مؤسسة على أسئلة يطرحها الناس على رسول الله ﷺ و طرح الأسئلة يكاد يكون سلوكا اجتماعيا و ظاهرة لغوية عند العرب عصرئذ و قد أشار القرآن الكريم إلى أن الناس كانوا يسألون النبي كثيرا في مواضيع مختلفة منها الآيات التالية :

- "يسألونك عن المحيض قل هو أذى ... " . البقرة 222 .
- " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس و الحج " البقرة 189 .

---

(1) د . عبد الرحمن طالب ، منهج الاستفادة من الأحاديث النبوية . ص 26 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب اللقطة ، رقم 2429 ، ج2 ، ص 726 . و انظر في الملحق رقم 85 .

- " **يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منـــافع للنـــاس**"البقـــرة 219.
- " **و يسألونك ماذا ينفقون ، قل العفـــو** " البقـــرة 219 .
- " **و يسألونك عن الروح قل الروح من أمـــر ربي** " الإســـراء 85 .
- " **و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خـــير** " البقـــرة 220 .
- " **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرســـول** " الأنفـــال 1 .
- " **يسألونك قل الله يفتيكم في الكلالـــة ...** " النســـاء 176 .

و في هذه الأسئلة كان الجواب قرآنيا مـــن الله تعـــالى إذ كـــان النـــبي يســـكت عن السائل قليلا أو طويلا ريثما يوحى إليـــه و كـــان أحيانـــا أخـــرى يجيـــب الســـائل مباشرة ، و غالبا ما يستغل السائل فرصة قربه من رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم فيطرح عدة أسئلة لا سؤالا واحدا فيأتي الحديـــث حواريـــا و قـــد حفظـــت الذاكـــرة في الحضور و الغياب نص السؤال و نص الجواب بســـبب الاندفـــاع النفســـي الصـــادق الذي يجمع بين شوق المعلم للتعليم و شـــوق المتعلـــم للتعلـــم . بحيـــث يكـــون أحيانـــا السامع ليس طرفا في الحوار و لكنه يسمع و يشاهد كأنـــه أداة تســـجل و آلـــة تحفـــظ و ذلك لارتباط الناس بالنبي عليه الصلاة و السلام فيتحولـــون كلـــهم إلى آذان صاغيـــة و أذهان واعية بحيث لا يسقط من المشـــهد شـــيء .

و يعلل ابن خلدون كثرة ميل العـــرب إلى الســـؤال و الاستفســـار منـــذ القـــدم قائلا : " **إن العرب لم يكونوا أهل كتاب و لا علم و إنمـــا غلبـــت عليـــهم البـــداوة و الأمية ، و إذا تشوقوا إلى معرفـــة شـــيء ممـــا تتشـــوق إليـــه النفـــوس البشـــرية في أسباب المكونات و بدء الخليقة و أســـرار الوجـــود ، فإنمـــا يســـألون عنـــه أهـــل الكتاب قبلهم و يستفيدونه منـــهم** ".[1]

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 786 .

و قد نمت البعثة المحمدية هذا الفضول العلمي عند العرب بالدعوة الصريحة إلى التفكير و سؤال أهل العلم "**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**" [1] فكانوا يسألون النبي عليه الصلاة و السلام في كل شأن يهمهم من شؤون حياتهم الدينية أو الدنيوية و تمتاز أسئلتهم بالوضوح و الصدق و التشوق إلى المعرفة و الاهتمام البالغ بتلقي الجواب ، لذلك كانت الأسئلة من الأركان الأساسية التي يبنى عليها الخطاب النبوي و هي من أهم الأسباب المباشرة في نزول القرآن الكريم و ورود الحديث الشريف ، و هي لذلك من أهم أسباب التعلم و وسائل التعليم و البيان .

إلا أن الصحابة المقربين من النبي عليه الصلاة و السلام المداومين على مجلسه لم يكونوا يكثرون الأسئلة على النبي عليه الصلاة و السلام هيبة و إجلالا و غالبا ما يكون الحوار من رجل غريب أو امرأة غريبة ، قد غشي مجلس النبي ليسأل ، فيجري الحوار في المجلس النبوي و القوم يسمعون و يسجلون في ذاكرتهم و لذلك نجد في أغلب الأحاديث الحوارية قول الصحابي الذي يروي الحوار (جاء رجل) (جاءت امرأة) إلى غير ذلك من العبارات التي تدل على أنهم من شدة احترامهم للرسول كانوا يحبون أن يسأله غيرهم.

و يكون النبي عليه الصلاة و السلام أحيانا هو الذي يفتتح الحوار و يثير النقاش بإلقاء السؤال أو إثارة الملاحظة التي تثير انتباه المجلس إلى نص المقال النبوي و مثال ذلك قول عائشة رضي الله عنها : " **أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل عليها و عندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة تذكر من صلاتها ، فقال : مه عليكم بما تطيقون . فو الله لا يمل الله حتى تملوا ، و كان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه** ".[2]

---

(1) سورة الأنبياء ، الآية 7 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، رقم 43 ، ج1 ، ص 38 . انظر في الملحق 5 .

ب- الوقائع و الأحـــداث :

تدخل في بنية بعـــض الأحـــاديث النبويـــة وقـــائع و أحـــداث كـــانت ســـببا في صدور الكـــلام النبـــوي كالجنـــائز ، و الإســـراء و المعـــراج و الـــزواج و البيـــوع و غيرها من الأحـــداث الاجتماعيـــة أو الكونيـــة الـــتي تســـتثير الاهتمـــام في الحضـــر أو السفر و من يقرأ مثلا الحديث التالي يجزم بأنـــه شـــريط أحـــداث و منظـــر حســـي و مشهد حي لا سطور على ورق : " **حدثنـــا موســـى بـــن إسمـــاعيل ، حدثنـــا أبـــو عوانة عن سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاعة عن جـــده رافـــع قـــال : كنـــا مـــع النبي صلى الله عليه و سلم بذي الحليفـــة فأصـــاب النـــاس جـــوع ،و أصبنـــا إبـــلا و غنما و كان النبي صلى الله عليه و ســـلم في أخريـــات النـــاس فعجلـــوا فنصبـــوا القدور ، ثم أمر بالقدور فأكفئت ، ثم قسم فعدل عشـــرة مـــن الغنـــم ببعـــير ، فنـــد منها بعير ، و في القوم خيل يسير فطلبـــوه فأعيـــاهم ، فـــأوهى إليـــه رجـــل بســـهم فحبسه الله فقال : هذه البهائم لها أوابد كأوابد الوحش فمـــا نـــد عليكـــم فـــافعلوا به هكذا . فقال جدي : إنا نرجو- أو نخاف - أن نلقى العـــدو غـــدا و ليـــس معنـــا مدى أفنذبح بالقصب ؟ فقال : ما أنهر الدم و ذكـــر اســـم الله عليـــه فكـــل ليـــس السن و الظفر و سأحدثكم عن ذلـــك أمـــا الســـن فعظـــم و أمـــا الظفـــر فمـــدى الحبشـــة**" .[1]

و الوقائع و الأحداث الـــتي تكـــون ســـببا في ورود الحديـــث النبـــوي كثـــيرة و متنوعة و قد تكون اجتماعية أو كونيـــة ممـــا يســـترعي اهتمـــام النـــاس و يســـتدعي الخطاب النبـــوي . و إذا مـــا تأملنـــا توزيـــع الأحـــاديث علـــى الكتـــب و الأبـــواب في الدواوين وجدناها قد استوعبت كـــل شـــؤون النـــاس الخاصـــة و العامـــة المرتبطـــة بحياتهم من مظاهر كونية أو ســـلوكيات اجتماعيـــة .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد و السير ، رقم 3075 . ج2 ، ص 945 . و انظر في الملحق رقم 99.

و الوقائع الاجتماعية كثيرة كالزواج والطلاق و الجنائز ،و البيوع و الإجارة و الوكالة و الشفعة و غيرها مما يعرض للناس في الحياة في شؤونهم الدينية أو الدنيوية .

والأحاديث التي تبين اهتمام الناس بالوقائع و الأحداث اهتماما بالغا كثيرة و نضرب على ذلك أمثلة منها :

1- الحديث رقم 18 في الملحق المتعلق بالسهو في الصلاة : " **قال عبد الله : صلى النبي صلى الله عليه و سلم - قال إبراهيم : لا أدري زاد أو نقص - فلما سلم قيل له يا رسول أحدث في الصلاة شيء .**

قال : و ما ذاك ؟

قالوا : صليت كذا و كذا .

فثنى رجليه و استقبل القبلة و سجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال : إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ، و لكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني ، و إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم ليسجد سجدتين "[1] فتشريع سجود السهو إنما تم بعدما لاحظ بعض الناس ما حدث للرسول من سهو و نسيان و ما وقع من زيادة في الصلاة و لا يؤثر قول إبراهيم زاد أو نقص شيئا لأن الظاهر أنه زاد في الصلاة و لو نقص لأكمل الصلاة و قد اكتفى هنا بسجود السهو مما يدل على أنه زاد في الصلاة و لم ينقص

2- و المثال الثاني الحديث رقم 93 في الملحق بين حادثة الاعتداء على العرض أو الزنا : " **عن أبي هريرة و زيد بن خالد الجهني أنهما قالا : أن رجلا من**

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ن رقم 401 ، ج1 . ص 146 . و انظر في الملحق رقم 18 .

الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله .

فقال الخصم الآخر و هو أفقه منه : نعم فاقض بيننا بكتاب الله و ائذن لي : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : قل .

قال : إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته و إني أخبرت بأن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة و وليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني : أنما على ابني جلد مائة و تغريب عام و أن على امرأة هذا الرجم . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله .

الوليدة و الغنم رد ، و على ابنك جلد مائة و تغريب عام ، أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها .

قال : فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فرجمت ".[1]

فهذه الواقعة الاجتماعية وقع الحكم فيها بالتراضي و الفداء ربما كان عادة من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام و حكم هذه القضية كان معروفا و لكن الخصومة عند النبي من أجل الاستثبات من الحكم النبوي لم تجعل النبي يقول له نعم كما أخبرك أهل العلم ، و إنما نطق بتركيب نبوي خالد يرجع للاحتكام إليه في القضايا المشابهة .

3- و المثال الثالث من الوقائع الكونية التي كانت سببا في ورود الحديث النبوي و هو الحديث رقم 38 في الملحق و سبب وروده مثبت في بنيته و هو خسوف الشمس و قد تزامن ذلك الحادث الكوني مع حادث اجتماعي و هو وفاة إبراهيم ولد رسول الله عليه الصلاة و السلام و حزن النبي و المؤمنون لموت الطفل و لما خسفت الشمس ربط بعضهم خسوفها بوفاة الولد مما دفع النبي بعد تشريع الصلاة المتعلقة بهذه الظاهرة الكونية إلى توجيه الخطاب لتصحيح الأفكار و دفع

(1) صحيح البخاري كتاب الشروط ، رقم 2724 ،ج2 ، ص 851 . و انظر في الملحق رقم 93.

الأوهام روى البخاري بسنده عن عائشة أنها قالت : " **خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى صلى الله عليه و سلم بالناس فقام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام و هو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع و هو دون الركوع الأول ثم سجد فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الثانية مثلما فعل في الأولى ثم انصرف و قد انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال :**

" إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد و لا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله و كبروا و صلوا و تصدقوا ،ثم قال يا أمة محمد و الله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ".[1]

و هكذا فإن رواية الأحاديث النبوية لم تهمل أية ملابسة و لا أي جو يكتنف النبي عليه الصلاة و السلام أثناء البيان و خاصة الأسباب المتمثلة في الوقائع و الأحداث ، و من يقرأ الحديث النبوي اليوم في إطاره العيني فكأنما يشاهد صورة من مشاهد الحياة في زمن النبوة قد رسمتها اللغة . يقول الدكتور عودة خليل أبو عودة : " **الحياة المتدفقة و الروح السائدة .. هذه هي الخصيصة الكبرى في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين و هي السمة البارزة فيه . ها هنا يكمن موضوع بحث علمي ، أرجو أن ينهض به عالم ثبت لغوي متخصص يبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في الحديث الشريف و صلة الحديث بالمتكلم و المخاطبين و إني أستطيع القول الآن إن دراسة الحديث الشريف و استخراج ما فيه من مواقف و معان و دلالات و إيحاءات و ظلال ، و ما يتبع ذلك من عادات و أخلاق و قيم و تصرفات إن دراسة كهذه كفيلة أن تقدم لنا صورة** صادقة عن الحياة بكل وقائعها في عهد النبوة . لقد قرر علماء اللغة بيقين

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الكسوف ، رقم 1044 ، ج1 ، ص 351 ، و انظر في الملحق رقم 38 .

أن اللغة هي الحقيقة الاجتماعية بـأوفى المعـاني و قـد اهتمـت البحـوث اللغويـة الحديثة بالتغيرات الاجتماعية و أثرهـا في التشـكيل النحـوي للغـة " .[1] و مـا دام بحثنا محصورا في بنيـة الخطـاب النبـوي فـلا يمكننـا أن نتجـاوزه إلى التفسـيرات و التحاليل المتعلقة بـالقيم الاجتماعيـة اللـهم إلا القيـم اللغويـة ، و يمكننـا اعتبـار الخطاب النبوي باعتباره حديثا منطوقا ذا قيمة اجتماعيـة عظيمـة في ممارسـة الكـلام كوسيلة لتحقيق الأهداف الاجتماعية العليا و لا تتحقـق الأهـداف الاجتماعيـة العليـا إلا بالخطاب العالي الذي يحدث التجاوب الكامل ، صحيـح أن التغـيرات الاجتماعيـة لها أثر في التشكيل النحوي للغة ، لكننا نرى أن التشـكيل النحـوي للحديـث النبـوي هو الذي كان له الأثر في التغيرات الاجتماعية بكل أبعادهـا لأن التأثـير النبـوي كـان كبيرا في عصره و مصره و مـا زال مسـتمرا إلى الآن في كـل الأعصـار و الأمصـار و يتناسب هذا التأثير طردا و عكسا مع نسبة التمثيل لأحاديثـه في ثقافـة كـل مجتمـع و جودا و عدمـا.

ج- الملاحظات النبويـة :

تعتبر الفطانة و النباهة وحـدة الذكـاء مـن الصفـات الأساسـية في الأنبيـاء و غالبا ما يتفطن النبي إلى أمور تدعوه إلى الخطاب فيشير إليها في حديثـه أو ينتبـه إليـها المخاطبون و يفهمون أنها كانت مدعاة لكلام الرسول عليه الصلاة و السـلام و يوردونهـا في بنية النص حتى يبقى الحديث مرتبطا بسياقه الحيوي و الاجتماعي . و في معظم الأحيـان تكون تلك الملاحظات متعلقة بأخطاء فردية يحرص النبي على تصحيحها و من أمثلة هـذا النوع من أسباب الورود الحديث رقم 6 في الملحق روى البخاري بسنده عن عبد الله بـن عمرو قال : " **تخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر سافرناه فأدركنـا و قـد أرهقنا الصلاة - صلاة العصر- و نحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بـأعلى** صوته :

---

(1) د . عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 624 .

ويل للأعقاب من النار ، مرتين أو ثلاثا ".[1] فهذا الموقف الخطابي فيه تعليم الجاهلين عند ما لاحظ النبي أنهم يمسحون أرجلهم في الوضوء و الواجب عليهم غسلها فلم يسكت لأن المقام تطلب المقال و استنبط البدر العيني عدة فوائد من هذا الحديث يتعلق بعضها بدور الملاحظات في التربية و التعليم إذ قال : " **إن العالم ينكر ما يرى من التضييع للفرائض و السنن و يغلظ القول في ذلك و يرفع صوته للإنكار ".**[2] و هذا مثال آخر عن ملاحظات النبي عليه الصلاة و السلام التي تدفعه إلى الخطاب و يسجلها الرواة و هو الحديث رقم 109 في الملحق روى البخاري بسنده عن جندب بن سفيان البجلي قال : " **ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أضحية ذات يوم فإذا أناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة فلما انصرف رآهم النبي صلى الله عليه و سلم أنهم قد ذبحوا قبل الصلاة فقال : من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ، و من كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله ".**[3]

و هو كذلك يعلم الناس الملاحظة الصحيحة و عدم الاغترار بالمظاهر الخادعة فيقول في الحديث رقم 56 في الملحق روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " **ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة و اللقمتان ،و لكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه و لا يفطن به فيتصدق عليه ، و لا يقوم فيسأل الناس ".**[4] و ما من شك سبب ورود هذا الخطاب البياني هو ملاحظته لانخداع الناس بالمتسولين و اعتبارهم مساكين و ملاحظته الثانية هي وجود مساكين تمنعهم كرامتهم من التسول و ملاحظته الثالثة هو عدم تفطن الناس لحالة هؤلاء المساكين المأساوية.

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب العلم رقم 96 ، ج1 ، ص 58 . و انظر في الملحق رقم 6 .
(2) البدر العيني ، عمدة القاري ، ج2 ، ص 7 .
(3) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ، رقم 5500، ج4 ، ص 1770.و انظر في الملحق رقم 109 .
(4) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة . رقم 1479 ، ج1 ، ص 442 . و انظر في الملحق رقم 56 .

د- المقاصد و الأغـــراض :

و يشير النبي عليه الصلاة و الســـلام أثنـــاء الخطـــاب إلى المقـــاصد و الأغـــراض التي من أجلها يسوق ذلك الحديث مما يمكن اعتباره أيضـــا نوعـــا مـــن أنـــواع أســـباب الورود التي لها قيمتها التعليلية في تحديد مفهوم الخطاب كمـــا أن لهـــا قيمتـــها البنيويـــة في مساعدة المخاطبين علـــى الفـــهم و إدراك الغايـــات و العلـــل و الحكمـــة المتوخـــاة من الحديث و مثال ذلك الحديث رقـــم 13 في الملحـــق : روى البخـــاري بســـنده عـــن أبي هريرة قال : " **قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناولـــه النـــاس فقـــال لهـــم النـــبي عليه الصلاة و السلام :" دعوه و هريقوا على بولـــه ســـجلا مـــن مـــاء -أو ذنوبـــا من ماء- فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثـــوا معســـرين** ".[1] فبـــين لهـــم عليـــه الصـــلاة و السلام سبب نهيهم و أمرهم بإعراضـــهم عـــن الأعـــرابي لأن مـــن يدعـــو إلى الخـــير لا يكون أمره بالعنف أو التعسير فالحديث في بنيته اللغويـــة بيـــان لغـــرض النـــبي عليـــه الصلاة و الســـلام.

و المثال الثاني الحديث رقم 44 في الملحـــق ، روى البخـــاري بســـنده عـــن أبي هريـــرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " **أسرعوا بالجنـــازة فـــإن تـــك صالحـــة فخـــير تقدمونها ، و إن تك سوى ذلك فشر تضعونه عـــن رقـــابكم** ".[2]

هذه الميزة الملاحظة في بنية الخطاب النبـــوي المتمثلـــة في أســـباب الـــورود هـــي نفسها الملاحظة في الخطـــاب القـــرآني بدرجـــة أقـــل و يمكـــن اعتبـــار أســـباب ورود الحديث من الوجهة اللغوية هي أســـباب الخطـــاب و توجيـــه الكـــلام ، يقـــول محمـــد الغزالي و هو يتكلم عن أسباب نـــزول القـــرآن الكـــريم : " **إن الصـــور الـــتي أمامنـــا و التي تحدث فيها القرآن ، هو لم يكن مجيبا لسؤال فقـــط بحيـــث أن القصـــة تنتـــهي بانتهاء فهم السائل لما سأل عنـــه لا .. إن الإجابـــة تكـــون فيـــها توســـعة و تنـــاول لأمور أخرى كثيرة .. و كون أن سبب نزول الآية كـــذا ، ننظـــر للآيـــة هـــل هـــي**

(1) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، رقم 220 ، ج1 ، ص 92 . و انظر في الملحق رقم 13.
(2) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم 1315 ، ج1 ، ص 391 . و انظر في الملحق رقم 44.

جامعة ... المكتبة المركزية

فعلا عندما تحدثت تناولت السبب و وقفت عنده . السبب هو مفتاح لكثير من معلومات بما يناسب مع هذا السبب ، و هذا الكثير من المعلومات الذي انفتح لنا بسبب سؤال فلان ، أو حالة فلان ، أو تطلب الوضع لحل هو الذي جاء بهذه الخيرات كلها. و لذلك لا أنظر لسبب النزول إلا كأنه نوع من السبب الأدنى لهذه المعاني التي جاءت كلها و في تصوري أن البشرية لا تخلو على امتداد الزمن من نفس الحالات البشرية التي رأيناها خلال ربع قرن . فخلال ربع قرن أمكن تقديم نماذج لما يصنعه الخصام و اللدد . و ما يصنعه الحب و العاطفة الإنسانية و هي تستقر أو هي تهاجر . ما يعتري كل إنسان في أحواله ، كانت نماذج حول النبي عليه الصلاة و السلام هي – النماذج – كأنها شخوص موفدة من الغيوب في المستقبل لكي تسمع و ترى ما تحتاج إليه في الغد القريب و البعيد مما يقع في أيام النبي عليه الصلاة و السلام ،و لعل هذا سر أن الرسالة إنسانية .. و النفس الإنسانية إذا كانت صور أيام النبي عليه الصلاة و السلام موجودة ، فالصور متجددة إلى قيام الساعة ، فهذه الصور تنظر إلى القرآن النازل لترى أنه يخاطبها كلها و يتعامل معها كلها ، و آياته نفسها مفاتيحها لمشكلاتها إلى قيام الساعة ، و من هنا ما أظن أن يجيء شيء يلده الزمن و يعجز القرآن عن حله . لأن الطريقة التي نزل بها تجعله حلالا للمشكلات . و لا صلة له بالواقع المحسوس إلا صلة أنه لأدنى ملابسة" بدأ الكلام . أهـ ".[1] و الحديث النبوي بيان للقرآن الكريم و ما قاله الغزالي عن الخطاب القرآني يصدق على الخطاب النبوي .

لقد اشتملت بنية الخطاب النبوي على الأسباب التي تدفع الناس إلى الكلام و الحديث ، و الخطاب المفيد المؤثر هو ما تعلقت به أفئدة الناس قبل مسامعهم لأنه يحل مشاكلهم و يتفهم أحوالهم و يقضي على حيرتهم . و يستجيب لمشاكلهم

(1) محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن . ط ، دار الانتفاضة ، الجزائر ، د ت ، ص 79 .

و قديما قالوا : " الضحك من دون سبب من قلة الأدب " فبالأحرى يكون الخطاب مشتملا على الأسباب التي تبرره و تمرره حتى يكون هنالك اتصال حقيقي بين المرسل و المرسل إليه قائم على الدافع و الاستجابة . و إذا كان الحديث من غير سبب فسيذهب أدراج الرياح و لا يصل إلى أغوار النفس .

2- الزمان و المكان :

و يلاحظ دارس الحديث النبوي أن الرواة حرصوا على حكاية ما جريات الخطاب النبوي بالتفصيل و منها ظروف الزمان و ظروف المكان و هما عنصران أساسيان في الخطاب و في الحياة بصفة عامة لأن أي حدث في الحياة فهو ملتبس بالزمان و المكان . و المخاطب البليغ يراعي أحوال المخاطبين و يراعي ظروفهم و غالبا ما تتدخل الظروف لتشكيل بنية الخطاب وموضوعه و تسهم في تسهيله و توصيله .

و قد أدرك الرواة و هم ينقلون المشاهد و يصفون الأماكن و يذكرون الأزمنة أن ذلك مفيد في فهم الخطاب النبوي و غالبا ما كان الفقهاء يستنبطون الأحكام و القواعد و الفوائد العلمية من ملابسة مكانية أو زمانية فمثلا الحديث رقم 45 في الملحق روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال : " **مات إنسان كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعوده ، فمات بالليل فدفنوه ليلا فلما أصبح أخبروه فقال : ما منعكم أن تعلموني ؟ فقالوا :كان الليل فكرهنا - و كانت ظلمة - أن نشق عليك ، فأتى قبره فصلى عليه** ".[1]

فالحديث يستنبط منه الفقهاء ، فوائد منها مشقة الدفن ليلا و منها أيضا جواز الدفن ليلا و منها كذلك جواز الصلاة على الميت بعد دفنه .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم 1321 ، ج1 ، ص 393 . و انظر في الملحق رقم 45 .

و قد وردت في أحاديث نبوية كثيرة إشارة الرواة إلى الظروف الزمانية كأوقات الصلوات و الليل و النهار و الصحو و المطر و الكسوف و الخسوف و العيدين و الجمعة و الأشهر الحرم و الحج و غالبا ما كان النبي يخاطب الناس في أطر زمانية مناسبة للتشريع و الخطاب في وقت واحد ، كما يلاحظ كذلك حضور المكان بقوة و جلاء في بنية الخطاب النبوي كالسفر و الحضر و المسجد و المقبرة و غيرها من المشاهد المكانية المناسبة لخطاب ما .

و في الحديث التالي و هو يحمل رقم 46 في الملحق نرى شدة اهتمام النبي بالمكان الذي يناسب الخطاب و يساعد عليه روى البخاري بسنده عن علي ﷺ قال: " **كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي صلى الله عليه و سلم فقعد و قعدنا حوله و معه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة و النار و إلا كتب شقية أو سعيدة ...** ".[1]

و جعل البخاري لهذا الحديث العنوان التالي : " باب موعظة المحدث عند القبر و قعود أصحابه حوله " فقيمة المكان واضحة ودوره في تحديد الخطاب موضوعا و أسلوبا و دافعا كبير ، يقول الدكتور عبد الرحمن طالب في هذا الحديث: " **و الفرصة في الحديث كانت تشتمل على أشياء كلها تساعد على تأثير الوعظ في الحاضرين آنذاك و هي : المقبرة ، الجنازة ، فحضور الرسول صلى الله عليه و سلم تنكيس الرأس ، قرع الأرض بالمخصرة ، السكوت حفر القبر حزن قرابة الميت ، ثم الموعظة البليغة التي تشتمل على أمور في القضاء و القدر و السعادة و الشقاوة . و يستفاد من هذا أن الموعظة في المقبرة مطلوبة و مرغوبة فيها و نتائجها محققة خاصة إذا صدرت من مؤمن عالم تقي** ".[2]

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم 1362 ، ج1 ، ص 405 . و انظر في الملحق رقم 46 .
(2) د . عبد الرحمن طالب : منهج الاستفادة من الأحاديث النبوية ، ص 36 .

هذه الملابسات الزمانية و المكانية هي التي تهيء المخاطبين و المستمعين لتلقي الخطاب و تقبله و تدفعهم إلى الاستجابة السريعة لمتطلباته على المستوى النفسي و السلوكي . و تضفي على الخطاب رونق السحر و الجاذبية و التأثير .

و تعتبر مراعاة الظروف الزمانية و المكانية قاعدة من قواعد التحديث و تقنية من تقنيات الخطاب البليغ لو يراعيها المتكلمون لأراحوا أنفسهم و المخاطبين أيضا و لكان كلامهم جذابا مؤثرا كما هو الشأن بالنسبة لكلام النبي عليه الصلاة و السلام .

و النبي عليه الصلاة و السلام و هو يؤدي رسالته في ظروف زمانية و مكانية متعددة كان يستخدم في أسلوبه الخطابي في كثير من أحاديثه الشرط المتعلق بالزمان أو المكان مستخدما لفظة إذا الظرفية في مثل قوله عليه الصلاة و السلام : " **إنما ذلك عرق فإذا ذهبت الحيضة فاتركي الصلاة ، فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنكِ الدم و صلي** ".[1]

و قوله عليه الصلاة و السلام : " **إنه لو حدث شيء في الصلاة لنبأتكم به ، و لكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني ،و إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب ، فليتم عليه ثم ليسلم ثم ليسجد سجدتين** ".[2] و قوله عليه الصلاة و السلام " **إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس** ".[3] كما تجدر الملاحظة إلى أن كلمة "ثم" التي تفيد التراخي الزمني إذا أوردها الرواة أو أوردها النبي عليه الصلاة و السلام أنما ذلك للدلالة على أهمية التراخي و دوره في التشريع أو الخطاب . و كان النبي صلى الله عليه و سلم يسكت و يتراخى أحيانا عن قصد.

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، رقم 306 ، ج1 ، ص 116 . و انظر في الملحق رقم 15 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، رقم 401 ، ج1 ، ص 146 . و انظر في الملحق رقم 18 .
(3) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، رقم 444 ، ج1 ، ص 156 . و انظر في الملحق رقم 19 .

و من المعلوم أن الدعوة الإسلامية تقوم على أسلوب الترغيب و الترهيب و في الزمان و المكان مجالهما الواسع وميدانهما الكبير فالجنة و النار و يوم القيامة و الميعاد و غيرها من ألفاظ الزمان و المكان الماضي أو الحاضر أو المستقبل مما له أهمية في حياة الإنسان جعل النبي عليه الصلاة و السلام يحرص في خطابه على الإغراء أو التحذير بتعيين المغرى به أو المحذر منه مثل قوله عليه الصلاة و السلام : " **لو يعلم الناس ما في النداء و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، و لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه و لو يعلمون ما في العتمة و الصبح لأتوهما و لو حبوا** " . [1] و في هذا الحديث و غيره يرغب النبي عليه الصلاة و السلام في المحافظة على أوقات الصلاة و على حضور الجماعات و يحذر من التضييع أو إهمال الأوقات و في الحديث التالي توضيح أكثر لاعتماد النبي عليه الصلاة و السلام على عامل الزمان و المكان أثناء الخطاب كبنية و مقصد . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، و من راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة و من راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، و من راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، و من راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** ".[2] فتكرار كلمة ساعة يدل على التأكيد النبوي على ضرورة الاستعداد النفسي عبر العامل الزمني لخطاب الجمعة و أنه كلما طال زمن انتظاره كان الأجر أكثر و ما ذكر الأجر هنا إلا للترغيب في التبكير إلى صلاة الجمعة و انتظار الخطيب ، و النبي عليه الصلاة و السلام يدرك ما لعملية الإنتظار من دور فعال في الإستعداد النفسي و التهيؤ لاستقبال الخطاب و الإهتمام به . فلا يكفي أن يكون المؤدي للخطاب مستعدا له و مقتنعا به بل لابد أن يكون المتلقي للخطاب كذلك و بمراعاة الملابسات الزمانية و المكانية نستطيع اكتشاف العوامل التي تؤثر مباشرة في الخطاب و تقدم في فهم الخطاب و تحليله مما يوجب أخذ عامل الزمان و عامل

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، رقم 615 ، ج1 ، ص 200 . و انظر في الملحق رقم 25 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، رقم 881 ، ج1 ، ص 264 . و انظر في الملحق رقم 34 .

المكان بعين الاعتبار عند كل محاولة خطاب و استغلال هذين العـــاملين علـــى الـــدوام.

و هناك ملابسات مكانية و زمانية كثيرة تتخلل بنية الخطاب النبوي ينبغي اكتشـلفها و البحث عنها بموضوعية للاستفادة منها في المحادثات و العمليات الخطابية الخاصة و العامـــة مثل الحيز المكاني الذي يجمع المؤدي للخطاب و المتلقي و المسافة التي تفصل بينهما لتحديـــد درجة الصوت و مكان المخاطبين و قيمة موضوع الحديث ، و كذلك مناسبة ذلك الوقـــت لذلك الموضوع في ذلك المكان لذلك المتلقي من ذلك المؤدي لذلك المقدار فـــالنبي عليـــه الصلاة و السلام له قرابته و صحابته و زوجاته و بناته و خطابه مع كل هؤلاء الأصنـــاف يختلف تماما و يختلف أيضا عن خطاب عامة الناس وكلامه في بيته يختلـــف عـــن كلامـــه في الطريق أو في السوق ، و لذلك يكتسب البحث عن ملابسات الزمان و المكان في البنـــاء اللغوي للحديث النبوي قيمة بلاغيـــة مـــن جهـــة و قيمـــة لغويـــة مـــن جهـــة ثانيـــة و قد أدرك أساتذة الإعلام و أساتذة فنون الأداء هذا الدور الذي يؤديه المكـــان في التعبـــير أو ما يسمى بالحيز الشخصي يقول جلين ويلسون : " **من أجل حدوث أي تفاعل بـــين شخصين هناك درجة مثالية من المسافة التي تكون بينهما هي التي تحقـــق التـــوازن بـــين الدفء و التهديد ، فداخل النطاق الذي مقداره حوالي ثماني عشرة بوصة حول أجسامنا توجد المنطقة الحميمية المحتفظ بها للمحبوبين و الأزواج و الأطفال (الأبناء) و أعضـــاء العائلة المقربين (الأقارب) و ضمن نطاق هذه المسافة يمكننا أن نلمس و أن نُقبِّـــل و أن نشم روائح الجسد ، و أن نرى المسام و العيوب الموجودة في جلد الآخرين . و تـــدور معظم محادثاتنا مع الأصدقاء و المعارف عند مسافة تراوح بين 18 بوصة و أربع أقـــدام بينما تحدث التفاعلات الاجتماعية الأكثر رسمية و عملية عند مسافة تتراوح بين أربـــع و تسع أقدام أما في المناسبات الأكثر رسمية الأخرى كالحديث مـــع أشـــخاص مـــهمين (ذوي حيثية) و المخاطبات العامة فتستخدم مسافات أكبر من تسع أقدام** " .[1]

(1) جلين ويلسون ، سيكولوجية فنون الأداء ، ترجمة د. شاكر عبد الحميد ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، عدد 258 ص 214 .

و قد وقعت للنبي عليه الصلاة و السلام إحراجات و مضايقات من الذين يودون سماع خطابه أو من الذين لا يودون سماعه كان يتجاوزها و يتحملها بالصبر و الحياء حتى يكون الخطاب الإلهي هو الذي يكشف و يهدي ، فسورة المسد مثلا نزلت على إثر معاكسة كلامية تلقاها النبي في موقف خطابي عام هيأ له أسبابه و مكانه و زمانه ، و سورة الحجرات التي ترشد المؤمنين إلى خصوصية المخاطبات و خاصة محادثة النبي عليه الصلاة و السلام يقول الله تعالى فيها : " **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، و لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم و الله غفور رحيم** ".[1] و من ثم شرع الاستئذان في الدخول إلى النبي عليه الصلاة و السلام و في الانصراف من حضرته و مراعاة الأوقات المناسبة في الزيارة و الحديث و آداب المجالسة و أساليب المحادثة و هو ما تقرر و تكرر في كثير من السور كسورة النور و سورة الأحزاب التي فيها قوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ،و لكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم و الله لا يستحيي من الحق** ".[2]

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية بعدما أورد سبب نزولها :" **و الآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت ، حتى بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد كان الناس يدخلون البيوت بلا إذن أصحابها .. و ربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي صلى الله عليه و سلم بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم و الحكمة . و كان بعضهم يدخل و حين يرى طعاما يوقد عليه يجلس في انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام و كان بعضهم يجلس بعد الطعام سواء كان دعي إليه أو هجم هو إليه**

(1) سورة الحجرات الآيتان 4 و 5 .
(2) سورة الأحزاب ، الآية 53 .

دون دعوة و يأخذ في الحديث و السمر غير شاعر بما يسببه هذا من إزعاج للنبي صلى الله عليه و سلم و أهله و في رواية أن أولئك الثلاثة الرهط الذين كانوا يسمرون كانوا يفعلون هذا و عروس النبي زينب بنت جحش جالسة وجهها إلى الحائط ، و النبي صلى الله عليه و سلم يستحي أن ينبههم إلى ثقلة مقامهم عنده حياء منه و رغبة في ألا يواجه زواره بما يخجلهم حتى تولى الله سبحانه عنه الجهر بالحق " . [1]

ثم يحاول الاستفادة من هذه الآية و يمرّها على الواقع الخطابي الذي يحتاج إلى تصحيح و توجيه فيقول:" **و جاءت هذه الآية تعلم الناس ألا يدخلوا بيوت النبي بغير إذن ،فإذا دعوا إلى طعام دخلوا فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه ، ثم إذا طعموا خرجوا ، و لم يبقوا بعد الطعام للسمر و الأخذ بأطراف الحديث ، و ما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذي يجافيه الكثيرون فإن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده . بل إنهم ليتخلفون على المائدة ، و يطول بهم الحديث ، و أهل البيت .. متأذون محتبسون و الأضياف ماضون في حديثهم و في سمرهم لا يشعرون ".** [2]

و إذا ما عرجنا من القيمة البلاغية و الاجتماعية لملابسات الزمان و المكان إلى القيمة اللغوية فإننا نجد أن علماء النحو أدركوا هذه الملابسات في البنية الوضعية للألفاظ و في النظام العام للسان العربي و لكنهم لم يتعمقوا في تحليل ثنائية الخطاب باعتبار طرفيه بل ركزوا على البناء النحوي المعتمد على اللفظ فقسموا الخطاب إلى ثلاثة أقسام المتكلم و المخاطب و الغائب و المخاطب حاضر معاين زمانا

(1) (2) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج5 ، ص 2877 .

و مكانا و الغائب غير معاين . و هم بهذا قد أدركوا الأسس التي ينبني عليها الخطاب من خلال أوضاع اللسان العربي و إن لم يربطوا بينها إذ كل كلام يقوم على الثنائية التالية :

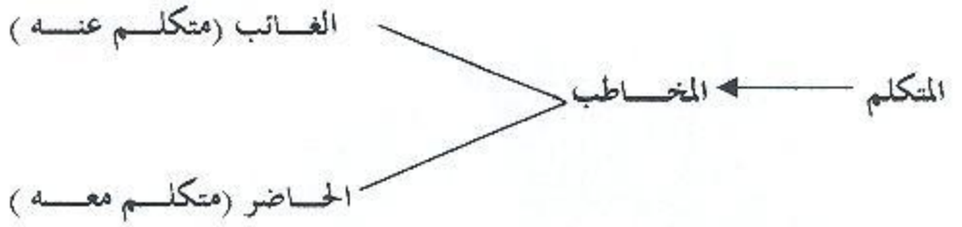

كما لاحظوا ملابسات الزمان في الأفعال و بعض ألفاظ الظروف و يشهد على فطنتهم إلى هذا الجانب اللغوي المهم الملتبس بالكلام أنهم رأوا أن بعض الألفاظ تحمل دلالة وضعية على مقدار المسافة التي تفصل بين المتكلم و المخاطب أو المتكلم عنه و نجد ذلك في ألفاظ النداء و ألفاظ الإشارة فمنها ما يستعمل للقريب و منها ما يستعمل للبعيد و المنهج النحوي يمكن أن يقدم خدمات كبيرة في تحليل الخطاب لإدراك المظاهر الخارجية المساندة لعملية التواصل الشفهي . و تهدف هذه الدراسة إلى تعميق الدرس النحوي بحيث يساهم في الوصول إلى إحياء الفعل اللغوي و تحصيل الخطاب الفعال و ذلك لمراعاة كل الخصائص التي تسهم في الكلام و ذلك لأن الأساس في اللغة أنها حسية تقوم على الإسماع و الاستماع في عملية التخاطب فيجب أن نتعلم كيف نتكلم و كيف نستمع و متى نقول ، و قد أدرك البنيويون الغربيون أنهم يبحثون في جسد ميت عندما يركزون على مورفولوجيا اللغة بمعزل عن الزمان و المكان أو ما يسمى بالتزامن و هذا دو سوسير يعبر عن هذه الإشكالية بقوله : " **إن أول ما يلفت نظر دارس وقائع اللغة هو عدم وجود تعاقبها الزمني ، و ذلك قياسا إلى الفرد الناطق إذ أنه أمام حالة و لهذا فعلى الألسني الذي يترع إلى فهم هذه الحالة أن يتجاوز كل ما أنتجه و أن يهمل التزامن . فهو لا يقوى على الولوج إلى ضمير الأفراد الناطقين إلا بحذف الماضي ،و إلغائه نزيد على ذلك أن ندخل التاريخ لا يمكن**

إلا أن يجعل حكمه خاطئا ، فمن العبث مثلا رسم منظر عام لجبال الألب مأخوذا من قمم عدة و في وقت واحد من جبال الجورا إذ يجب أن نتلقف المنظر من نقطة واحدة ، إن الأمر نفسه بالنسبة إلى اللغة . إذ لا يمكن وصفها و لا تثبيت معايير إستعمالية إلا إذا تموضعت في حالة ما ، و عندما يتبع الألسني تطور اللغة فإنه يشبه و الحالة هذه المراقب الذي ينتقل من طرف إلى آخر من جبال الجورا و ذلك لتدوين انتقال المنظور "[1] و فعلا إننا نستطيع تشبيه الوقائع الكلامية أو الفعل الكلامي كأي نشاط أو حدث آخر له لحظة ميلاد محددة بالزمان و المكان في حالة غير سكونية إما أن تنتهي و تموت في لحظتها و إما أن تواصل حياتها تاريخيا كشاهد على ذلك الزمان و المكان و إما أن تواصل حضورها الحيوي كما هو الشأن بالنسبة للخطاب القرآني و الخطاب النبوي فهما دائما الحضور و هنا يقول دي سوسير : **" إننا نؤثر الكلام على الألسنية التزامنية و الأخرى التزمنية و هذا تقاطع لنوعين من الظواهر المتعلقة بالغرض نفسه فالتزامني هو كل ما يتعلق بالجانب السكوني من عملنا هذا ، و التزمني هو كل ما يمت بصلة إلى التطور و هذان معا يدلان على حالة لغة و على مرحلة تطور بشكل متعاقب "[2]** و التعاقب هنا يقصد به التواتر و الاستمرار في لغة ما .

---

(1) ، (2) فرديناند دو سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص 103 .

3- الأحوال و الصفات و الهيـــآت :

قد يتدخل المحيط بعملية التخـــاطب لإعطـــاء دلالات إضافيـــة تعـــين الألفـــاظ في أداء المعاني التي يقصدها المتكلم ، خاصة إذا كان المتكلم من البلاغـــة بحيـــث يـــدرك قيمة المشهد الدلالية و أهمية المناظر المناسبة لموضوع الكـــلام الـــذي يريـــد بـــه المتكلـــم التأثير في نفس السامع و لهذا فـــهو يســـتعين بـــألوان و ملابـــس و أدوات غـــير لغويـــة و يستغل الأحوال التي تؤثر أيضا في نفسية الســـامع و المتكلـــم معـــا فيكـــون الخطـــاب قد تهيأ له المحسوس و المنطوق للتعبير عن مفهوم موحد و تواصـــل إيجـــابي تتناســـب فيـــه القدرة على التبليغ مع القدرة على الفهم . و قـــد أشـــار الدكتـــور إبراهيـــم أنيـــس [1] إلى الإشكالية التي حيرت المفكرين و هـــي أن الكـــلام قـــد يثـــير دلالات في الأذهـــان و يؤدي إلى تصرفات و لكنه لا يثير نفس الدلالات في كـــل مـــرة و لا يـــؤدي أيضـــا إلى نفس التصرفات في كل مرة مع أن الكلام هو هو ، و هنـــا يتدخـــل علـــم النفـــس لبحث الحالة النفسية للمتكلم و السامع و يتدخل أيضـــا علـــم الاجتمـــاع لمعرفـــة بيئـــة الخطاب و الموقع الذي يكون فيه الطرفـــان . و لله در عبـــد القـــاهر الجرجـــاني الـــذي كان أول من أشار إلى الأوضاع اللغوية و قـــرر اختصـــاص القـــول بقائلـــه دون روايـــة أو حكاية ، من جهـــة الصـــورة و الهيئـــة و مـــن جهـــة النظـــم و النســـق اللغـــوي و إن اجتهد الراوي في مقاربة الصورة و الهيئة و تقليدها فإنـــه يبقـــى القـــائل محتفظـــا بنسبة القول إليه من جهة النظم و الوضع إذ يقول: " **و يزداد تبينا لذلـــك بـــأن ينظـــر في القائل إذا أضفته إلى الشعر فقلت امرؤ القيس قائل هذا الشعر مـــن أيـــن جعلتـــه قائلا له ؟ أمن حيث نطق بالكلام و سمعت ألفاظها مـــن فيـــه أم مـــن حيـــث صنـــع فيها ما صنع و توقى فيها ما توقى ؟ فإن زعمت أنك جعلتـــه قـــائلا لـــه مـــن حيـــث أنه نطق بالكلم و سمعت ألفاظها من فيـــه علـــى النســـق المخصـــوص فـــاجعل راوي الشعر قائلا له فإنه ينطق بها و يخرجها من فيه على الهيئة و الصـــورة الـــتي نطـــق بهـــا**

(1) انظر : د. إبراهيم أنيس ، **دلالة الألفاظ** ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط5 عام 1984 ، ص 56 .

الشاعر و ذلك ما لا سبيل إليه . فإن قلت : إن الراوي و إن كان قد نطق بألفاظ الشعر على الهيئة و الصورة التي نطق بها الشاعر فإنه لم يبتدئ فيها النسق و الترتيب و إن ذلك شيء ابتدأه الشاعر فلذلك جعلته القائل له دون الراوي " [1] .

فالقول يتطلب تركيب النسق من قبل القائل و هيئة النطق به و صورته و قد يحتفظ بالنسق و تركيبه كأثر سمعي و قلما يحتفظ بالصور و الهيآت كأثر عيني مصاحب للأثر السمعي و مشارك له في تأدية الخطاب ،و لكن رواة الحديث النبوي أدركوا أن كلام النبي عليه الصلاة و السلام ليس مجرد أقوال و جمل و عبارات تحفظ مثلما يحفظ الشعر أو الخطب ، بل ذكروا كل التفاصيل و الملابسات و منها ما يتعلق بالأحوال و الصفات و الهيآت و الألوان و الملابس و الإشارات و تقاسيم الوجه و غيرها من الأعراض التعبيرية التي تكون في طرفي الخطاب أو أحدهما فالعين التي تشاهد و تعاين تساعد الأذن في تلقي الخطاب و إدراك دلالته إدراكا تاما ، و من هنا فإننا نجد في بنية الحديث النبوي زيادة على أقوال النبي التي تعبر عن نسق و طريقة خاصة في استعمال اللغة ، نجد الصور و الأحوال و لم نجد هذه الطريقة الفريدة في الأمانة النقلية في رواية الشعر أو النثر ...

و نجد في بنية الحديث النبوي ألفاظا و عبارات من الرواة الذين عاينوا المشهد النبوي تدل على أنهم حرصوا على جميع التفاصيل المتعلقة بالأحوال و الصفات و الهيآت و أعراض الخطاب من أمثال ما يلي :

---

(1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 277 .

1- جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته و لا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام .[1]

2- عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل عليها و عندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة تذكر من صلاتها .[2]

3- تخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر سافرناه فأدركنا و قد أرهقنا الصلاة صلاة العصر ، و نحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ..[3]

4- أتيت عائشة و هي تصلي فقلت ما شأن الناس فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام فقالت : سبحان الله ، قلت : آية ؟ فأشارت برأسها أي نعم فقمت حتى تجلاني الغشي فجعلت أصب على رأسي الماء ؟ [4]

هذه التراكيب نجدها محيطة بالبيان النبوي من كل الجوانب و إذا كان الصحابة قد أدركوا هذه الأحوال بقوة شعورية بحيث لاحظوا ارتباطها الوثيق بالمنطق النبوي ، فلا شك أن النبي عليه الصلاة و السلام كان يأخذها بعين الاعتبار و يحسن استغلالها في أداء خطابه هذا من جهة و من جهة أخرى فإن شراح الحديث يستنبطون دلالات متنوعة من خلال الملابسة التي تدل على الحال أو الصفة أو الصورة أو الهيئة لأنه مما عاينه النبي عليه الصلاة و السلام و أقره و مثال ذلك ما استنبطه البخاري من الحديث التالي :

عن أبي هريرة قال : اتبعت النبي صلى الله عليه و سلم و خرج لحاجته فكان لا يلتفت فدنوت منه فقال : " **ابغني أحجارا أستنفض بها و لا تأتني بعظم و لا روث** " فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه و أعرضت عنه فلما قضى أتبعه بها .[5]

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم 44 ،ج1 ، ص 39 ، انظر في الملحق رقم 1 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم 43 ،ج1 ، ص 38 ، انظر في الملحق رقم 5 .
(3) صحيح البخاري ، كتاب العلم رقم 96 ،ج1 ، ص 58 ، انظر في الملحق رقم 6 .
(4) صحيح البخاري ، كتاب العلم رقم 86 ،ج1 ، ص 55 ، انظر في الملحق رقم 7 .
(5) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، رقم 155 ، ج1 ، ص 76 . و انظر في الملحق رقم 11 .

يقول ابن حجر في سياق شرح هذا الحديث مستغلا الحيثيات التي عرضت خلال الحديث : " **في الحديث جواز اتباع السادات و إن لم يأمروا بذلك و استخدام الإمام بعض رعيته و الإعراض عن قاضي الحاجة ، و الإعانة على إعداد ما يستنجي به و إعداده عنده لئلا يحتاج إلى طلبها بعد الفراغ فلا يأمن التلوث** " [1] هذا كله استنبطه ابن حجر من رواية أبي هريرة لواقع الحال .

و إذا ما اعتمد الراوي للحديث على اللفظ النبوي فحسب و جرده من الملابسات فكأنما يطفئ النور و يغمض عينيه ليسمع ما قال النبي عليه الصلاة و السلام و بذلك تضيع منه دلالات كثيرة تزيد في فهم الخطاب و الاستجابة إليه فالحديث النبوي في شكله الروائي يمثل لوحة طبيعية تربط اللفظ النبوي بواقعه و ليس كلاما في فراغ .

4- الملابسات النفسية :

كل من يقرأ هذه الثروة النبوية المشتملة على ما صح من الخطاب الذي سمع من النبي عليه الصلاة و السلام يجد أنفاس و عواطف أطراف الخطاب تتخلل التراكيب و العبارات ، و يعتبر وجود كتب السنة الصحيحة بيننا بمثابة وجود النبي عليه الصلاة و السلام و صحابته الذين عاصروه فالنبي يتكلم و الصحابي يترجم و نلاحظ العلاقة النفسية أثناء الخطاب قوية و متينة بين النبي عليه الصلاة و السلام و المخاطبين و هي متبادلة و متعدية لكل من يتلقى هذا الخطاب بالمطالعة أو بالسماع ، فهناك تيار من العواطف و الانفعالات النبوية ما يزال موجودا في بنية الحديث النبوي و نستطيع مُعَايِنَتَهُ في انطباع الصحابة أو تعاليقهم أو سرعة استجابتهم و نستطيع أن نبررها بنيويا أيضا في عبارات النص النبوي المشحونة بالتجربة الشعورية التي تدفع النبي عليه الصلاة و السلام إلى الكلام فيحدث التأثير

(1) ابن حجر ، فتح الباري ، ج1 ، ص 256 .

و التأثر لأن هذا الخطـــاب يتوجـــه إلى قلـــوب النـــاس قبـــل أسماعـــهم ، و التجربـــة الشعورية في المتكلم التي تنم عن الصدق و المحبة و الحـــرص علـــى مصلحـــة المخـــاطب تجعل عباراته مشحونة بـــالحرارة و الـــدفء واختـــلاف النـــبرات و الجـــهر أو الهمـــس بحسب ما يمليه الموقف و يفرضه المقـــام . و كثـــير مـــن الخطبـــاء و المتكلمـــين يفقـــد خطابهم ذلك التأثير لأنهم يهملون العلاقة النفسية التي لابـــد أن يراعيـــها المتكلـــم حـــتى يستطيع أن يمرر خطابه و يحـــدث الاســـتجابة المناســـبة .و هـــؤلاء يعتـــبرون كـــآلات تتكلم و يبدو كلامهم باردا غير فعال فالخطاب النبوي مـــن خصائصـــه الـــتي تلابســـه ملابسة الروح للجسد هذه القوة النفســـية الـــتي تصنـــع الخطـــاب و تســـهم في إلقائـــه و تلقيه و هي متبادلة ، يقول الدكتور عز الدين علي السيد: " **و كـــان عليـــه الســـلام يرضى فيتحدث في الرضـــا ، و يغضـــب فيتحـــدث في الغضـــب و لســـانه في كـــلا الأمرين منوط بالحق و هذه الأحوال أمهات لما ينشـــأ حولهـــا مـــن صفـــات نفســـية هي سر الحياة في بيانه المبين ، لأنه الثروة التي إذا انطلقت فيـــه غـــلا و عـــلا و هـــز و أثر ، و وجودها في النص هـــو مقيـــاس صدقـــه الفنـــي ، و هـــو روح الصـــورة البيانية ،والدافع لقوى التعبير أن تتســـابق في إبـــداع أســـرارها** "[1]. فقـــوى التعبـــير و دوافع الخطاب هي قوى نفسية بالدرجة الأولى لأنـــه يتكلـــم عـــن قناعـــة و صـــدق و تنشأ القوة التعبيرية عن ثلاثة عوامل العـــامل الأول و هـــو الثقـــة بـــالنفس ، فالتعبـــير الشفهي أساسه الثقة بالنفس و لقد تهيأ للنـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام عـــامل الثقـــة بالنفس لأنه معصوم من الخطإ و أنه يقـــول الحـــق .

و العامل الثاني هو التكيف مـــع الموقـــف ، و مـــع كـــل الحـــالات التواصليـــة و التمييز بينها لإصدار الخطاب الذي تفرضه كـــل حالـــة .

و العامل الثالث الحرص على دوام انتباه المخاطب بإبعـــاد الملـــل عنـــه بمختلـــف وسائل التعبير الضمنية لكي لا يخسر انتباهـــه .

---

(1) د.عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار بيروت ط2 1986 ص 261 .

هذه العوامل الثلاثة إذا وجدت في أي خطاب يتحقق بها الانسجام بين عناصر العملية التخاطبية المختلفة يضاف إليها عاملان آخران ساهما كثيرا إلى جانب العوامل النفسية الثلاثة السابقة و هما الشعور بواجب التبليغ و استعداد المخاطبين للكلام النبوي و التشوق له و محبته ، و هذا ما جعل مفعول الخطاب النبوي قويا و مثيرا و هو ما لاحظه الدكتور عز الدين على السيد إذ يقول : **" لا عجب إذن أن نجد أنفسنا مع بيانه عليه السلام مأخوذين بمعانيه مشدودين إلى أهدافه ، متمثلين صورته في قلوبنا و هو يحدث ، لأنه يخاطب منا القلوب قبل الأسماع لصدور الكلام عن قلبه الرؤوف ، الحافل بشتى العواطف و الأحاسيس التي تربط بينه و بين أمته ، يهيجه مخالفة المخالف و عصيان العاصي و يحزنه كرب فيبكي فقدان عزيز حبيب ، و لكن لا يقول ما يغضب و يتوجس الهزيمة و يرجو النصر ، و يتغير لتغير الطبيعة خوف العذاب بما عذب به السابقون ، و يظهر البشر على وجهه و الابتسام على شفتيه إذا استشعر ما يفرح لأنه النبي الإنسان الذي كلما تأكدت إنسانيته تأكدت نبوته و معجزته ".**[1]

هذه الصفة الإنسانية التي اصطبغ بها الخطاب النبوي نجد لها آثارا متعددة منها حرص النبي عليه الصلاة و السلام على تطييب النفوس و جبر الخواطر و تجنب ما يثير الغضب أو القلق ، كما أن من أهم صفاته النفسية احترام و محبة المخاطبين و لهذا جاء حديثه كله ينبض بالصدق و المحبة و الرحمة و الاجتهاد في التبليغ و التعليم ، باستخدام الترغيب و الترهيب أحيانا و تصعيد المعاني بتصعيد العبارات أحيانا أخرى كأنه منذر جيش كما قالت عائشة رضي الله عنها .

فمثلا الحديث التالي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :" **لو يعلم الناس ما في النداء و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه**

---

(1) د.عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 261 .

لاستهموا . ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه و لو يعلمون ما في العتمة و الصبح لأتوهما ولو حبوا " [1] ففي هذا الحديث الترغيب في صلاة الجماعة بأسلوب خطابي يحقق القناعة بالموضوع و نشعر و نحن نقرأ أو نسمع هذا الحديث بقوة تندفع إلى النفوس من خلال بناء الألفاظ و تصاعد التراكيب ، و ذلك باستعمال أسلوب الشرط بجملته و جزائه ثلاث مرات و ربطه جواب الشرط بلام التوكيد في كل مرة ،و نلاحظ أن في هذا الحديث لا يوجد أمر صريح بالحفاظ على صلاة الجماعة بفعل الأمر أو أحد أساليبه ولكن فيه الترغيب فيها بواسطة العامل النفسي الفطري في البشر و هو حب الكسب و التملك و الحيازة و كذلك كانت عبارة : "ما في"التي تكررت في جملة الشرط فيها قوة الإثارة و الدفع بالإغراء بالإضافة إلى تصديق فعل النبي و صحابته عمليا و سلوكيا لهذا الإغراء بالمحافظة على صلاة الجماعة . إن قوة التلفظ و تصاعد الجمل توحي بإرادة النبي عليه الصلاة و السلام الوصول بالمستمعين إلى سلوك معين فحرارة الخطاب طافحة على جميع النصوص النبوية خاصة إذا كان المتلقي لها ممن يعترف بنبوته عليه الصلاة و السلام و يذعن له ، فقصدية التواصل من قبل المتكلم تتحقق بواسطة علاقة عاطفية عندما يكون معترفا به و محبوبا من قبل متلقي الرسالة.

و كان النبي عليه الصلاة و السلام يصرح أحيانا بالضغوط النفسية التي تجعله يهم بالقول ثم لا يقوله أو بالفعل ثم لا يفعله مخافة أن يسيء المخاطب فهمه فيؤدي ذلك إلى انفعال نفسي عكسي خاصة في عوام الناس الذين مازال اعترافهم بالنبي عليه الصلاة و السلام لم يبلغ درجته القصوى فعن عائشة أنها قالت : قال النبي صلى الله عليه و سلم : " **يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب بدخل الناس و باب يخرجون** ". [2]

---

(1) صحيح البخاري كتاب الأذان رقم 615 ، ج1 ، ص 200 ، و انظر في الملحق رقم 25 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، رقم 126 ، ج1 ، ص 67 ن و انظر في الملحق رقم 8 .

فالقراءة أو الاستماع إلى الأحاديث النبوية الصحيحة هي إعادة تمثيل و استثمار زمني حي لمشاهد ماضية ما زالت تنبض بالحياة و تبعثها فيمن يستمع إليها أو يقرؤها من خلال الملابسات التي تكمل المشهد الذي جرى فيه البيان النبوي و هذه حقيقة مجربة يقول الدكتور عودة خليل أبو عودة : " **و إذا كان علماؤنا الأسياد قد كتبوا في السيرة النبوية الشريفة و في المغازي و السير و في الأصول و التشريع و الأحكام ما كتبوا فإن مجالا واسعا مازال ينتظر الباحثين هو السيرة النبوية الشريفة من خلال الحديث النبوي الشريف و عندئذ لا تكون سيرة فحسب ، بل هي تصوير صادق لحياة حقيقية تحس فيها بنبض الحياة و حركة الناس و ضوضاء الأصوات و اختلاط الأجساد و تدافع الغادين و الرائحين في دروب الحياة اليومية المتصلة . و لقد أحسست بهذا في أثناء مطالعتي للحديث النبوي الشريف ، و كثيرا ما خفق قلبي أو اضطربت نفسي أو ابتسمت شفتاي أو اغرورقت عيناي نتيجة التأثر لموقف اجتماعي أكاد أقول أنني شاهدته رأي العين ، ذلك أن الكلمات و ارتباطها بالموقف و السياق تكاد تتحول إلى صور متحركة نابضة بالحياة يشهدها القارئ ، و يكاد يلمسها بيديه** " [1]

و القارئ للحديث النبوي عندما يكثر المطالعة في الصحيحين يدخل في جو الخطاب النبوي و يحس أنه الطرف الثاني الحاضر في المشهد و كأنه يسمع و يرى و تتحول الكلمات و السطور إلى مفاعل حيوي و لهذا نجد أن بنية الحديث لم تهمل الملابسات التي لها الدور الفعال في اشتراك القارئ في الخطاب و من هنا سمي النص النبوي حديثا عاملا المشافهة و المشاهدة فيه قويان و كأنه قطعة من الحياة .

---

(1) د.عودة خليل أبو عودة : بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 626 .

و الملابسات و اعتبارها في إنتاج الخطاب و تحليله قد تتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في تحديد الدلالة و التأثير على أطراف التلفظ من متكلم و مستمعين و قد لاحظنا أن الخطاب النبوي القطعي الثبوت ملىء بهذه الملابسات التي تملؤه بالحيوية و تعطيه قوة الحضور و شدة الإيحاء و الغنى الدلالي .

و تكتسي الملابسات في الخطاب النبوي أهميتها الألسنية من كونها تقدم لنا منهجية التخاطب و قواعد التعبير الشفهي التي كثيرا ما تهمل في العمليات الكلامية فتكون ناقصة أو زائدة على الحد و تفقد قصديتها و تأثيرها ، و من المؤكد أن البلاغة النبوية قد تأسست على هذه الملابسات التي تشمل عناصر التلفظ الثلاثة التي ينبغي أن تنسجم مع بعضها البعض في أي خطاب فعال و هي :

1- فعل التلفظ أو الحدث الكلامي .
2- أطراف التلفظ من متكلم و مخاطب .
3- وضعية التلفظ و هي الظروف التي يتم فيها بث الخطاب .

و ابن جني في الخصائص يقرر حقيقة علمية في اللسان العربي و هي أن له ملابسات اجتماعية و ظروفا و أحوالا خاصة ساهمت في إنتاجه و الاصطلاح عليه ، و هذه الملابسات و إن كانت خفية غائبة عنا لكن يدركها المتأمل بأدنى نظر فتصبح في حكم الحاضر معنا ، و يقرر كذلك ابن جني أن الفعل الحكوي أو الروائي للحدث الكلامي يحرص أصحابه على ذكر كل الملابسات المحيطة بالخطاب كما هو الشأن في رواية الحديث النبوي فهو عبارة عن مشاهد حقيقية فالاعتبار بمشاهدة الوجوه ، و معاينة الظروف جعلت العرب تقول رب إشارة أبلغ من عبارة و يقول ابن جني مقررا قاعدة لسانية في فهم الخطاب :" .. **فالحمالون و الحماميون و الساسة و الوقادون ممن يليهم و يعتد منهم يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق إن أخبر به عنه و لم يحضره ينشده أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه و ينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه ... فإذا أقبل عليه و أصغى إليه**

اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك فلـــو كـــان اســـتماع الأذن مغنيـــا عـــن مقابلة العين مجزئا عنـــه لمـــا تكلـــف القـــائل و لا كلـــف صاحبـــه الإقبـــال عليـــه و الإصغاء إليه ... و قال لي بعض مشـــايخنا رحمـــه الله : أنـــا لا أحســـن أن أكلـــم إنسانا في الظلمـــة " [1]

ابن جني يشيد هنا بفعل الحكويـــين و القصـــاصين و كـــثرة ذكرهـــم للأحـــوال و المشاهد و يبين ماذا تفقد القصيدة الشـــعرية كنـــص مقـــروء أو مســـموع و مـــاذا تفيده كأداء و إنشاد و قديما قالوا الشعر إنشـــاد . أمـــا رواة الخطـــاب النبـــوي فـــإنهم لم يكونوا كرواة الخطاب الشعري فإنهم لم يـــرووا الألفـــاظ مجـــردة ، و إنمـــا رووهـــا كقطعة من الواقع صوروا النبي يتكلم فجـــاءت ألفاظـــه متلبســـة بـــالعين الـــتي تـــرى و الأذن التي تسمع و المقام الذي يسمح بذلـــك و يســـاعد عليـــه و كـــل العلاقـــات و الروابط التي تجمع بين عناصر الخطاب حاضرة ليكـــون هنـــاك مســـار لفظـــي يجمـــع بين المتكلم والسامع برباط حضوري و شعوري وثيق و لهـــذا الســـبب مـــازال الخطـــاب النبوي يواصل مســـاره و انتشـــاره ســـواء في اصلـــه العـــربي أو في ترجمتـــه المختلفـــة إلى لغات العالم ومازال يحدث أثرا مقاربا لما أحدثـــه أول مـــرة و ذلـــك لأنـــه متشـــبث بهذه الملابسات التي تجعل من الكـــلام أو الكتابـــة خطابـــا حيـــا ، و حينـــها تتحـــول الكتابة إلى فسيفساء تجمع كل عناصر الحياة فتكـــاد تنطـــق .

و في الأخير هذا نموذج تحليلي لملابســـات مختلفـــة يمكـــن الاســـتفادة منـــها في الحديث التـــالـــي :[2]

---

(1) ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 246 .

(2) انظر د.عبد الرحمن طالب : منهج الاستفادة من الأحاديث النبوية ، ص 28 ، و انظر في الملحق رقم 41.

النص	الملابسة
حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :	هذا سند الحديث و توثيقه و فيه بيان المسار الرسمي للخطاب النبوي الذي يعتمد على القواعد العلمية و فيه تصريح من البخاري بالسماع من الشيوخ
بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم أن بني عمرو بن عوف بقباء كان بينهم شيء فخرج يصلح بينهم في أناس من أصحابه فحبس رسول الله صلى الله عليه و سلم و حانت الصلاة	هذه هي الحيثيات التي اكتنفت الواقعة التي تسببت في الخطاب النبوي و فيها غياب النبي عليه الصلاة و السلام حين حانت الصلاة و هي ملابسة زمانية و مكانية .
فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال:يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حبس و قد حانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت ، فأقام بلال الصلاة و تقدم أبو بكر رضي الله عنه فكبر للناس	يصور لك هذا النص مشهدا لصحابة رسول الله و هم في المسجد ينتظرونه ثم يختار المؤذن أقرب رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقوم للصلاة نيابة عنه و يقوم الناس كلهم للصلاة بدون اعتراض .

النص	الملابسة
و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشي في الصفوف ، يشقها شقا حتى قام في الصف .	بيان حال الرسول و تخطيه للصفوف لمعاينة الإمام و بيان نفسية الرسول ، و إقراره إمامة أبي بكر الصديق بقيامه في الصف .
فأخذ الناس في التصفيح ، قال سهل التصفيح هو التصفيق	1- حال الناس عند رؤيتهم رسول الله و محاولتهم إخبار أبي بكر بحضوره. 2- أدرك الصحابي أن كلمة التصفيح أهملت و فسرها.
قال : و كان أبو بكر رضي الله عنه لا يتلفت في صلاته فلما أكثر الناس التفت	حال الناس و حال أبي بكر بعد قيام النبي عليه الصلاة و السلام في الصف
فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأشار إليه يأمره أن يصلي ، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده ، فحمد الله ثم رجع القهقرى وراءه حتى قام في الصف	المفاجأة ، و الأمر بالإشارة و تصرف أبي بكر بشكر الله على حضور النبي و تراجعه عن الإمامة و نلاحظ أن عبارة حتى قام في الصف تكررت مرتين مرة للرسول و مرة لأبي بكر
و تقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلى للناس فلما فرغ أقبل على الناس فقال	زمن الصلاة ، و استغلال الأحداث السابقة و انقضاء الصلاة و جلوس الناس بعد الفراغ من الصلاة
يا أيها الناس مالكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيح ، إنما التصفيح للنساء ، من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله	خطاب نبوي يشتمل على استفهام مغلق لا يسمح للسامع بالإجابة و إنما يجيب المستفهم نفسه

ثم التفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : يا أيا بكر ما منعك أن تصلي للنـــاس حـــين أشرت إليك	التفاتة بلاغية من التعميـــم إلى التخصيـــص و تشتمل على استفهام مفتوح .
قال أبو بكر ، ما كان لابن أبي قحافـــة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليـــه و سلم	بلاغة لأبي بكر لم يبطئ و لم يخطئ

رصدت في هذا المبحث أهم الخصـــائص المتعلقـــة بالبنيـــة التركيبيـــة للخطـــاب النبوي و هي الملابسات التي تعتبر قواعـــد علميـــة للخطـــاب الـــذي يحـــدث اتصـــالا يتجاوب فيه الطرفان و بناء عليه نفهم لماذا كان النبي عليـــه الســـلام كثـــير الســـكوت قليل الكلام لأن مـــن يتحـــين الفـــرص و يراعـــي أحـــوال المخـــاطبين و المناســـبات و الأسباب و الحوافز تقل فرصته في الكـــلام و تنقـــص حصتـــه مـــن الحديـــث و يـــبرأ بذلك من آفتين قلما يبرأ منهما كثير مـــن المتحدثـــين و هـــما الهجـــوم علـــى الكـــلام و فقدان انتباه المســـتمع .

و ليس كل ما قاله النبي عليه الصلاة و السلام قد نقلـــه الـــرواة مـــن الصحابـــة فلو أن واحدا كلما قال كلمة طار بها أصحابه إلى الناس لكـــان ذلـــك يؤذيـــه و يـــزري بهم أيضا . فالصحابة و المحدثون من بعدهم كانوا أيضا مـــن البلاغـــة حيـــث يشـــترطون أن لا يحدث المحدث بكل ما يسمع أو كل ما يعلم و يعدون ذلك إثمـــا مـــا لم يجـــد لـــه طريقا و وضعا مناسبا ، و النبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام كـــان لـــه حديـــث يحـــب أن لا ينشر بين الناس فقد أسر إلى خاصته من أهلـــه و قرابتـــه و صحابتـــه ، و أمرهـــم بعدم الإفشاء ، و كانت له أحاديث خاصة كغيره من البشر ليســـت ممـــا ينبغـــي تبليغـــه مما يتعلق بأمور الدين و مصالح الناس في الدنيا و الآخـــرة و كـــان الصحابـــة يدركـــون هذه الخصوصيات و الملابسات و يتفـــهمونها " **إن المحـــدث يجـــب عليـــه أن يراعـــي حال من يحدثهم ، فإذا كان فيما ثبت عنده ما لا تصل إليـــه أفهامـــهم وجـــب عليـــه ترك تحديثهم به دفعا للضرر فليس كل حديث يجـــب نشـــره لجميـــع النـــاس كمـــا**

يتوهمه الأغمار : فقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته و أما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم ".[1]

و قد اطلعنا على تقنية عالية في بناء الخطاب كممارسة و نشاط لساني يحقق رسالته و قصديته من جهة ، و من جهة ثانية في حكي هذا الخطاب وفق بنية سردية تحمل المشهد الخطابي برمته قائما على ثنائية مزدوجة .

الثنائية الأولى :

طرفا الخطاب في البيان النبوي حاضران بقوة فالنبي صلى الله عليه و سلم بشخصيته القائلة و الصحابي هو الراوي لهذا الخطاب و قد انطبع فيه و اقتنع به و تبناه و كأن المخاطبين كانوا أوعية تحفظ و تؤدي ، و هذا يدل على وصول الرسالة النبوية و مفعول الكلام النبوي ثم يرويه الصحابي إلى غيره و يواصل الخطاب مساره في نقل أمين في اتصال سندي متسلسل حتى استقر في دواوين السنة الصحيحة الموثوقة ، فكلام النبي لا يؤخذ عمن أقبل و أدبر ، و لهذا ناط الله نقله بالأمناء من المحدثين .

الثنائية الثانية :

هي وجود المتن المروي و هو النص النبوي في إطار المبنى الروائي أو المبنى الحكائي الذي يراعي نظام ظهور المتن كما يراعي ما ينبغي من معلومات تساعدنا على فهمه أو تساعده على الوصول إلينا .

---

(1) طاهر الجزائري ، توجيه النظر إلى أصول الأثر ، ص 13 .

المبحث الثاني : أنماط الجمل في البيان النبـــوي

قد بلغ النبي عليه الصلاة و السلام رسـالته العالمية باللسـان العـربي في أرقـى مستويات الأداء البشرية مصداقا لقوله تعـالى : " **لتكـون مـن المنذريـن بلسـان عربي مبين** "[1] و الآثار الصحيحة النبويـة ناطقـة بمستوى هـذه الممارسـة للغـة العربية التي لها نظامها و هندستها و ترتيبها الخاص و جملـها و تراكيبـها .

و لابد في بداية هذا المبحث أن نعرف الجملـة بأنهـا مصطلـح نحـوي يراعـي العناصر الأساسية التي يتركب منها أصغر مقطع في الكلام بحيث يشـتمل علـى ركـني الإسناد ، بتركيب كلمتين تسند إحداهما الأخرى سواء أفاد هـذا التركيب أو لم يفـد فالجملة تنقسم إلى جملة مفيدة و هي العبارة أو الكلام و جملـة غـير مفيـدة و ليسـت كلاما و إن استوفت شروطها النحوية حتى تدخـل في نظـم الكـلام و نسـق التعبـير فمثلا قوله عليه الصلاة و السلام : " **لولا أن أشق علـى أمـتي – أو علـى النـاس – لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة** "[2] فهذه العبارة النبويـة متكونـة مـن ثـلاث جمـل مترابطـة :

- لولا أن اشق على أمتي ←جملـة الشـرط .
- أو على الناس ← جملة إعتراضية ليست من كـلام النـبي ..
- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة ←جملة جـواب الشـرط

كل واحدة من هذه الجمل مكتملة العنـاصر نحويـا و يمكـن أن تعتـبر مقطعـا نحويا و لكنها لا تعتبر مقطعـا كلاميـا و لا تفيـد إلا مـع بعضـها و لهـذا أفضـل استخدام كلمة عبارة نبوية للدلالة على الجملـة النبويـة و ذلـك لأن مفـهوم العبـارة أدل على البيان من مفهوم الجملة فقد تكون الجملـة مفيـدة و لكـن يعوزهـا البيـان و قد عرف أبو هلال العسكري العبارة بقولـه:

---

(1) سورة الشعراء ، الآيتان 194 و 195 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة رقم 887 ،ج1، ص266 و انظر في الملحق رقم 33 .

" **و العبارة عن الشيء هي الخبر عنه بما هو عليه من غير زيادة و لا نقصان .. و سميت العبارة عبارة لأنها تعبر المعنى إلى المخاطب .. و التعبير تفسير الرؤيا لأنه يعبر بها من حال أجمع و أنها تقتضي معبرا عنه و تكون مفردا و جملة ، فالمفرد قولك عبرت عن الرجل بزيد و الجملة قولك عبرت عما قلته بقام زيد و بزيد منطلق** " [1] فنقل المعنى إلى المخاطب هو التعبير ، أي نقل مقاصد المتكلم عبر الألفاظ و التراكيب اللغوية هو ما يسمى بالتعبير ، و تسمى الجملة المفيدة عبارة أو أسلوبا و إن تكونت من أكثر من جملة نحوية و تسمى أيضا النص أو المتن في مصطلح الحديث ، و نقدم تعريفا آخر للشريف الجرجاني أكثر وضوحا يقول فيه : " **عبارة النص هي النظم المعنوي المسوق له الكلام ، سميت عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى ، و المتكلم من المعنى إلى النظم فكانت هي موضع العبور ، فإذا عمل بموجب الكلام من الأمر و النهي سمي استدلالا بعبارة النص** "[2] .

فالخطاب هو تعبير و نقل للمعاني التي تكون في حوزة المتكلم مستورة عن المخاطب و العبارة أداة تواصل بينهما و وسيلة نقل في عملية الخطاب أو التعبير بطريقة عكسية بين الطرفين كما يفهم من كلام الجرجاني و في هذا الشكل البياني

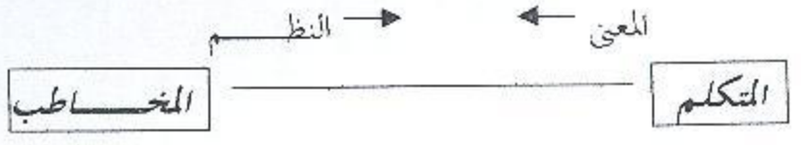

و تنصب دراسة الجمل المفيدة على جانبين اثنين الأول هو جانب الإسناد الذي تكون فيه الجملة إما اسمية و إما فعلية ، و الجانب الثاني الأساليب في الجمل المتنوعة كالشرط و الجواب و التعجب و المدح و الذم و الطلب (الأمر ،و النهي و النداء و الاستفهام و التمني و الترجي) و القسم و الاستدراك و سأركز على هذين الجانبين في الجملة النبوية المعبرة .

---

(1) أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط7 عام 1991 . ص 28 .
(2) الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص 105 .

- العمرى جائزة [1]

- " **و الذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة و الغنم ردّ و على ابنك جلد مائة و تغريب عام** " [2]

و هذه الجمل الاسمية تبدو شكليا أنها بسيطة لأن خبرها مفرد و لكن نلاحظ أنها جمل مستأنفة تعطف عليها جمل أخرى من جنسها كما هو الحال في المثال الأول أو يسبقها قسم أو تأتي في سياق موقف كما هو الشأن في المثال الثالث و الرابع ، و نكاد نجزم بأن هذه الجمل الاسمية ليست بسيطة إلا بالمفهوم النحوي لأنها تشتمل على ركني الإسناد المبتدأ و الخبر و لكن هذه الجملة مرتبطة بسوابقها أو لواحقها بالعطف بحيث لا تفهم هذه الجمل إلا في سياق هذا التتابع و هذه خصيصة من خصائص المنطق النبوي الذي يخاطب القلوب فيستخدم كل الطاقة اللفظية التي تمكنه من الاستيلاء و التأثير عليها بواسطة تصعيد المعاني و تأييد الجملة البسيطة بمجموعة من الجمل التي تبدو مستقلة نحويا و لكنها مترابطة موضوعيا و موضعيا

و يكتشف هذه الظاهرة البيانية في جملة الحديث النبوي كل من يتوقف و يلقي لها بالا أما إذا وقع في إسار الفعل البياني فإنه لا يدرك تتابع الجمل و ترابطها ومرورها بسرعة لأن بعضها أخذ بناصية بعض و لو كانت جملة بسيطة و قد أشار إلى ذلك الدكتور عودة خليل أبو عودة بقوله : " **كان لابد من اعتماد مبدإ لتقسيم الجمل في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين و قد ظننت بادئ الرأي أن الأمر سهل لا يتعدى القول إن هذه جملة خبرية و هذه إنشائية ثم المضي إلى تقسيمات كل منها ، و فروعها و التمثيل عليها من الأحاديث الشريفة و لكني عندما بدأت بتحليل جمل الحديث الشريف**

(1) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، رقم 2626 ، ج2 ، ص791 ، انظر في الملحق رقم 90.
(2) صحيح البخاري الشروط ، رقم 2724 ، ج2 ، ص 831 ، و انظر في الملحق رقم 93 .

فوجئت بأمر لم أكن أتبينه بمثل هذا الوضوح الذي بدا لي بعد بـــدء الدراســة ذلــك أنه لا توجد إلا أحاديث قليلة جدا تتـــألف مــن جملــة بســيطة لا تتعــدى ركــني الإسناد المبتدأ و الخبر أو الفعل و الفاعل" [1] .الجملة الكـــبرى هـــي الجملــة الاسميــة التي يكون خبرها جملة و هي تتألف مـــن جملــة صغــرى هـــي جملــة الخــبر محتــواة في الجملــة الكــبرى و هــذا هــو الغــالب علــى تركيـــب الجملـــة الاسميـــة في الخطاب النبوي و حتى الجملة البسيطة أصلا و هـــي الجملــة الفعليــة فإنهــا ليســت بسيطة إلا بالمفهوم النحوي كما ذكـــرت ســابقا بالنســبة للجملــة الاسميــة البســيطة و هذه ظاهرة يلاحظـــها الدارســون بوضــوح : **" و أكــاد أقــول أنــه لا توجــد في الحديث الشريف جملة فعلية بسيطة تقتصر على المســـند و المســند إليــه ، و لــو وجدت مثل هذه الجملة فإنها لا تقوم وحدهـــا بـــل لابــد مــن قراءتهــا في ســياقها و الموقــف الحــي الــذي قيلــت فيــه حــتى يفــهم معناهـــــا "** [2] فـــالموضوع و الارتباط بالملابسات و الاستحواذ علـــى المخــاطب كــل هــذه الأمــور لا تســمح بظهور الجملة البسيطة في الخطاب إلا في القليل النـــادر و خاصـــة في الخطـــاب الشـــفهي و هكذا نرى أن الجملة في الخطـــاب النبـــوي ممتـــدة و تتفـــرع عنـــها أنمـــاط مختلفـــة من الجمل حسب مقتضيات الحـــال و الموقـــف و طبيعـــة الموضـــوع ، و قلمـــا نجـــد موضوعا تعليميا يعبر عنه بجملة بسيطة واحدة ، إلا إذا كـــان هـــذا الموضـــوع معلومـــا مسبقا لدى المخـــاطب .

و وجدت صعوبة كبيرة في فصل الجمل عـــن الســياق أو عـــن المقطـــع الـــذي قيلت فيه فالجملة الاسمية الكبرى أو البسيطة و الجملة الفعلية إذا ســـلخناها مـــن النـــص فقدت المعاني و بريقها البياني و إن كانت جملا نحوية صحيحة خرجـــت مـــن فـــم النـــبي عليه الصلاة و السلام و لكنها لا تدل على فحـــوى الخطـــاب النبـــوي إلا بانضمامـــها إلى موضعها الذي قيلت فيه فالنبي عليه الصلاة و الســـلام قـــد نـــوع الجمـــل و كـــل

(1) (2) الدكتور عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 153 .

ما يسمح به النحو في اللسان العربي بقواعده التي تكشف قوانين النظم ، و أضفى عليها بلاغته و أسلوبه و هو ما يشجع الباحث على اعتماد التقسيم البلاغي في مثل هذه الدراسة كما يؤكد ذلك الدكتور عودة خليل أبو عودة و إن كان هو قد اعتمد التقسيم النحوي في دراسته و أفاض فيه بدون طائل [1] فالنبي عليه الصلاة و السلام يتردد في حديثه أو خطابه الواحد أنواع كثيرة من الجمل الاسمية و الفعلية تطبعها الأساليب و الأغراض و استخدم الجمل المستقلة و الجمل التابعة و المتعلقة بغيرها و الجمل التي لها محل من الإعراب و التي لا محل لها من الإعراب و كل ما يسمح به علم النحو من قوانين النظم لكن البلاغة التي تكشف دلالة المعنى في نظم الكلام و قواعد الخطاب لا تسمح بعزل الجمل عن السياق لأنه كعزل العضو الحي عن باقي الجسد و الأعضاء و إذا أردنا فعلا أن ندرس أنماط الجمل النحوية في الخطاب النبوي فعلينا أن ندرسها من خلال الموقف الخطابي الواحد لا أن نتتبعها واحدة واحدة في الصحيحين كما فعل بعض الدارسين لأننا إذا كنا نبحث عن الجملة الاسمية مثلا لا نأخذ من الحديث إلا الجملة الاسمية و قد تكون فيه عدة أنواع من الجمل و بذلك نحصل على آثار كلامية و ليس على كلام و لا على حقائق فوحدة الخطاب تقتضي رصد التشكيلات و التراكيب النحوية من خلاله فمثلا الجملة النبوية التالية : **فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده** " [2] فهي تتركب من جملة اسمية كبرى منسوخة بـ**إنّ** و تحتوي في طياتها على الجملتين التاليتين :

1- الجملة الصغرى و هي فعلية في محل رفع خبر إن : لا يدري **أين** باتت يده .

2- جملة فعلية في محل نصب مفعول به ، أين باتت يده .

و هي جملة معطوفة و لا نستطيع القول بأنها جملة ابتدائية و لا بيان محلها من الإعراب حتى نعرف محل الجملة المعطوف عليها ، و نحن نقوم بهذا العمل النحوي

---

(1) نظر : المصدر السابق ، ص 157 .

(2) صحيح البخاري كتاب الوضوء برقم 262 ، ج1 ، ص 78 ، و انظر في الملحق رقم 12 .

تنقصنا كثير من المعطيات التي تساعدنا على الفهم و لا نجدها إلا في نص الحديث بكامله و هو عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

" **إذا توضأ أحدكم ، فليجعل في أنفه ثم لينثر ، و من استجمر فليوتر و إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده** " [1] السياق يعطي للجملة مهما كان نوعها حركة و نورا و أبعادا دلالية لا تحصل عليها بالعزل و الانفراد و البتر ، و الجملة النبوية الأخيرة الاسمية الكبرى قد سبقتها جمل فعلية التي تفيد الشرط و التجدد و الحدوث و تأتي في الأخير العلة الخالدة المؤكدة في هذه الجملة الاسمية أو الفعلية في الخطاب النبوي ليس خبط عشواء أو اختيارا بينهما أو عادة لفظية و إنما هو نتيجة لإدراك وظائف الجملة الاسمية و اختلافها عن وظائف الجملة الفعلية و المقام و الموضوع هما اللذان يقتضيان التعبير بالجملة الاسمية التي تفيد الديمومة و الثبات و التوكيد أو التعبير بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث و التجدد و عدم الثبات .

و حتى يتبين لنا بما لا يدع مجالا للشك وعي النبي عليه الصلاة و السلام بالفروق بين الجمل و توظيفها حسب ما يقتضيه الموضوع و المقام نتأمل الحديث التالي :

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : " **فحمد الله عز و جل النبي صلى الله عليه و سلم و أثنى عليه ثم قال : ما من شيء لم أكن أريته إلا رايته في مقامي هذا حتى الجنة و النار فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل – أو قريب – لا أدري أي ذلك قالت أسماء من فتنة المسيح الدجال يقال : ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن – لا أدري أي ذلك قالت أسماء– فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات و الهدى فأجبنا و اتبعنا هو محمد (ثلاثا) فيقال: نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به . و أما المنافق أو المرتاب – لا أدري**

---

(1) صحيح البخاري كتاب الوضوء رقم 368 ج 1 ص 78 و انظر في الملحق رقم 19

أي ذلك قالت أسماء فيقول لا أدري سمعت الناس يقولـــون شـــيئا فقلتـــه " [1]

من خلال النسيج و النظم الكلامي لا نتبين الحـــدود و الفواصـــل بـــين الجمـــل و لكن عند التقطيع نحصل على أربعة مقاطع نحويـــة مـــن كـــلام النـــبي عليـــه الصـــلاة و السلام على النحو التـــالي :

المقطـــع الأول :

ما من شيء لم أكن أريته إلا رايته في مقامي هذا حتى الجنـــة و النـــار .

يحتوي هذا المقطع على جملتين اسميتين كبيرتين أساســـيتين همـــا :

1- ما من شيء لم أكن أريته إلا رايته في مقـــامي هـــذا.

2- حتى الجنة و النـــار ...

و الجملة الثانية معطوفة على الأولى بحرف العطف حتى علـــى الوجـــه الإعـــرابي الأول.

و تحتوي كلتاهما على الجمل التاليـــة :

- لم أكن أريته : جملة فعلية في محل رفع صفـــة للمبتـــدإ .
- أريته : جملة فعلية في محل نصب خـــبر كـــان .
- إلا رأيته : جملة فعلية صغرى في محل رفـــع خـــبر .

- رايتهما : جملة فعلية محذوفة جوازا في محل رفـــع خـــبر و تبـــدو براعـــة البيـــان في التركيب من خلال الاعتدال و التناسب فهما جملتـــان اسميتـــان متعاطفـــان يصعـــب الفصل بينهما ليس لارتباطهما بحرف العطف بل لارتباطـــهما بالخـــبر الفعلـــي (رأيتـــه) و لهذا نجد النبي عليه الصلاة و الســـلام لم يذكـــر الخـــبر في الجملـــة المعطوفـــة لتبقـــى مرتبطة بأختها ارتباطا شبه عضـــوي .

هذا من جهة و من جهة أخرى فإنه لم يرد أن يذكـــر جملـــة الخـــبر في الجملـــة المعطوفة و تقديرها رايتهما لأنه لم يرد أن يجمع بـــين الجنـــة و النـــار في ضمـــير واحـــد و إن كان قد رآهما في مقام واحد و هذا مـــن الفطانـــة و الـــذوق الرفيـــع والحساســـية

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب العلم ن رقم 86 ، ج1 ، ص 55 ، و انظر في الملحق رقم 7 .

المكتبة المركزية

المرهفة التي تحترم الأذن في المعنى من خلال المبنى فهو لو ذكر هذه الجملة المحذوفة لكانت توكيدا للرؤية و لكن المانع أنه لم يرهما مجتمعتين و لذلك لم يذكرهما النبي في ضمير واحد و إن كان المنهج القواعدي و لا أقول النحوي يقره و يثبته فالجملة الاسمية الثانية خبرها جملة فعلية محذوفة تقديرها رايتهما و لكن النحو الذي هو وضع الكلام الموضع الذي يقتضيه النظم يرفض ذكر هذه الجملة و البلاغة تبرر حذفها من الكلام و إن كانت موجودة في السياق و النبي عليه الصلاة و السلام بهذا الأسلوب يبين أن الجملة لها قواعد في المعنى زائدة على قواعد المبنى و هما متجانسان في الخطاب ، و المبنى يخضع للمعنى و يخدمه و ليس العكس .

و إذا نظرنا لهذا التركيب : لم أكن أريته إلا رأيته فيه براعة تقليب بناء الجملة الواحدة في الموضع الواحد في المادة الواحدة من البناء للمجهول إلى البناء للمعلوم ، بإجراء تحويلي توليدي و تحويل الفعل من المضارعة إلى الماضي .

أريته –رأيته : هذا الإجراء اللساني التحويلي في بناء الجملتين هو من الندرة بما يفيد الخصوصية و التفرد في الكفاية اللغوية التي تفيد أن يصنع المتكلم من العناصر اللسانية المحدودة تراكيب غير محدودة بالتحويل و التوليد بالطرق المختلفة فتحويل الفعل من المجهول إلى المعلوم و من النفي إلى الإثبات و من المضارعة التي تفيد الحركة في إطار النفي المقلوب إلى الماضي ليستقر في الماضي و من محل النصب في الأولى على أنها خبر كان إلى الرفع في الثانية على أنها خبر المبتدأ النكرة الموصوفة كل ذلك يؤكد على أن هذا التحويل ليس مجرد تحويل صوتي أو زمني و إنما له ارتباط ببنية الخطاب و الدلالات التي يفرزها و يولدها هذا التحويل و ينبغي أن ننبه القارئ حتى لا ينخدع فيظن أن الألف الصنبة هي هي في الجملتين ، و من وقع في الانخداع فقد شبه له لأن الألف في الكلمة الأولى هي ألف المضارعة و هي زائدة و أما الأصلية فهي محذوفة و هذا من براعة التعبير .

و كان بالإمكان الإبقاء على نفس الصيغة المبنية للمجهول (لم أكن أريته إلا رأيته) و لكن التحويل من المجهول إلى المعلوم يولد دلالة على معلومية الخبر و هذا التركيب له ثلاثة احتمالات .

- لم أكن أريته إلا رأيته ← مجهول معلوم

1- لم أكن رأيته إلا رأيته ← معلوم معلوم

2- لم أكن أريته إلا أريته ← مجهول مجهول

3- لم أكن رايته إلا أريته ← معلوم مجهول

و لو حاولنا أن نختار من بين هذه التراكيب الأربعة الأنسب للسياق و ما يقتضيه المقام لكان النسق النبوي هو الأنسب لأنه بالانتقال من المجهول إلى المعلوم تتحقق خبرية الجملة خاصة و أن هذا المجهول هو صفة المبتدأ .

و نلاحظ أن ضمير المتكلم الذي يسميه النحاة تاء الفاعل عندما بني الفعل للمجهول اصبح في محل رفع نائب فاعل و كأن قلب الفعل إلى المجهول كان لمراعاة سياق الجملة لأن الرؤية لم تكن حدثت فلو بني الفعل الأول للمعلوم لكان هناك تناقض في بنية الكلام لأن التاء تصبح تاء الفاعل وفق اصطلاح النحويين القواعدي و لا يمكن التخلص من هذا التناقض إلا بالصيغة التالية :

- لم أكن أريته

و هي الصيغة،مع إمكان وجود صيغ أخرى تقرها القواعد و لكن لا يقرها نظم الكلام مثل : لم أره . فالفاعل ضمير مستتر تقديره أنا و هو ليس فاعلا في المعنى لأن الفعل لم يتم ، و كذلك صيغة أخرى هي لم أكن أراه و هي مثل سابقتها في استتار الفاعل و كذلك الصيغة الثالثة المبنية للمعلوم لم اكن رأيته فالتاء في محل رفع فاعل فهذه الصيغ الثلاثة سليمة مستقيمة نحويا و لكنها في مفهوم الخطاب النبوي المعصوم عن أدنى ملابسات الخطإ غير مستقيمة فكيف تكون التاء فاعلا والفعل لم يحدث فتخلص من هذا ببناء الفعل للمجهول لتصبح التاء نائب فاعل و لم يثبت الفعل للتاء ألا في رأيته جملة الخبر لتكون الموافقة بين المبنى والمعنى .

المقطع الثـاني :

فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم . . . قريبا من فتنة المسـيح الدجـال هـذه جملة فعلية مبنية للمجهول لغرض بلاغي يقتضيـه الخطـاب لفطنـة المتكلـم و تنزيهـه للموحي إليه أن ينسب إليه الفتنة أو تكون من فعله ومن عادة العـرب أن تبـني الفعـل للمجهول إذا أرادت تنزيهَ الفاعل وقطع علاقته عن المفعـول بـه . فالبنـاء للمجـهول هنا و في المقطع السابق ليس حقيقة وإنما هو مجاز اقتضاه إصـلاح اللفـظ لحفـظ المعـنى من أية ملابسة غير مقبولة أو تأويل خاطئ بسبب تجـاور الألفـاظ و حـذف الفـاعل ببناء الفعل للمجهول حتى ينزّهَ عن مجـاورة المفعـول بـه و هـذا الـتركيب النبـوي في هذا المقطع نستطيع وضع تراكيب أخرى من نفس المـواد اللفظيـة و نفـس المعـنى مثل :

فأوحي إلى أنكم تفتنون في قبوركم .. قريبا من فتنة المسـيح الدجـال .

- فأوحى الله إلي فتنتكم في قبوركم .. قريبا من فتنة المسـيح الدجـال .

- فأوحي إلي فتنتكم في قبوركم .. قريبا من فتنة المسـيح الدجـال .

إن لفظ الجلالة في هذه الأمثلة ، إذا ذكر فإنـه يكـون مجـاورا للفـظ الفتنـة و الامتحان الشديد في القبور و هو يتنافى مع رحمته سـبحانه و تعـالى ، فحـذف لفـظ الجلالة من التركيب اللفظي فإذا استحضر في اللفظ فلا بـد أن تنتفـي و تختفـي الفتنـة و في ذلك إشارة إلى أن الذين يفتنون في قبورهم هـم الذيـن لا يذكـرون الله .

و حتى نائب الفاعل جاء مصدرا مؤولا لتخفيـف شـدة وقعـه علـى المؤمنـين فعبارة أنكم تفتنون في قبوركم أخـف في الأسمـاع و أحْسَنُ في اللفـظ مـن التعبـير بالمصدر مجردا صريحا هذه الفطانة في التعبير تدرك بالتـأمل و التفكـير في بنـاء الجملـة و وضعها مع أخواتها في التعبير التي تشبهها في التعبير عن المعـنى الواحـد كـالعروس لا يبرز جمالها إلا بين الحسان و البطل لا تظهر قوته إلا مع الفرسـان و لهـذا يظـهر فضـل الترتيب و البناء في الجملة النبوية أمام الجمل المبنية على شاكلتها في التعبـير عـن المعـنى الواحد ، فإذا كان اللفظ مختلفا من حيث الـترتيب و الـتركيب للمفـردات المشـتركة

فالمعنى مختلف كذلك لا محالة ، و الجرجاني يقـــول في هـــذا الشـــأن : " .. **إن العقـــلاء إلى هذا قصدوا حين قالوا إنه يصح أن يعبر عـــن المعـــنى الواحـــد بلفظـــين ثم يكـــون أحدهما فصيحـــا و الآخـــر غـــير فصيـــح ، كـــأنهم قـــالوا إنـــه يصـــح أن تكـــون هاهنا عبارتان أصل المعنى فيهما واحد ثم يكون لاحداهمـــا في تحســـين ذلـــك المعـــنى و تزيينه و إحداث خصوصية فيه تأثـــير لا يكـــون للأخـــرى** "" [1] ، وبهـــذا المقيـــاس في نظم الكلام ميز كذلك العلماء و العقلاء بين الكلام الذي يشـــرق منـــه نـــور النبـــوة و سحر البيان و دلائل العصمة و الحديـــث الموضـــوع المنســـوب إليـــه عليـــه الصـــلاة و الســـلام

المقطع الثـــالث :

-فأما المؤمن فيقول :هو محمد رسول الله.جاءنـــا بالبينـــات و الهـــدى .فأجبنـــا واتبعنـــا هو محمد(ثلاثـــا).

هذه جملةاسمية كبرى مقترن مبتدؤها بأما وهي كلمـــة إخبـــار لابـــد في جوابهـــا من الفاء جوابها المقترن بالفاء هو الجملة الصغرى جملة الخـــبر .ونجـــد الجمـــل التاليـــة في بناء هذه الجملة الكـــبرى

-فيقول: هو محمد(ثلاثا) ←وهي جملة فعلية في محـــل رفـــع خـــبر

-كل ما هو بعد يقول هو في محل نصب مقـــول القـــول.

هو محمد رسول الله : جملة اسمية ذات خـــبرين

جاءنا بالبينات : جملة فعلية في محل رفع خـــبر ثـــالث .

(1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 324 .

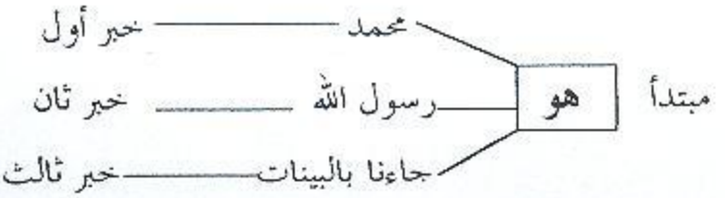

و تعديد الخبر إلى ثلاث مرات هو دليل تركيبي على اليقين و الإيمان ، ثم استؤنفت هذه الجملة بجملتين أخريين .

فأجبنا و اتبعنا .

و بعد ذلك يختم هذا التركيب بجملة اسمية أو بنفس الجملة الاسمية مجردة من لواحقها و معوضة عن الخبرين الثاني و الثالث بتكرار الخبر ثلاث مرات لتعظيمه و التمتع بذكره و لفظه

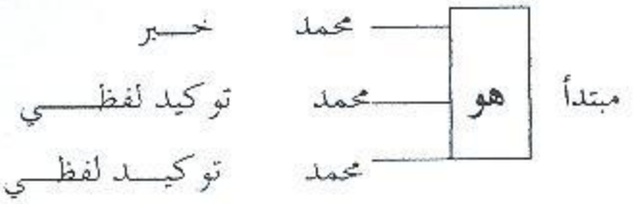

و في هذا المقطع الثالث من الثبات و القوة و الاستمرار والتوكيد ما يجعلها تناسب الاسمية و معنى اليقين معنى و مبنى ، فهي جملة متينة تكاد تحس حماس و فخر النبي عليه الصلاة و السلام و هو يقولها بفرح محاكيا حالة المقبور المؤمن و هو يجيب بهذا الجواب الثابت.

المقطع الرابع :

و أما المنافق فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، هذه كذلك جملة اسمية كبرى خبرها جملة فعلية و هذه الجملة الكبرى تشبه المقطع الثالث في كل شيء فكلتاهما مفتتحة بكلمة الإخبار أما المقترن جوابها بالفاء و فيها معنى المجازاة و لكن نلاحظ اختلافا بنيويا في مقول القول عند المنافق أو المرتاب عن مقول القول عند المؤمن أو الموقن فهو يتكون من جمل فعلية هي :

- لا أدري .

- سمعت الناس يقولون شـــيئا .

- فقلتـه .

كلام المرتاب كله جمل فعليه ليس فيه توكيـــد و كـــلام الموقـــن تغلـــب عليـــه الجملة الاسمية و فيـــها توكيـــد ، فموضـــع الجملـــة يناســـب موضوعـــها و طبيعتـــها لاكتمال كل عناصر البيان في التعبير النبـــوي .

و هذه المقاطع الأربعة تكون وحـــدة كلاميـــة لا نســـتطيع فصـــل جملـــها لأن الجملة جاءت لتؤدي وظيفتها في إطار الموضوع الذي سيقت له كعنصـــر مـــن عنـــاصر الكلام وبواسطة الإحصاء لجمل هذا الحديث نحصـــل علـــى مجموعـــة مؤلفـــة مـــن 24 جملة متآخية و متعاونة لأداء الوظيفة البيانية التي يقتضيـــها الموضـــوع ، و نوضـــح ذلـــك أكثر بواسطة الجدول التـــالي :

	الجملة الاسمية	الجملية الفعليـــة	الأسمـاء	الأفعـال
المقطع الأول	2	3	9	3
المقطع الثاني	2	3	14	3
المقطع الثالث	5	4	16	4
المقطع الرابع	1	4	7	5
المجموع	10	14	46	14

و بعد قراءة هذا الجدول البياني الإحصـــائي للـــتراكيب النبويـــة يتبـــين لنـــا أن الجمل الفعلية الصغرى و المستقلة مرتبطة ارتباطا عضويـــا وثيقـــا بالجملـــة الـــتي تكـــون المقطع الاسمي أو الفعلي و المقطع الثالث هو الذي يركـــز عليـــه النـــبي عليـــه الصـــلاة و السلام و يتحمس له ،و يتضح ذلك مـــن خـــلال البنيـــة الوظيفيـــة و عـــدد الجمـــل الاسمية و الأسماء الـــواردة فيـــه دون غـــيره مـــن المقـــاطع الثلاثـــة الأخـــرى للدلالـــة

على أن الحديث يغلب عليه طابع الترغيب و التبشير و الرجاء خاصة و أنه خطاب موجه للمؤمنين .

بعد هذا التحليل نخلص إلى أن الجملة في الحديث النبوي تؤدي وظيفة بيانية و المقام و الموضوع هما اللذان يحددان الموضع الذي يقتضي الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية و إذا كان النبي عليه الصلاة و السلام يحث على الجماعة ، فنستطيع أن نقول كذلك أن الجملة النبوية ترتبط بجماعتها و تؤدي دورها في إطار هذه الجماعة ، فيأتي الحديث متنوع الجمل كل جملة تتفرع عنها جمل و تراكيب يصعب فصلها عن بعضها إذا أردنا الحفاظ على المعنى و النسق النبوي ، يقول الدكتور عودة خليل أبو عودة :" **تشير هذه الخصيصة إلى ما سماه علماء اللغة المعاصرون التحليل إلى المؤلفات المباشرة و هو اصل من أصول التحليل التي أفرزتها البنيوية و عرفت بها ، و يقصد به تعيين ما تتضمنه الجملة الواحدة من مؤلفات مباشرة أو ما تتضمنه العبارة من جمل عدة تسهم كلها في أداء المعنى و لابد لفهم المعنى من تحليل الجملة أو العبارة إلى مؤلفاتها المباشرة ،ومعرفة عناصرها الرئيسية و علاقة كل منها بغيرها حسب قواعد نظم الكلم المعروفة** " [1]

فالجمل هي أنماط تركيبية تأتي في تجمعات مترابطة فيما بينها مؤسسة لمنظومة بنيوية في الخطاب و هو ما سماه دو سوسير بالتعاضد التركيبي [2] ، و هذا في الحقيقة عام في كل خطاب فإذا فصلنا أية جملة عن إطار التركيب فيفقد الكلام معناه و تفقد هي معناها السياقي إلى حد ما .

و لكن الخطاب النبوي يتسم بخصوصية التركيب الوظيفي الذي يساهم في التعبير عن موضوع الحديث و يناسبه ، فالتعبير النبوي ليس تعبيرا مباشرا و إنما

---

(1) د .عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 638 .
(2) انظر : فرديناند دو سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص 155 .

تتشكل فيه الجمل بحسب مقتضيات الموضع و الموضوع ، و من هنا فهو يتميز عن الحديث الموضوع الذي غالبا ما يكون في جمل ابتدائية معزولة و مباشرة و قلما نجد في الخطاب النبوي جملة ابتدائية معزولة و غير مستأنفة و لا تتفرع . فإن وجدت مثل هذه الجمل فلها ملابسات تساهم في تفجيرها و التعبير بها .

و نعود إلى حديثنا موضوع التحليل الذي يمثل منظومة من كلام النبي عليه الصلاة و السلام نرى تنوع الجمل داخل هذا الحديث في الجدول التالي الخاص بالجمل الاسمية الواردة و عددها عشرة جمل .

الرقم	الجملة الاسمية	موقعها في الخطاب
.1	ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا	جملة ابتدائية
.2	حتى الجنة و النار ...	معطوفة على ما قبلها
.3	أنكم تفتنون في قبوركم	في محل رفع نائب فاعل
.4	ما علمك بهذا الرجل	في محل رفع نائب فاعل
.5	فأما المؤمن فيقول هو محمد رسول الله	جملة مستأنفة
.6	هو محمد رسول الله	في محل نصب مفعول به مقول القول
.7	هو محمد	توكيد لفظي أول
.8	هو محمد	توكيد لفظي ثان
.9	هو محمد	توكيد لفظي ثالث
.10	و أما المنافق فيقول لا أدري	جملة معطوفة

الجمل الاسمية ليست واحدة و إنما هي متنوعة متعددة المواضع و الوظائف تتخللها الجمل الفعلية المتنوعة المواضع و الوظائف كذلك كما يبينه هذا الجدول الخاص بالجمل الفعلية داخل النص نفسه

الرقم	الجمل الفعلية	موقعها في الخطاب
.1	لم أكن رأيته	في محل رفع صفة
.2	رأيته	في محل رفع نصب خبر أكن
.3	إلا رأيته	في محل رفع خبر
.4	فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم	جملة معطوفة
.5	تفتنون في قبوركم	في محل رفع خبر أن
.6	يقال ما علمك بهذا الرجل	جملة مستأنفة
.7	يقول هو محمد رسول الله	في محل رفع خبر
.8	جاءنا بالبينات	في محل رفع خبر
.9	فأجبنا	جملة معطوفة
.10	و اتبعنا	جملة معطوفة
.11	فيقول لا أدري	جملة في محل رفع خبر
.12	لا أدري	في محل نصب مفعول به
.13	سمعت الناس يقولون شيئا	جملة تفسيرية
.14	فقلته	جملة معطوفة

و نستنتج بمقارنة الجدولين أن استخدام الجمل متوازن و متقارب في العدد فإن كان المقطع يبدو اسميا ففيه ما فيه من الجمل الفعلية و إن كان المقطع فعليا ففيه كذلك ما فيه من الجمل الاسمية .

و هذه الجمل ذات وظائف تؤديها ، داخل النص كالفاعل و نائب الفاعل و المفعول به و الخبر و التوكيد و الصفة .

و أستطيع القول بأننا عندما نحاول دراسة الجملة الاسمية أو الفعلية في نص الخطاب النبوي لا ينبغي أن ندرسها دراسة قواعدية معزولة عن البنية العامة للنص لأنها وحدة تعبيرية في إطار النص العام .

2- الجملة الخبرية و الجملة الإنشـــائية :

إن التحليل اللغوي لا ينظر إلى الجملة نظرة شـــكلية فحســـب باعتبارهـــا اسميـــة أو فعلية و ربما كان هذا النظر نحويـــا مجـــردا يـــهتم بعلاقـــات الألفـــاظ في الـــتراكيب و ترابطها نحويا . أما البلاغيـــون فـــإنهم نظـــروا إلى الدلالـــة و المفـــهوم مـــن خـــلال التركيب أو المنطوق . و بذلك جعلوا للجملة أسلوبا تتلبـــس بـــه في شـــكلها الـــتركيبي . و قد تخرج عنه بمفهومها الدلالي ، فالجملة يطبعـــها أســـلوب معـــين ســـواء كـــانت إسمية أو فعلية و هو المعنى الذي يطفو على الـــتركيب و يغلـــب في التعبـــير .

و الكلام كله إما خبري أو إنشائي ، و أنـــا لا أميـــل إلى التعريـــف التقليـــدي للأسلوب الخبري أنه ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته بـــدون النظـــر إلى قائلـــه ، لأنـــه تعريف لا يثبت عند التحليل و الجانب الأخلاقـــي فيـــه أقـــوى مـــن الجـــانب العلمـــي و أفضل أن أقول أن الأسلوب الخبري هو ما كان يعبر عـــن أمـــر موضوعـــي و يقـــدم عنه معلومات تحتمـــل الخطـــأ أو الصـــواب فـــهو ينقـــل للمخـــاطب رســـالة يمكـــن أن يصدقها أو يرفضها و لذلك كان الخبر على ثلاثـــة أضـــرب.

الخبر الابتدائي و هو الذي يكـــون المخـــاطب خـــالي الذهـــن عنـــه لا يـــتردد في قبوله إما لبداهة الخبر أو قداسة المتكلم و إيمان المخاطب بكل مـــا يقولـــه كمـــا هـــو الشأن في كثير من الأساليب الخبرية في البيان النبـــوي و الخـــبر الطلـــبي و هـــو الـــذي يصعب اقتناع المخاطب به إما لغموضه أو لشك يخامره فيـــه و المتكلـــم يـــدرك وضعيـــة المخاطب إزاء هذا الخبر فيؤكده له بمؤكد كأنه يطلب منه تصديـــق هـــذا الخـــبر.

و الخبر الإنكـــاري هـــو الـــذي يواجـــه معارضـــة المخـــاطب لـــه بالإنكـــار و التكذيب بادي الرأي و المتكلم يستعمل أكثر من مؤكد و يعطـــي لهـــذا الخـــبر أكـــثر قوة لفظية بواسطة أدوات التوكيد المختلفة . أما الأسلوب الإنشـــائي فـــهو الـــذي ينبـــع من ذات المتكلم و ليس له مصداقية موضوعية فـــهو ذاتي و لذلـــك لا يقـــال للمتكلـــم عند النطق به أخطأت أو أصبـــت .

و الأساليب الإنشائية كثيرة و هي تنقسم إلى قسمين طلبية و غير طلبية فالأسلوب الإنشائي الطلبي هو الذي يستدعي مطلوبا و غير الطلبي هو الذي يعبر عن انطباع المتكلم و انفعاله ، و الأسلوب الإنشائي يهتم بالتراكيب أكثر مما يهتم بالدلالة .

و قبل الخوض في طبيعة التراكيب النبوية المتعلقة بالأساليب لا بأس من التذكير بالأساليب الإنشائية الطلبية و هي : الأمر و النهي و النداء و الاستفهام و التمني .أما الإنشاء غير الطلبي فيكون بصيغ المدح و الذم و التعجب و القسم و الرجاء و كم الخبرية .

و بعد هذا التقديم نتساءل ما هي طبيعة الجملة في بنية الحديث النبوي هل هي إنشائية و ما نوعها أم خبرية و ما نوعها ماذا يغلب على النص النبوي هل يغلب عليه الأسلوب الإنشائي أم الأسلوب الخبري و للإجابة عن هذه التساؤلات لابد من معاينة النصوص و تحليلها لملاحظة الطابع الغالب على الأسلوب في الخطاب النبوي .

أولا : الأسلوب الخبري :

إنه من النادر جدا أن نجد في الخطاب النبوي أسلوبا خبريا تقريريا أو ابتدائيا مباشرا مثل قوله عليه الصلاة و السلام :

- **" ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، و ليس فيما دون خمس ذود صدقة و ليس فيما دون خمس أوسق صدقة " .**[1]

- **" ليس على المسلم صدقة في عبده و لا فرسه " .**[2]

---

(1) صحيح البخاري كتاب الزكاة ، رقم 1405 ، ج1 ، ص 418 . و انظر في الملحق رقم 51 .
(2) صحيح البخاري كتاب الزكاة ، رقم 1464 ، ج1 ، ص 337 . و انظر في الملحق رقم 53 .

- " **ليس المسكين الذي يطوف على النـــاس تـــرده اللقمـــة و اللقمتـــان و التمـــرة و التمرتان و لكن المسكين الذي لا يجد غـــنى يغنيـــه و لا يفطـــن بـــه فيتصـــدق عليه و لا يقوم فيسأل النـــــاس** " .[1]

إذا ما راعينا طبيعة المخاطب بالأخبار النبويـــة في الأحـــاديث الصحيحـــة المتفـــق عليها و هم المسلمون المؤمنون المحبون و المقدسون للمتكلـــم عليـــه الصـــلاة و الســـلام العاشقون لكلامه المتشوقون لسماع صوته و رؤيتـــه ، إذا راعينـــا ذلـــك حـــق رعايتـــه و راعينا معه عصمة المتكلم استبعدنا أن تكـــون تلـــك الأخبـــار ابتدائيـــة أو إنكاريـــة و وجدناها بعيدة عن صفـــة التصديـــق أو التكذيـــب ، و أنهـــا ذات طبيعـــة خاصـــة في تراكيبها روح و حياة و عواطف و مشاعر تخرجها عـــن ظـــاهر الخـــبر إلى الأغـــراض الإنشائية الطلبية خاصة و أننا وجدنـــا النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام يؤكـــد الخـــبر للمؤمنين المصدقين المقدسين و لكن البلاغيـــين قـــرروا أن ذلـــك يكـــون عنـــد إنكـــار المخاطب أو شكه ، و لكن أغلب الأخبار النبوية يمتزج بهـــا مـــن روح النـــبي و ألفاظـــه ما يخرجها عن مقتضى الظاهر لتبدو شبه أمر بواسطة الـــترغيب أو شـــبه نهـــي بواســـطة الترهيب و هو ما سماه الرافعي بروح التركيب و هـــي خصيصـــة موجـــودة في القـــرآن الكريم كما هي موجودة في الحديث النبوي الشريف يقـــول الرافعـــي : " **فـــإذا ارتفـــع الكلام إلى أن يصير في تقليبه و مداورته كأنـــه طـــرق مـــا بـــين الحـــواس في أنـــواع إدراكها و بين النفس فلا يخطئ التأثير و لا ينـــافر جهـــة مـــن جهاتـــه و لا يعـــدو أن يبلغ من الفؤاد مبلغه الذي قسم له فهذا هو الكـــلام الـــذي يبـــين البليـــغ و يفـــرده من قومه و يجعله مهوى قلوبهم و سمـــت أبصـــارهم إذ يكـــون في نفســـه مـــن هـــذه القوة البيانية ما يجعله خليقا أن يعتده التـــاريخ أحـــد المجـــاميع النفســـية في الأرض . و هم الذين لا يكثرون بعددهم ، و لكن بمواهبهم ، حـــتى إن أحدهـــم ليكـــون أمـــة في نفسه و يكون في عمله تاريخ عصر من أمـــة و هـــم أولئـــك الأفـــراد العظمـــاء**

---

(1) صحيح البخاري كتاب الزكاة ، رقم 1479 ، ج1 ، ص 442 . و انظر في الملحق رقم 56 .

الذين تبتدئ درجاتهم مما بين الخلق بعضهم من بعض إلى مـــا بـــين الخلـــق و الخـــالق من الشعراء إلى الأنـــبـــيـــــاء". [1]

فعنصر الحرارة و وجود الصدق النفســي و الرغبــة في توجيــه المخــاطب كــل ذلك يحول الأخبـــار النبويـــة إلى أخبـــار طلبيـــة أو أخبـــار محولـــة إلى إنشـــاء كمـــا أن المخاطب في البيان النبوي هو وسيلة عبـــور كمـــا رأينـــا في سلســـلة الســـند فقـــد يكون غير المخاطب هو المنكـــر أو الشـــاك أو المـــتردد لأن الخطـــاب النبـــوي ينتقـــل و ينتشر عبر الزمان و المكان ، و لهـــذا يـُنَزّل المخـــاطب منـــزلة الشـــاك و المنكـــر و من الأسباب التي تحول الخبر إلى إنشاء ﴿ أهمية الخـــبر عنـــد المتكلـــم فـــهو يطلـــب الاستجابة لمقتضاه ، وفق أطر تركيبية مشـــحونة بـــالقوة النفســـية و الـــدفء العـــاطفي و هو ما يبدو جليا في النصوص التي ســـقتها ســـابقا .

فالحديث الأول و موضوعه الزكاة و هو موضـــوع تشـــريعي يقتضـــي الإخبـــار و التقرير و لكنه جاء على النمط التالي في البنـــاء و الـــتركيب .

ليس فيما دون خمس	أواق	صدقة
و ليس فيما دون خمس	ذود	صدقة
و ليس فيما دون خمس	أوسق	صدقة

هذا الحديث و إن كان ظاهره الأسلوب الخبري التقريـــري فإنـــه يطفـــح بـــالقوة النفسية من خلال تكرار مادة صوتية واحدة ثلاث مرات فالنفي هنا ليـــس مجـــرد خـــبر بسيط و لكنه نفي يرفع الحرج و ينقل البشرى و اليســـر . فقـــد كـــرر الجملـــة بنفـــس ألفاظها مع تغيير تمييز العدد في كل مرة و هذا مـــن الكفايـــة و الاقتصـــاد في اســـتعمال

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص 237 .

اللغة و التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل و لو كان عبر عن هذا المعنى مثلا بالتراكيب التالية :

- ليس فيما دون خمس أواق و لا دون خمس ذود و لا دون خمس أوسق صدقة .
- لا صدقة فيما دون خمس أواق و لا دون خمس ذود و لا دون خمس أوسق .
- ما دون خمس أواق و خمس ذود و خمس أوسق ليس فيها صدقة .

إن هذه التركيب المفترضة تفتقد إلى الروح النبوية و إلى الكفاية اللسانية و تتسم بالتقريرية و المباشرة الجافة و تخلو من الطلب و التعبير النبوي هو الأقوى بما يحتويه من روح خطابية و تراكيب تناسب المعنى . فالنفي ليس للصدقة فإنها مطلوبة و مرغب فيها و لكن النفي هو للمقدار الذي لم يبلغ النصاب المطلوب و المذكور عدده . كما نلاحظ في كلمة ليس و هي فعل ماض جامد و هي لا تفيد النفي و إنما تفيد الانتفاء الذي يناسب عدم التشريع و يعلله و إن كان التطوع بالصدقة في هذه الحال يبقى مباحا و مرغبا فيه و لهذا بقيت كلمة صدقة مرفوعة و نكرة غير مقصودة و غير معينة ليدخل عمومها في خصوصها و تكررت ثلاث مرات كما تكرر لفظ انتفاء التكليف ثلاث مرات ليكون هذا الخبر إلى الطلب أقرب .

و لو قارنا هذا الحديث بالحديث الثاني في الموضوع نفسه ، ليس على المسلم صدقة في عبده و لا فرسه ، فقد تغير التركيب فهذا الحديث يشتمل على التقرير التأبيدي وهو النفي للتشريع بإقرار الملكية و ذلك بإظهار المكلف المسلم و إقرار الملكية له بالإضافة (عبده) و (فرسه) .

و غالبا ما يأتي الأسلوب الخبري في تصاعد لفظي و تعاضد تركيبي مما يجعل المخاطب يشعر بقوة التأثر و شدة الانفعال مثل الحديث التالي : عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : " **إني فرط لكم . و أنا شهيد عليكم ، و إني و الله لأنظر إلى حوضي الآن و إني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض**

- و إني و الله لا أخاف عليكم أن تشـــركوا بعـــدي ، و لكـــن أخـــاف عليكـــم أن تنافسوا فيـــها " . [1]

و لتوكيد الخبر عند النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام و إخراجـــه إلى الطلـــب و الإنشاء عوامل حسية كالنبرة الصوتية و الإشارة و تقاســـيم الوجـــه و عوامـــل لفظيـــة تظهر في التركيب و هي التوكيد اللفظي و المعنـــوي و القســـم .

و للتوكيد عوامل كثيرة كتكرار جملـــة بعينـــها أو لفظـــة بعينـــها كمـــا رأينـــا في الأمثلة السابقة و كذلك يكون بألفاظ و أوضـــاع لغويـــة معينـــة كـــالقصر و أدوات التوكيد المختلفة و هو وسيلة خطابية تقرب المسافة بـــين المتكلـــم و المســـتمع و تجعلـــها في حالة شعورية واحدة و هو موجود بكثرة في الحديث النبـــوي و تكـــاد لا تخلـــو منـــه جملة خبرية لأهميته الوظيفية و وزنه البياني إذ : **" يشـــعر المتكلـــم أحيانـــا أن المســـتمع إليه بحاجة إلى أن يوجه إليه الكلام مؤكدا معززا بوســـائل الإقنـــاع موثقـــا بالـــبراهين لينقل المستمع من الحالة التي فيها إلى الحالة التي يكون عليـــها المتكلـــم مـــن الإيمـــان و اليقين بالفكرة الـــتي يتحـــدث عنـــها ، و التوكيـــد في اللغـــة إحـــدى الوســـائل التي يعمد إليها المتكلم لتعزيز فكرته في نفـــس الســـامع "** . [2]

أسلوب التوكيد شائع في بنية الحديـــث النبـــوي بكـــثرة ، و يتواتـــر إلى درجـــة تشكيل ظاهرة لسانية في خطابه عليه الصلاة و السلام شـــبهها الدكتـــور عـــودة خليـــل أبو عودة بالغلاف أو السياج إذ يقول و هـــو يعلـــل هـــذه الظـــاهرة " **تغلـــف هـــذه السمة الحديث النبوي الشريف في الصحيحـــين ، و هـــي سمـــة تتفـــق مـــع مهمـــة التبليغ و التعليم التي أداها رسول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم في مجتمـــع كـــانت تغلب عليه الأمية و الجهل ، فكل ما كـــان يبلغـــه عليـــه الصـــلاة و الســـلام كـــان جديدا و مثيرا للناس الذين يسمعونه و يشاهدونه لأول مـــرة و لـــذا فمـــن المنتظـــر**

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم 1344 ، ج1 ، ص 399 ، و انظر في الملحق رقم 48 .
(2) عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 332 .

أن يكثر تساؤلهم و تتصل مراجعاتهم للنبي صلى الله عليه و سلم فيضطر من أجل تبليغ الرسالة و أداء الأمانة حق الأداء إلى تأكيد القول " .[1]

و نتيجة لهذا المعنى النفسي المتمثل في حرص الرسول عليه الصلاة و السلام على توصيل رسالته استخدم وسائل التوكيد الحسية كالإشارة و الانفعال و نبرات الصوت و تقاسيم الوجه و وسائل التوكيد اللفظية و المعنوية المختلفة المعروفة في اللسان العربي إلا أن أهم تلك الوسائل و أكثرها شيوعا في البيان النبوي أساليب التكرار و القصر و القسم و ترادف التراكيب لتصعيد المعاني و الشرط للإغراء بالخير أو التحذير منه . و تمثل لهذا الأسلوب التقريري في الخطاب النبوي المشحون بمختلف أساليب التوكيد الذي يحيل الجملة الخبرية إلى موقع الجملة الإنشائية الطلبية بما يلي :

– عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم " **إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ، و إذا ركع فاركعوا ، و إذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا و لك الحمد ،و إذا سجد فاسجدوا ، و إذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون** " .[2]

فالجملة الخبرية الأساسية في هذا الحديث مؤكدة بالقصر بلفظة إنما و هو من أقوى وسائل التوكيد ثم استؤنف هذا التوكيد بالشرح و التفسير ، و هو أسلوب التفصيل بعد الإجمال حتى يفهم جميع السامعين وجوب متابعة الإمام في كل شيء أثناء الصلاة و استخدم التوكيد المعنوي كآخر كلمة ليبقى دويها و قوتها دالة على إصرار النبي في طلب الإقتداء بالإمام بصفة عامة و تكرار الشرط بإذا و تجانس جملة الشرط مع جواب الشرط مما يقيد المطاوعة ، كل ذلك يجعل هذه العبارة و هذا التأليف النبوي بين الجمل و التراكيب يخرج فيه الخبر عن مقتضاه لإفادة الطلب .

---

(1) نفس المصدر ، ص 655 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، رقم 734 ، ج1 ، ص 229 ، و انظر في الملحق رقم 28 .

و إذا تأملنا تركيب هـذه العبـارة وجدناهـا فـوق مسـتوى الشـعر وزنـا و إحكاما إلى درجة تدعو إلى الدهشة من براعة الـتركيب و جمـال التفريـع و روعـة التفصيـل .

فالجمل الخبرية المؤكدة و المجملة هي تتكون من خمـس كلمـات .

إنما	جعل	الإمام	ليؤتم	به
1	2	3	4	5

و فصلت بخمس جمـل :

1- فإذا كبر فكـبروا .

2- و إذا ركع فـاركعوا .

3- و إذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا و لـك الحمـد .

4- و إذا سجد فاسـجدوا .

5- و إذا صلى جالسا فصلوا جلوسـا أجمعـون .

هل هذا التناسق و الدقة في التقسيم هو وليد الصدفة هـل هـو نتيجـة التفكـير و التخطيط للقول بحيث يتوافق عـدد الجمـل في عبـارة التفصيـل لعـدد المفـردات في العبارة الإجمالية و هل هو من قبيل الصـدف أن يكـون هـذا العـدد هـو خمسـة لا يزيد عليها و لا ينقص ليوافق عدد الصلـوات الخمـس الـتي يرغـب النـبي عليـه الصلاة و السلام في أدائها جماعـة وراء إمـام ، ثم إذا كـان مـن الممكـن أن تكـون العبارة الأولى مثـلا :

- إنما الإمام يؤتم به ، فلماذا جـاءت كلمـة جعـل لتجعـل عـدد المفـردات خمسا كعدد الصلوات المفروضـة في اليـوم و الليلـة ، ثم مـا دلالـة كلمـة جعـل و علاقتها بتنصيب الإمام و إقامته و إذا نظرنا كذلـك إلى الجمـل الشـرطية المفصلـة فإن السياق يجر مثلا لقول : و إذا سلم فسـلموا بزيادتهـا كجملـة سادسـة و لكنـها لم تذكر ليبقى العدد هو هو في الطرفين و لدلالة السياق عليـه ، و كـان مـن الممكـن

جامعة ... المكتبة المركزية

أن تكون أجمعون بالياء على أنها حال ، و لكن التوكيد هـــو الغـرض المتوخـى الـذي يقصده المتكلم ، و المرفوع أوكد و أقـوى مـن المنصـوب إنـي لا أريـد أن افتـح دراسـة إحصائيـة لعـدد المفـردات في الـتراكيب النبويـة و علـى الـتراكيب في العبارة و لو نشط لذلك باحث سيميولوجي يتعقب الأمـارات الدالـة علـى المعـنى في الخطاب النبوي لا كتشف كثيرا من الأسـرار بواسـطة المنـهج الإحصـائي الـذي أشارت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها بقولهـا : " **إن كـان رسـول الله صلـى الله عليه و سلم ليحدث بالحديث لو شاء العـاد أن يحصيـه أحصـاه** ". [1]

و تستوقفنا في الجملة الخبريـة الجملـة الشـرطية الـتي لا يمكـن أن توصـف بالصدق أو الكذب بل يطبعها الترغيب أو الـترهيب و هـما طلبيـان و قـد تواتـرت و تكررت الجملة الشرطية بمختلف أدواتهـا ، و يتكـرر نمطـها في الحديـث الواحـد أكثر من مرة بل أكثر من ثلاث مـرات كمـا رأينـا في الحديـث السـابق و في هـذا الحديث و هو عن أبي هريرة أن رسول الله صلى اله عليه و سـلم قـال : " **لـو يعلـم الناس ما في النداء و الصـف الأول ثم لم يجـدوا إلا أن يسـتهموا عليـه لاسـتهموا و لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه و لـو يعلمـون مـا في العتمـة و الصبـح لأتوهما و لو حبـوا** " .[2]

فقد تكرر أسلوب الشرط هنا مـرات لإفـادة الإغـراء كمـا اقـترن جوابـه في كل مرة بلام التوكيد ، و نلاحظ أنه عبر عن المثنى النـداء و الصـف الأول بـالمفرد في جواب الشرط في قوله لاستهموا عليه ، و ظـاهر القـول يقتضـي تثنيـة الضمـير و لكنه أفرده لدلالته على تقارب المعنى في الزمـان و المكـان و لكنـه ثـنى العتمـة و الصبح فقال لأتوهما و ذلك لإفادة أن العتمة هـي العشـاء و عـدم التقـارب بينـهما فهذه خصيصة نبوية في الاقتصاد اللغوي بينـة واضحـة .

---

(1) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، ج2 ، ص 125 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، رقم 615 ، ج1 ، ص 200 . و انظر في الملحق رقم 25 .

و أختم الكلام عن الأسلوب الخبري في إطار الجملة الشرطية بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، و من راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، و من راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، و من راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، و من راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر** ".[1]

هذا الأسلوب الخبري الذي تكثر فيه أدوات الشرط و تتكرر يطفح بالإغراء و تحريك النفوس و فيه من التدرج و براعة الاستهلال و دقة التقسيم و تمثيل جواب الشرط بأمثلة واقعية بسيطة لا غرابة فيها و لا غموض مع اختيار المثل و اللفظ و المشهد ، حتى إننا لنعتقد أنه لم يبق لأحد حق في التأخر عن الجمعة إلى وقت خروج الإمام و حضور الملائكة لكثرة الساعات التي تسبق الجمعة بما يوحي بالتبكير في الخروج إليها ما عدا الإمام الذي يكون خلال هذه الساعات الخمس مشغولا بإعداد خطاب الجمعة و تهيئ له و لكنه لم يأمرهم بالخروج المبكر بأمر تنفيذي جاف و إنما حفزهم بهذا الأسلوب و تكرار الجزاء التنازلي كلما تأخر الإنسان عن الجمعة و استخدم اسم الشرط " من " الدال على العاقل ليوافق اللفظ المضمون و تحريك نفوس العقلاء ، يقول الدكتور بكري شيخ أمين عن هذه الظاهرة في العبارة النبوية : " **لا أفضل في حسن التصوير و التقريب إلى قلب جليسك و ذهنه و التمهيد لما توحي به أو توجه إليه من انتزاع عناصر الصورة في وقائعها و أمثلتها من الطبيعة و من الأحداث التي يعيش معها مخاطبك أو المستمع إليك ، إن الرسول يتحدث مع قومه العرب كما يعيش (معهم) في قلب الجزيرة العربية بصحرائها و جبالها و وهادها و ماشيتها ، و إبلها** ".[2]

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة رقم 881 ، ج1 ، ص 264 . و انظر في الملحق رقم 34 .
(2) د.بكري شيخ أمين ، أدب الحديث النبوي ، دار الشروق ، بيروت ، ط5 عام 1981 ، ص 161 .

و دجاجها و بيضها أيضا ، و ذلك أنه يربط بـ صفة الشـــرط بـين العبـادة أو العمـل و بين الجزاء المترتب عليه لكي يوجه و يحث على العمـل أو يبعـد عـن ذلك العمـل من غير إكراه . و لهذا كثر هذا الأسلوب في حسـنة الخبريـة و قـد رتـب الدكتـور عودة خليل أبو عودة في بحثه أدوات الشرط حسـب حجـم وجودهـا في الأحـاديث الشريفة في الصحيحين كما يلـي :[2]

1- من	6- لـولا .
2- إذا	7- مـا .
3- إن	8- أي .
4- لو	9 أينمـا .
5- أما	10- حيثمـا .

و عن كثرة شيوع من علـى غيرهـا مـن أدوات الشـرط بقولـه : " **وقـد ثبـت بالإحصاء الدقيق أن مـن الشـرطية تـرددت في الحديـث الشـريف أكـثر مـن إن الشرطية التي هي أم البـاب في إصطـلاح النحـاة و الـتي هـي أكـثر أدوات الشرط شيوعا في كل قول ما عدا الحديث الشريف ، و هـذه في الحقيقـة خصيصـة مميزة للغة الحديث ذلـك أن الحديـث الشـريف هـو في الأصـل تشـريع للنـاس و شرح لأحكام الدين ، و بيـان للحـلال و الحـرام ... و بمـا أن عمـل المسـلم في أحواله كلها مرتبط بجزاء ، و قد كان توضيح الجزاء هـذا غـير موجـه إلى فـرد بعينه و لا موضحا لنتيجة عمل بذاته بل كان موجها للنـاس كافـة و مبنيـا لجـزاء الأعمال كلها . و من هنا نسبة أسلوب الجزاء أكـثر مـن غـيره ، و شـاعت فيـه (من) التي تخاطب العاقل ، أكثر من غيرها** "[1] . إن الشـرط قـد ورد بنسـبة عاليـة جدا في الخطاب النبوي و هو يشكل ظاهرة متميزة في لغـة و بنـاء الحديـث النبـوي

---

(1) د.عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 510 .
(2) نفس المصدر السابق ، ص 660 .

الشريف و يمثل الطريقة النبوية في نقل الأخبار و تقرير الشريعة بأسلوب الترغيب و الترهيب للاستجابة النفسية التلقائية .

و يكتسي الخبر في الجملة النبوية طبيعة أخرى تضاف إلى ما سبق ذكره من حرص النبي عليه الصلاة و السلام على التبليغ و الهداية بواسطة الثروة النفسية و العاطفة التي يشحن بها كلامه و يؤيد بها منطقة و هذه الطبيعة هي في الخبر ذاته و المخاطب به .

فإذا كان النبي عليه الصلاة و السلام تطبعه العصمة و الصدق و المخاطب يطبعه الإيمان و التسليم فالخبر يطبعه اليقين ، و المخاطب مكلف بالسمع و الطاعة لأن الأخبار في الجملة النبوية كلها يقينية و تعتبر حجة و دليلا ، و لهذا اكتنفها الأسلوب الطلبي و الأخبار التي تفيد اليقين ثلاثة أقسام .[1]

القسم الأول : و هو المستفيض المتواتر الذي يأتي على ألسنة الجماعة المتباينة هممهم و إراداتهم و بلدانهم .

القسم الثاني : خبر الرسل عليهم السلام .

القسم الثالث : ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة و قال قدامة بن جعفر و هو يفصل خبر الأنبياء عن غيره من الأخبار : " **و الثاني خبر الرسل عليهم السلام و من جهر من الأئمة الذين قامت البراهين و الحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم و عصمتهم و ظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل و ليس في طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم ، فدلت من ليس علم المعقولات و التمييز بين المتشابهات من شأنه على أن هذه الأشياء إنما أجريت على أيديهم ليعلم أنهم عن الله عز وجل نطقوا و عليه في إخبارهم عنه صدقوا فتعم الحجة بهم الغافل و الجاهل ، و المميز و العاقل و لا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ".[2]

---

(1) ، (2) قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص28 و 29 .

و مع وجود هذه المؤيدات التي تقوي اليقين بالأخبار النبوية من عصمة و معجزة و تأكيد بالصوت و اللفظ و النفس و المعنى فقد حاول بعض المعارضين مقاومتها و تكذيبها و تواصوا بعدم الاستماع إلى كلام النبي لتمكنه من القلوب و شعورهم بأثره الفعال في الحال ، و بقي الحق و زهق الباطل إذ هيأ الله للنبي عليه الصلاة و السلام صدورا تحفظ اللفظ و المعنى و تنقله خبرا عن النبي عليه الصلاة و السلام بأمانة و ضبط ، و استناد " **و الحجة لا تكون إلا في نص قرآن أو نص خبر مسند ثابت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أو في شيء رآه عليه الصلاة والسلام ، فأقره لأنه صلى الله عليه و سلم مفترض عليه البيان ، فقال تعالى: " و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " (النحل :44) فصح يقينا أنه صلى الله عليه و سلم لا يدع شيئا من الدين إلا بينه من الكتاب بالكتاب أو من الكتاب بالسنة أو من السنة بالسنة** " .[1]

فالأخبار النبوية أخبار يقينية علمية في موضوعها بلغها بخطاب علمي بليغ و استخدام الجملة الخبرية في العبارة النبوية يعتبر كذلك حجة لغوية في التعبير الشفهي الذي يحرص فيه المتكلم على انتباه السامع و إقناعه و التأثير فيه . و هذا بتنويع أساليب الجملة الخبرية و حضورها متعاضدة مع الجملة الإنشائية التي تمنحها حضورا أقوى و بيانا أوضح و صدقا أعمق ، حتى ليشك المتأمل في خبرية هذه الجملة فبناء على القواعد البلاغية يجدها خبرية و عندما يقرأها و يستسلم لصوتها و رغبة قائلها يجدها تثير فيه مشاعر طلبية . لأن التعبير يضع الجملة في مكانها المناسب من العبارة لتكون تبليغية في أداء معناها الجزئي ومعناها في المقطع و معناها في النص بشكل عام .

---

(1) ابن حزم ، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين ، ص 56 .

ثانيا : الأسلوب الإنشـــائي

سبق أن ذكرت أن العبارة النبوية تتســـم بالتعـاضد الـتركيبي و روح التـأليف و كما وجدنا الخبر يأتي في موضع الطلب و الإنشاء كذلـــك وجدنـا الإنشـاء يـؤدي إلى الإخبار . و هذا من خلال الأساليب الإنشـــائية الطلبيـة و غـير الطلبيـة الكثـيرة المنبثة في ثنايا الخطاب النبوي كالاستفهام و الأمر و النـــهي و النـداء لأغـراض تبليغيـة و تواصلية مثلما نجده في الحديث التالي و هو عن عائشـــة رضـي الله عنـها أن قريشـا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقـــالوا :

من يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم و من يجترئ عليـــه إلا أسـامة حـب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكلم رســـول الله فقـال : " **أتشـفع في حـد مـن حدود الله ؟** " ثم قام فخطب فقال :" **يا أيها الناس إنما ضل مـن كـان قبلكـم أنهـم كانوا إذا سرق الشريف تركوه و إذا سـرق الضعيـف فيـهم أقـاموا عليـه الحـد و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمـــد يدهـا** " .[1]

هذه القطعة التعبيرية تتماسك فيها نفسية المتكلـــم و المخـاطب مـع الموضـوع فمسألة الجرائم و الحدود ومعاملة المجرمين و التصرفات غـير المناسـبة الـتي يقـوم بهـا الناس نحوهم و خاصة أولي الأمر منهم و الشـفاعات في غـير محلـها لإلغـاء الأحكـام كل ذلك يفضي إلى الهلاك و الخطر ، فلذلك لم ينتظر النـــبي عليـه الصـلاة و السـلام و لم يتأخر عن التعبير و البيان عندما سنحت الفرصـــة و سمـح المقـام ليخـبر النـاس أن الشفاعة أو الدفاع لا يجـوز في الحـدود الـتي ثبتـت علـى الجـاني و أدى ذلـك بأساليب إنشائية مختلفة ومتعاضدة لتصرف النـاس عـن هـذا الأمـر بعبـارات قويـة في شكل بنيوي و تركيبي تصاعدي كما يلـــي :

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، رقم 6788 ، ج4 ، ص 2119 ، انظر في الملحق رقم 121 .

1- توجيه الكلام إلى أسامة بن زيد بأسلوب إنشائي و هو الاستفهام الإنكاري : أتشفع في حد من حدود الله ؟ و من يقرأ هذا الاستفهام عليه أن يستحضر غضب النبي و انفعاله حتى يعطي لهذا التركيب روحه و حياته و نبرته ، فالنبي لم يتصور أن تصدر هذه الشفاعة من أسامة بن زيد و استخدم همزة الاستفهام التي تفيد التصور و لا تقتضي الجواب بلا أو نعم ، إنما الذي يقتضي الجواب بالإيجاب أو النفي هو هل التي تستخدم للتصديق ، و قد يخطئ و يخلط كثير من الناس في استخدام هل و الهمزة في الجملة الاستفهامية و لكن ذلك لم يحدث في القرآن الكريم و لا في منطق النبي عليه الصلاة و السلام ، و نلاحظ أن هذا الاستفهام أو الإنشاء هو الأقوى في تقرير حرمة الشفاعة في هذا الموضوع ، ثم انتقل النبي عليه الصلاة و السلام من الخاص إلى العام لأن القضية لا تعني شخصا بعينه و إنما تهم المجتمع برمته بل تعني الإنسانية فوجه الخطاب إلى البشرية بواسطة النداء : يا أيها الناس ، ليلفت انتباههم إلى الخبر الخطير و هو أن مثل هذا الفعل هو من أسباب الهلاك ،و يعود إلى الجملة الإنشائية غير الطلبية هذه المرة و هي القسم ليخبرهم خبرا عظيما و كبيرا أيضا و هو أن هذا الفعل لو حدث له شخصيا لما تردد في تنفيذ الحكم الشرعي المناسب ، و نلاحظ بصورة واضحة الدور القوي الذي تقدمه الجملة الإنشائية بمختلف أنواعها في تقرير الخبر أو تأكيده بقسميها الطلبي و غير الطلبي أو تنبيه مخاطب أو توجيه لأمر أو صرف عن آخر و هي تعطي للحديث حياة و روحا و هي سمة بارزة في الأسلوب الخطابي الشفهي ، حيث يحرص المتكلم على انتباه المخاطب و انفعاله حتى لا يكون كلامه في فراغ و من هنا يحتاج إلى مقدمة إنشائية كالنداء أو الاستفهام أو الأمر أو النهي أو التعجب أو القسم ، و يحتاج كذلك إلى خاتمة إنشائية كما نلاحظه في كثير من الأحاديث النبوية ، و لهذا كثر أسلوب الاستفهام و النداء و القسم في الكلام النبوي .

و من خصائص التعبير الشفهي كذلك الحوار فالنبي عليه الصلاة و السلام لم يكن يحتكر الكلام بل كان يتبادله مع المخاطبين و كانت طبيعة العرب المتفتحة و شعورهم بالسيادة و العزة يبعدهم عن التحرج و التردد فكانوا يسألون النبي عليه الصلاة و السلام في كل شؤونهم و حتى النساء كن يسألنه في شؤونهن الخاصة بواسطة أحيانا و بغير واسطة أحيانا أخرى ، و الأحاديث الحوارية كثيرة سجل الرواة فيها كلام الطرفين المتحاورين بأمانة و منها على سبيل المثال الحديث التالي : عن زينب بنت أبي سلمة عن أم المؤمنين أنها قالت : " **جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه سلم فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق . هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نعم إذا رأت الماء** ".[1]

و تتنوع أنماط الحوار في البيان النبوي فأحيانا يكون النبي هو السائل و المخاطب هو الذي يجيب كما يسال الطبيب مريضه ليقف على حالته و أحيانا يكون النبي هو المسؤول المجيب و أحيانا يكون الحوار مفتوحا بين الطرفين يتبادلان فيه الكلام و قد يقصر الحوار أو قد يطول بحسب المقام ، و نجد كل ذلك في بنية البيان النبوي حيا ناطقا إلى درجة تجعل القارئ سامعا أو شاهدا حاضرا و ليس مجرد قارئ على الحياد . و يعلق الدكتور عودة خليل أبو عودة على هذه الظاهرة النبوية في الحديث الشريف قائلا : " **سمة السؤال و الحوار شائعة في الحديث الشريف و هي مرتبطة ارتباطا منطقيا بالسمات السابقة ، سمات الحياة المشهودة و الجمل الممتدة المتداخلة لأن السؤال يكون من أفراد يشهدون الموقف و الحوار ينتج عن هذه التساؤلات و الإجابات عنها ، و سعة السؤال و الحوار أيضا سمة بديهية في الحديث الشريف لأنه حديث نبي إلى قومه يعلمهم و يجيب عن أسئلتهم و يصحح أخطاءهم و يلبي دعواتهم . و لذا فإنه من العسير أن نجد**

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الغسل ، رقم 282 ، ج1 ، ص 109 ، انظر في الملحق رقم 14 .

حديثا شريفا لا تتوافر فيه هذه السمة ، في الوقت الذي لا تكـــاد هـــذه الســـمة أن توجد في الحديث الموضوع المكذوب و أحيانـــا يكـــون الجـــواب ردا علـــى ســـؤال غير مباشر كأنما يريد النبي صلى الله عليه و ســـلم أن يعفيـــهم مـــن حـــرج الســـؤال و أكثر الأحاديث التي تكون كذلك تبـــدأ بمثـــل قولـــه عليـــه الصـــلاة و الســـلام ما بال أقوام أو ما يشبه معناهـــا " .[1]

و الأسلوب الحواري هو من أحسن الطرق التعليمية الـــتي تركـــز عليـــها التربيـــة الحديثة حتى يكون التواصل بين المعلم و المتعلم متينـــا و التفـــاعل مؤكـــدا و قـــد كـــان النبي عليه الصلاة و الســـلام في كثـــير مـــن الأحيـــان يســـتفز الصحابـــة و جلســـاءه إلى الكلام و إنما يكره رسول الله صلى الله عليه و ســـلم و يعيـــب المســـائل في الحـــلال و الحرام عن الأمور المسكوت عنها شرعا مـــن رحمـــة الله تعـــالى ، فكـــانوا يثيرونهـــا [2] و كان النبي يسكت عنها و يعيبها ليصرفـــهم عنـــها و كـــان النـــبي يســـتخدم الحـــوار لاستئناس قلوبهم و ربطها بموضوع الحديث و لمحبته لجلســـائه عليـــه الصـــلاة و الســـلام و كانوا يدركون ذلك و يتأدبون معه أيما تأدب إلى درجة أنهـــم كـــانوا يفوضـــون إليـــه الإجابة بمثل قولهم الله و رسوله أعلـــم .

و الاستفهام كما ذكرت هـــو أكـــثر الأســـاليب الإنشـــائية الـــواردة في بنيـــة الحديث النبوي ذلك لأنه يحقق التواصـــل الذهـــني و الـــترابط بـــين أطـــراف الخطـــاب و هذه بعض الألوان من استعمال الاستفهام في البيـــان النبـــوي .[3]

1- يسبق الحكم أو الخبر للتشويق إليه و تنشيط المخـــاطب لتلقيـــه .
2- أو يتأخر عن الحكم أو الخبر لتقرير إنكاره و إبقـــاء أثـــره في النفـــس .
3- الإشارة بالاستفهام إلى خطإ الحكم أو الخـــبر الســـابق .
4- استدراج المخاطب و جره إلى الحكـــم أو الخـــبر .

---

(1) د . عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 641 .
(2) انظر في الملحق الحديث ، رقم 102 .
(3) انظر : د . عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 371 .

5- إيناس المخاطب و التلطف معه و رفع الحرج و التكلـــف عنـــه .

6- تصوير صعوبة المستفهم عنه أن يكـــون في مقـــدور المخـــاطب الإجابـــة عنه أو معرفتـــه .

و في ختام هذا المبحث نقول إن الحديـــث النبـــوي الشـــريف تتماســـك فيـــه الجمل و الوحـــدات التعبيريـــة المختلفـــة و تـــترابط و تتعـــاضد في الـــتراكيب لخدمـــة الموضوع و إقناع المخاطب به فالنص النبوي أو المتن يتطلـــب وحـــدات تعبيريـــة مختلفـــة لتشكيل العبارة التي يتلقاها المخاطب و هـــي مشـــحونة بكـــل العوامـــل الـــتي تضمـــن استجابته ، و من هنا يصعب دراسة هذه الجمل دراسة آلية ميتـــة كمـــا تفعـــل البلاغـــة أو النحو فنقول هذه جملة خبريـــة أو هـــذه جملـــة إنشـــائية لأن هـــذه الجملـــة تـــأتي في السياق و تحيـــط بهـــا الملابســـات و القرائـــن اللفظيـــة و الحاليـــة الـــتي تخرجـــها عن مقتضى ظاهرها إلى مقتضـــى الأغـــراض و المقـــاصد النبويـــة و طبيعـــة أطـــراف الخطاب المميـــزة .

فالنص النبوي هو عبارة عـــن قطعـــة كلاميـــة شـــفهية مشـــحونة بـــالعواطف و الانفعالات الضمنية و الرواة سجلوها تسجيلا حيويـــا فيصعـــب فصـــل جملـــة عـــن جملة ، و هذا يندر وجوده في النصوص الأخـــرى المكتوبـــة .

المبحث الثالث : البناء الفني في البيان النبـــوي

نتعرض في هذا المبحث إلى أهم الخصائص التي تميز الخطاب النبوي هذه الخصائص النبوية البنيوية تفضح الحديث الموضوع و تكشف أن واضعه قد جعل الحديث الصحيح أمامه و اتخذه إمامه ، و جعله نموذجا يقيس عليه و يقلده و لكن ليست النائحة كالثكلى كما يقول المثل العربي ، و ليست النسخة كالأصل .

و اللسانيات الحديثة تعنى بالأسلوب من خلال النص الذي يستنطق ليعكس الخصائص التي يتميز بها الكاتب ، و يقولون أن الأسلوب هو الرجل أي أن لكل كاتب أسلوبه الخاص و لغته الخاصة و الكتابة هي إبداع لغة من لغة ، فللمتنبي لغته و لأبي تمام لغته و لي لغتي و لك لغتك كتابة أو مشافهة لأننا لا نتكلم أو نكتب بطريقة آلية غريزية لا تختلف فلغة كل إنسان مشحونة بفكره و عواطفه و أسلوبه و يتفوق بعض الناس و ينالون الإعجاب لمجرد تقنياتهم التعبيرية في إطار اللغة العامة المشتركة ،و نقدر بعد الاعتياد على قراءة أو سماع أساليب معينة أن نتعرف على أصحابها إذا ما أغفلت أسماؤهم و ننسب إليهم النصوص المناسبة لأساليبهم دونما تردد و باحتمالات ضعيفة للخطإ . و الاتجاه البنيوي يسعى من خلال لسانيات النص إلى التعرف على الظواهر اللسانية و الأسلوبية التي تتحكم في بنية الخطاب أو تسيطر عليه . و الكتاب و الخطباء و الشعراء أصحاب الأساليب المتميزة قليلون و هم الذين يخدمون لغة قومهم بإبداعهم ، فاللغة التي لا تسمح بالإبداع لا تدخل التاريخ و لا يحصل لها الحضور الحضاري المرغوب ، و اللسان العربي قدم و ما يزال يقدم أوسع إمكانيات الإبداع بحيث حوى بلاغة السماء ممثلة في القرآن الكريم و بلاغة الأرض بزعامة النبي عليه الصلاة و السلام ، و هما حاضران ناطقان يمارسان الحياة و يدفعان إليها منذ بزوغ فجرهما .

و قد قيل الكثير عن إعجاز القرآن الكريم و طبيعة أسلوبه كما قيل الكثير أيضا عن بلاغة النبي عليه السلام و طبيعة أسلوبه و كلاهما معينه لا ينضب و مجال البحث فيه لا يضيق بل يزداد اتساعا .

و يجدر في البداية التنبيه إلى طبيعة الحديث النبوي الشريف التي تميزه عن غيره فهو نصوص شفهية مروية بالسماع كما تؤخذ اللغة الطبيعية و كل حديث منها يصدره الصحابي الذي يرويه بقرينة حسية لفظية تدل على سماعه و هكذا في كل حلقات السند في الغالب بقولهم حدثنا ، سمعت رسول الله يقول ، أخبرنا إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدل على السماع و طرق التلقي ، ثم أصبحت هذه الطريقة منهجا عاما في نقل الأخبار و تدوينها و إن كانت أخبارا في اللغة أو الأدب أو التاريخ إلى زمن متأخر ، ثم عدل عن هذا الأسلوب ليبقى خاصا بالحديث الشريف .

و هذه النصوص النبوية الشفهية قيلت في أوقات متفاوتة و ظروف متباينة فهي نصوص كثيرة و ليست نصا واحدا من الناحية العددية لكنها كلها يجمعها نسق واحد و أسلوب واحد مما يؤكد نسبتها إلى النبي عليه الصلاة و السلام الذي يمارس فعلا قوليا قائما على تقنيات خاصة به تمنحه صفة التفرد و التميز و إذا كان النص يؤدي أثره في زمن ما و في مخاطب ما فكل خطاب له جمهور معين و زمن معين يؤثر فيه دون غيره من الجماهير و الأزمنة بخلاف الخطاب النبوي فما زال نابضا بالحياة و لغته ليست لغة عصر معين بل لغة جميع العصور و المخاطب ليس شخصا معينا أو جيلا معينا بل يتعدى ذلك إلى كل الناس و هذا هو الأسلوب و الإبداع الذي يجدد التجربة الشعورية التي أحدثها اتصال أول مرة عند الاتصال في كل مرة و بنفس الدرجة مع أشخاص مختلفين و في مواضيع متنوعة . يقول رينيه ويليك : " **قد يغدو العمل الفني موضوع تجربة ، و نحن نعترف أننا لا نتوصل إليه إلا من خلال التجربة الفردية** ، لكنه لا يتطابق مع أية تجربة ، و هو **يختلف عن الموضوعات المثالية كالأرقام لأنه بالضبط لا نتوصل إليه إلا**

من خلال الجزء التجريبي (المادي أو المادي بالقوة) في بنيته و هو النظام الصوتي في حين أن المثلث أو العدد يمكن أن يدرك مباشرة بالحدس ، كما أن العمل الفني يختلف عن الموضوعات الأخرى في ناحية هامة إن له شيئا يمكن أن يسمى حياة . و هي تنبثق في وقت معين من الزمان ، و تتغير مع تغير التاريخ و قد تنقرض ، فليس العمل الفني أزليا إلا بمعنى أنه إذا بقي ، فإن له بنية كيان أساسية منذ إبداعه ، إلا أنه تاريخي أيضا إن له تقدما يمكن وصفه ليس هذا التقدم إلا تجسدا لعمل فني صحيح ما في مجرى التاريخ الذي قد يعيد إلى حدّ ما بناءه معتمدا على تقارير النقاد و القراء عن تجاربهم و أحكامهم و على تأثير عمل فني ما على أعمال أخرى ... إن بإمكان المرء أن يتحدث عن حياة عمل فني في التاريخ بالضبط بذات المعنى الذي يتحدث فيه عن حيوان أو كائن بشري بحيث يظل ذاته في حين يتغير على الدوام طوال أيام حياته الإلياذة ما تزال موجودة أي تستطيع أن تغدو مرارا و تكرارا فعالة مؤثرة ، و هي بذلك تختلف عن الظاهرة التاريخية كمعركة واترلو التي مضت بشكل نهائي ، مع أن بالإمكان إعادة تركيب مجرياتها و تمييز آثارها إلى اليوم " .[1] و إذا كان يتكلم هكذا عن الإلياذة و طول عمرها الأدبي و حياتها و هي مترجمة قد فقدت لغتها الأصلية .

فماذا يسعنا نحن أن نقول عن القرآن الكريم وعن الحديث النبوي بالخصوص اللذين:

أولا: تحدث التجربة الشعورية الفردية لكل شخص يحصل له الاتصال بأحدهما أو كليهما و تزداد هذه التجربة تمكنا و عمقا كلما قوي الاتصال و استمر .

ثانيا : يمتازان بالحياة ومعايشة التاريخ في مجراه يتغير و لا يتغيران و يتوقف و لا يتوقفان .و يمتازان كذلك بخصوصية بنية كل منهما مما يمنح لهما الشهرة و التفرد .

---

(1) رينيه و يليك بالاشتراك ، نظرية الأدب ، ص 162 .

و لا يوجد أي نص عربي أو غير عربي خالد خلودهما على أصله و حي حياتهما و متداول تداولهما كذلك .

ثالثا : لا يستطيع أحد مهما أوتي من بلاغة و بيان إعادة بنائهما أو محاكاتهما أو حتى محاولة هدمهما ، و من حاول ذلك فعلى نفسه حكم بالهدم و على نصه قضى بالردم و فضيحة مسيلمة و الوضاعين معروفة مشهورة .

العوامل التي تجعل العمل الإبداعي الفني حيا خالدا تنطلق في الأساس من بنيته التركيبية و تأليفه المتميز ، و لا نجد معايير الخلود الفني و مقاييس الإبداع متوفرة بنيويا و أسلوبيا بصورة مطلقة و أكيدة إلا في هذين النصين الساميين الخالدين اللذين يمثل أحدهما بلاغة السماء و ثانيهما بلاغة الأرض ليكونا في سماء البشرية كالشمس و القمر في فصل الخطاب و حسن التعبير يستنار بهما و يسار على هديهما : " **و علامات و بالنجم هو يهتدون** " .[1]

و سنكتشف هذه العوامل البنيوية الفنية في الخطاب النبوي من خلال وتيرة نسجه و طبيعة أسلوبه و سر النمط الذي يغلب عليه و العلامات اللسانية التي تتكرر و تتوافر لمعرفة مرد ذلك السحر و سر بيانه يقول الرافعي عن أسلوب البلاغة النبوية : " **و من كمال تلك النفس العظيمة و غلبة فكره صلى الله عليه و سلم على لسانه قلّ كلامه و خرج قصدا في ألفاظه ، محيطا بمعانيه تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة و الكلمات المعدودة بكل معانيها فلا ترى من الكلام ألفاظا و لكن حركات نفسية في ألفاظ و لهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب ، و كثرت جوامع كلمه .. و خلص أسلوبه فلم يقصر في شيء و لم يبالغ في شيء و استحق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة و البلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه ، و لو هو استطاع بعضه لما تم له**

---

(1) سورة النحل ، الآية 16 .

في كل كلامه لأن مجرى الأسلوب على الطبع و الطبع غالب مهما تشدد المرء و ارتاض و مهما تثبت و بالغ في التحفظ " .[1]

إن أسلوب هذه الأحاديث النبوية الشريفة لا يمكن أن يكون إلا لأبلغ البلغاء جعله الله له ملكة و هيأة راسخة يقتدر بها على التبليغ و التبيين يفهمه الجميع لخلوه من التكلف و الإطالة و الغموض اللفظي أو المعنوي .

و بين أسلوب القرآن الكريم و أسلوب الحديث الشريف فروق جوهرية مما يدل على اختلاف مصدريهما ، فالقرآن معجز ، و الحديث يطفح بالقدرة البشرية ، و لكن عصمته في المعنى و المبنى لا تجعل نسبته إلا إلى النبي الذي يبلغ رسالة الله إلى البشرية و يمارس وظيفته التربوية ، و مما يقوله الرافعي : " **فاعلم أن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز ، يعلو كلام الناس من جهة و ينزل عن القرآن من جهته الأخرى ، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه و لا معجزة عليه فيما دونه و هو عنده أبدا بين القدرة على بعضه و العجز عن بعضه** " .[2]

و قد صرح النبي عليه الصلاة و السلام بإمكان الكذب عليه دون الكذب على الله لإمكان النسج على منوال الحديث الشريف و استحالة النسج على منوال القرآن الكريم و جهود علماء الحديث كانت كبيرة في غربلة الأحاديث المنتشرة على ألسنة الناس لتنقية الحديث النبوي الصحيح الثابت من الحديث الموضوع المكذوب المنسوج على منواله ، لأن ذوق العامة و عقلهم لا يسمح بذلك تلقائيا كما هو بالنسبة للخاصة الذين يفرقون بين الأساليب و يعرفون خصائص أسلوب النبي عليه الصلاة و السلام ، من كثرة تداول أحاديثه الصحيحة ، و الأسلوب علامة شخصية لا تعدو صاحبها فلا يمكن أن يكون لشخص أسلوبان أو أن يكون

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص 300 .
(2) نفس المصدر ، ص 341 .

لشخصين أسلوب واحد فهو كالبصمة التي لا تدل إلا على صاحبها . و يستدل من الأسلوب النبوي و الأسلوب القرآني المعجز على نفي دعوى نسبة القرآن الكريم إلى النبي عليه الصلاة و السلام و يقول الدكتور بكري شيخ أمين : **" إن الذين يقولون إن محمدا هو الذي أنشأ القرآن و صاغه ليسوا كفرة فقط و إنما هم خالون من الذوق الفني و فهم الأساليب و تمييز الفروق بينها ، و إن القول الذي يرددونه . الأسلوب هو الرجل .. و الذي يقصدون به أن أسلوب الرجل لا يتغير مهما اختلف الموضوع الذي يتحدث فيه كما لا تختلف بصمات الإصبع في مختلف أدوار عمر الإنسان ، يقولون ذلك القول و يؤمنون به نظريا ثم ينكرونه عمليا حين يلمسون الفروق الجوهرية الأصلية بين أسلوب القرآن و الحديث ، و يركبون رؤوسهم ثم يغطونها في الرمال ، و ليس لهم هدف إلا إخفاء الحقيقة ، و الطعن في الإسلام لمجرد الطعن لا لخدمة الحقيقة،و لا لجلاء الحق –هذا إذا وقفوا على الفروق – أما إذا عجزوا فتلك هي المصيبة لأنهم يقولون عن جهل و حقد و عمى بصيرة ".**[1]

و زيادة على الحديث الموضوع المرفوض من الناحية الأدبية لتطاوله إلى الحضرة النبوية ، ظهرت في القديم و الحديث نصوص تشاكل بنيويا الأسلوب النبوي إلى حد ما في مراعاة القصد و تحري الاختصار مثل نصوص القوانين التشريعية و البرقيات و التعليمات و الرسائل الإدارية و الأخبار و النظريات و القواعد العلمية . و لا شك أن طريقة النبي عليه الصلاة و السلام في التعبير عن الرسالة العلمية العظيمة التي أمر بتبليغها إلى البشرية كانت طريقة علمية و كان يؤدي بذلك خطابا علميا بأسلوب علمي كان من عوامل انتشاره وحفظه و فهمه و التأثر به .

---

(1) د .بكر شيخ أمين ، أدب الحديث النبوي ، ص 117 .

إن الخطاب العلمي يقابله الخطاب غير العلمي و الأسلوب العلمي يقابله الأسلوب غير العلمي لأن المقصود من الخطاب هو حصول فعل التواصل بين الطرفين و قصد التخاطب بدون زيادة عن الحاجة و لا نقصان في جمالية تتطلبها الطبيعة البشرية .

إن الخطاب العلمي له قواعد و أساليب نظرية في أكثر الأحوال فإذا جئنا إلى التطبيق و الممارسة وجدنا من يتبنى تلك المناهج العلمية و يدعو إليها و يزيغ عنها لقلة التمرس و فقدان القدوة و النموذج .

و لهذا أرى أن القدوة العلمية و الأسوة الحسنة في الخطاب العلمي يمكن التماسها في البيان النبوي ، و العقاد يعتبر أسلوب النبي عليه الصلاة و السلام أسلوبا عصريا و يدعو إلى الاسترشاد به فيقول : " **و لمن شاء أن يحسب أسلوب النبي – كتابة و خطابا – أسلوبا عصريا يقتدي به المعاصرون في زماننا هذا و في كل زمان ... لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور** " .[1] و قد حاول الرافعي – و هو من أصحاب الأساليب الفذة أن يصف نسق الأسلوب النبوي و يحدد ملامحه الكبرى قائلا : " **فإن نسق البلاغة النبوية يمتاز في جملته بأنه ليس من شيء أنت واجده في كلام الفصحاء و هو معدود في ضروب الفصاحة ومتعلقاتها ، إلا وجدته في هذا النسق على مقدار من الإعتبار يفرده بالميزة ، و يخصه بالفضيلة ، لأن كلامه صلى الله عليه و سلم في باب التمكين لا يعدله شيء من كلام الفصحاء ، فلا تلمح في جهة من جهاته ثلمة يقتحم عليه الرأي منها و تناسب فيها الكلمات التي هي من لغة النقد و التزييف أو بعض هذه الكلمات ، أو أضعف ما يكون من بعضها**

(1) عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، دار الهلال ، ص 78 .

إذ هو مبني على ثلاثة : الخلـــوص و القصـــد و الاســـتيفاء " .[1] و يعـــني الرافعـــي بالخلوص صفاء اللغـــة و خلوهـــا مـــن الغرابـــة و التعقيـــد و القصـــد هـــو الإيجـــاز و الاستيفاء هو الإقناع و الإفهام . أي البساطة في أجمل معانيها .

و كل أسلوب يحمل طابعين أحدهما كسبي و الآخـــر وهـــبي ، فيســـتفيد المتعلـــم و يتأثر القارئ و يطلع على خصائص أسلوبية معينـــة نظريـــا و تطبيقيـــا و لكـــن يبقـــى شيء فردي في كل أســـلوب لا يمكـــن اســـتيراده أو استنســـاخه و هـــو روح المتكلـــم و طبعه و طبيعته ، فالكلام النبوي بالإضافـــة إلى خصـــائص الخطـــاب العامـــة يحمـــل خصوصية النبوة ذاتا و موضوعا و تطبع التراكيب التعبيريـــة بطابعـــها الخـــاص فتجعلـــه أرقى و أنقى ، و نحن لا نريد أن نكـــرر التجربـــة اللغويـــة النبويـــة و لكننـــا نهـــدف من دراسة الأسلوب و البنـــاء الفـــني في اللغـــة النبويـــة إلى اكتشـــاف أســـرار البيـــان في الخطاب النبوي أولا و محاولة استثمار هـــذه الأســـرار و القواعـــد لتكويـــن نظريـــة علمية في التخاطب و التبليغ ثانيا . خاصة و أننـــا يمكـــن أن نـــدرج الحديـــث النبـــوي في إطار لغة المشافهة و التواصل الاجتماعي الإنساني العـــام ، و نحـــن نمـــارس الخطـــاب باللسان العربي أي يبقي الوسيلة اللسانية التي فعّل بهـــا النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام العالم وما زال يفعّل فلعل السر يكمن في طبيعـــة اللســـان العـــربي أو طبيعـــة الأســـلوب النبوي أو فيهما معـــا .

و يقوم البناء الفني في البيان النبوي على عدة قواعـــد أهمـــها :

أولا : الإيجاز و جوامع الكلـــم .

ثانيا : الصور البيانية و المحسنات البديعيـــة .

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص 338 .

أولا : الإيجـاز

إن أول ما يلفت الإنتباه مـن الناحيـة الشـكلية لأسـلوب الحديـث النبـوي الشريف هو بناؤه على الاختصار و كأنما قـد تم تشـكيله في قوالـب الإيجـاز ، فقـد يرد الحديث في أقل من سطر و لا يتجاوز في الأعم الغالب خمسـة أسـطر حـين يجـرد من الملابسات اللفظية ، و يكاد يشبه في هذه الناحية الآيـة مـن القـرآن الكـريم لـولا ترتيبها في التوقيـف في السـياق و السـورة و لكـن القـرآن آيـة البلاغـة الربانيـة و الحديث النبوي الشريف آية البلاغة الإنسانية ،و هـو يبلـغ هـذه و هـذه وكـانت البلاغة العربية و لا زالت قائمة على مفهوم الإيجاز و تـرك فضـول الكـلام و التوسـع فيه لغير ضرورة ، لأن الألفاظ طريق إلى المعاني و ليست مقصـودة في ذاتهـا و الإيجـاز ممدوح لأنه يوضح المعنى بأقل ما يمكن مـن اللفـظ .

و يعتمد الإيجاز أولا على حـذف مـالا فـائدة في ذكـره مـن الألفـاظ ، إذا كانت القرائن تدل عليها و يصف عبـد القـاهر الجرجـاني بلاغـة الإيجـاز بـالحذف قائلا: " **هو باب دقيق المسلك لطيف المـأخذ ، عجيـب الأمـر ، شـبيه بالسـحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر . و الصمت عـن الإفـادة أزيـد للإفـادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطـق ، و أتم مـا تكـون بيانـا إذا لم تـبن ، و هـذه الجملة قد تنكرها حتى تخبر و تدفعها حـتى تنظـر ... و رب حـذف ، هـو قـلادة الجيد ،و قاعدة التجويد** ".[1] و استعمال الإيجاز اسـتعمالا دقيقـا يتطلـب أن يكـون المتكلم من الفصاحة و الفطانة و الخبرة بحيـث يقـدر أقـدار الكـلام بحسـب أقـدار المخاطبين فإذا أضاف إلى ذلك العصمة و النبوة كان آيـة في الإيجـاز و نهايـة تقـارب الإعجاز . و الأوضاع النحوية في اللسـان العـربي قـد تفـرض الحـذف أو تجـوزه بالإضمار أو الاستتار ، فقد يستتر الفاعل وجوبا أو جـوازا و يقـدر بحسـب الصيغـة

---

(1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائـل الإعجـاز ، ص 112 .

الصرفية للفعل المسند و قد يحذف المبتدأ أو الخبر أو المفعول به أو غير ذلك من عناصر الجملة أو متعلقاتها لدلالة السياق عليه و عدم احتياج المخاطب إليه كما تقرره قواعد النحو و تفرضه شروط الفصاحة أما الحذف كأسلوب و طبع يصيب و لا يخطئ . لا يزيد و لا ينقص فهو مهارة شخصية و بلاغة فردية و ملكة يتفاوت في إتقانها البلغاء مع ما يجد عليهم النقاد فيها من فرصة للنقد ومأخذ للرد و لكن النبي عليه الصلاة و السلام أسلوبه في الإيجاز بالحذف كأنه فطرة و طبيعة لا فرصة في هذا الأسلوب عنده للنقد و لا مأخذ للرد ، فالدكتور عودة خليل أبو عودة الذي قلب الجملة النبوية في القواعد النحوية على كل الوجوه بدراسة تدخل في الدرس النحوي أكثر مما تدخل في التحليل ، و لكنه مع ذلك لاحظ ظواهر مطردة و خصائص متواترة في بنية الجملة النبوية و منها ميزة الحذف فقال : **" و الحذف في الحديث الشريف كثير جداً و هو أمر بديهي و منسجم مع السمة الكبرى للحديث الشريف و هو دلالته على الحياة اليومية و انبثاقه من واقع المسلمين و همومهم الحاضرة ... و قد كنت أعرض شاهد الحذف مع كل نمط من أنماط الجملة التي مضت في أثناء هذه الدراسة فتحدثت عن حذف المبتدأ و حذف الخبر، و حذف خبر لا النافية للجنس و عن الحذف في جملة كان و أخواتها و في جملة الفعل الماضي و جملة المضارع و الحذف في جملة الجواب وجملة الإغراء و التحذير و في جوانب كثيرة من جملة الشرط ... و المتأمل في شواهد الحذف في الحديث الشريف يجد أنها تحقق نمطا عاليا في أسلوب التعبير يحقق أسمى ما حاول علماء البلاغة أن يصوروه في كتبهم ".**[1] و لا يكاد يخلو حديث نبوي من حذف يحقق سمة الإيجاز المطردة ، فإذا تأملنا كل حديث على حدة فإننا نجد أنواعا كثيرة من المحذوفات و ظلالا لكلمات أو عبارات معانيها موجودة ومبانيها مفقودة و الأمثلة التالية غية كافية لتقرير هذه الميزة الأسلوبية في بيانه صلى الله عليه و سلم .

---

(1) د . عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 646 .

الصرفية للفعل المسند و قد يحذف المبتدأ أو الخبر أو المفعول به أو غير ذلك من عناصر الجملة أو متعلقاتها لدلالة السياق عليه و عدم احتياج المخاطب إليه كما تقرره قواعد النحو و تفرضه شروط الفصاحة أما الحذف كأسلوب و طبع يصيب و لا يخطئ . لا يزيد و لا ينقص فهو مهارة شخصية و بلاغة فردية و ملكة يتفاوت في إتقانها البلغاء مع ما يجد عليهم النقاد فيها من فرصة للنقد ومأخذ للرد و لكن النبي عليه الصلاة و السلام أسلوبه في الإيجاز بالحذف كأنه فطرة و طبيعة لا فرصة في هذا الأسلوب عنده للنقد و لا مأخذ للرد ، فالدكتور عودة خليل أبو عودة الذي قلب الجملة النبوية في القواعد النحوية على كل الوجوه بدراسة تدخل في الدرس النحوي أكثر مما تدخل في التحليل ، و لكنه مع ذلك لاحظ ظواهر مطردة و خصائص متواترة في بنية الجملة النبوية و منها ميزة الحذف فقال : " **و الحذف في الحديث الشريف كثير جداً و هو أمر بديهي و منسجم مع السمة الكبرى للحديث الشريف و هو دلالته على الحياة اليومية و انبثاقه من واقع المسلمين و همومهم الحاضرة ... و قد كنت أعرض شاهد الحذف مع كل نمط من أنماط الجملة التي مضت في أثناء هذه الدراسة فتحدثت عن حذف المبتدأ و حذف الخبر، و حذف خبر لا النافية للجنس و عن الحذف في جملة كان و أخواتها و في جملة الفعل الماضي و جملة المضارع و الحذف في جملة الجواب وجملة الإغراء و التحذير و في جوانب كثيرة من جملة الشرط ... و المتأمل في شواهد الحذف في الحديث الشريف يجد أنها تحقق نمطا عاليا في أسلوب التعبير يحقق أسمى ما حاول علماء البلاغة أن يصوروه في كتبهم** ".[1] و لا يكاد يخلو حديث نبوي من حذف يحقق سمة الإيجاز المطردة . فإذا تأملنا كل حديث على حدة فإننا نجد أنواعا كثيرة من المحذوفات و ظلالا لكلمات أو عبارات معانيها موجودة ومبانيها مفقودة و الأمثلة التالية فيها كافية لتقرير هذه الميزة الأسلوبية في بيانه صلى الله عليه و سلم .

---

(1) - . عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 646 .

على فرض الفصيح في إلغاء الجار و تعدية الفعل هو باب يدخلونه و لم يستخدم العرب ذلك التعبير في فعل خرج فلا يجوز أن نقول خرجت الباب و يجوز أن نقول دخلت الباب ، و حتى تكون المساواة بين الفعلين يدخل الناس و يخرجون حذف الضمير على فرض تعدية يدخل و التقدير يدخله الناس و حذف الجار و المجرور المتعلق بيخرجون حتى تتحقق المساواة بين الفعلين .

و لا يمكن أن نتعقب كل الشواهد على الإيجاز بالحذف في البيان النبوي لأن ذلك يتطلب دراسة مستقلة و تصنيفا خاصا ، و لكن أقول أن أكثر ما يكون الحذف في الحديث الشريف في الحوار بينه و بين المخاطبين فقد يكون المحذوف متضمنا في سؤال السائل فلا يعيده النبي عليه الصلاة و السلام في الجواب ، و قد يحذف الجملة كلها إذا كانت نصا في السؤال فيجيب النبي عليه الصلاة و السلام بنعم أو بلا و يعلق على ذلك الجواب المحذوف بما يخصصه .

و أختم الأمثلة النبوية عن الحذف بحديث تناولناه من الناحية الصوتية و الناحية الإفرادية سابقا أكثر من مرة و هو حديث حواري هذا نصه كما رواه البخاري : " **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام.**

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : خمس صلوات في اليوم و الليلة .

فقال : هل علي غيرها ؟

قال : لا إلا أن تطوع .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و صيام رمضان .

فقال : هل علي غيره ؟

قال : لا إلا أن تطوع .

قال فذكر له رسول الله صلى الله عليه و سلم الزكاة .

فقال : هل علي غيرها ؟

قال : لا إلا أن تطوع .

قال فأدبر الرجل و هو يقول : و الله لا أزيد على هـــذا و لا أنقـــص .
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أفلـــح إن صـــدق " .[1]

و نتبين مواقع الحذف و تقديراتـــه في هـــذا الحديـــث الحـــواري مـــن خـــلال الجدول التـــالي :

العبارة النبوية	نوع المحذوف	تقدير المحذوف
خمس صلوات في اليوم و الليلة	المبتدأ	الإسلام خمس صلوات في اليوم و الليلة
لا إلا أن تطوع	جملة المستثنى منه	لا ليس عليك صلاة غيرها إلا أن تطوع
لا إلا أن تطوع	جملة المستثنى منه	لا ليس عليك صيام غيره إلا أن تطوع
لا إلا أن تطوع	جملة المستثنى منه	لا ليس عليك زكاة غيرها إلا أن تطوع
أفلح إن صدق	الفاعل	أفلح الرجل إن صدق
	المتعلق بالفعل	أفلح الرجل إن صدق في قوله و الله لا أزيد على هذا و لا أنقص

و إذا كان الإيجاز سمة عامة تطبع جميع كلام النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام بحيـــث لا ينقص عن البيان و لا يزيد عليه من الجانب التركيبي ، فإن ما يخصـــص هـــذا الأســـلوب و يفـــرده هو جوامع الكلم و ما نستطيع تســـميته بالأمثـــال أو الحكـــم النبويـــة و جوامـــع الكلـــم نتـــاج إبداعي نبوي و هو عبارات قصيرة و جمل وجيزة تحمل معاني غزيـــرة مـــن جهـــة ، و مـــن جهـــة ثانيـــــة فإنـــــا ذهبـــــت مذهـــــب الأمثـــــال و انتشـــــرت في الآفاق على الألسنة لخفتها و قلة ألفاظها و ذهبت كذلك مذهـــب الحكمـــة لأنهـــا تعـــبر عـــن المعـــاني الغزيـــرة الســـديدة . و قـــد ذكـــرت مـــن الخصـــائص الصوتيـــة النبويـــة نمـــوذج

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان ، رقم 46 ، ج1 ، ص 39 ، و انظر في الملحق رقم 1 .

الاقتصاد و الكفاية الصوتية في الفصل الأول من هذه الدراسة و جوامع الكلم هي الدليل المادي على ذلك لأن قصر العبارات و إيجازها من الكفاية و الكفاءة بمكان في هذا البيان . و خص النبي عليه الصلاة و السلام بهذا الأسلوب حتى يبقى معين الشريعة نابعا بالعطاء ، فياضا بالخير مشعا بالحكمة التي لا تنضب و لا تنتهي في مصدريها النيرين ، القرآن و الحديث فكلاهما مكتنف بالعلوم و الشروح ومعدن لكنوز الحكمة التي يتجدد عطاؤها على مر الدهور و كر العصور .

و قد عرف البيان العربي في الجاهلية و الإسلام مثل هذه العبارات القصيرة و الجمل الوجيزة المشهورة على الألسنة من الشعر و النثر و قسموها إلى قسمين الحكمة و هي ناتجة عن التجربة و الخبرة و تنسب إلى قائل حكيم مجرب . و المثل و هو كذلك عبارة سائرة تعبر عن حادثة أو ظاهرة و لا يشترط في قائلها الحكمة أو التجربة و ليست من الأفكار المجردة و لكن لها مصداقية في الواقع تستنطقها في الوقت المناسب كالسلوكات و المظاهر الشاذة و الغريبة التي يضرب بها المثل . و المثل و الحكمة متشابهان من الناحية التركيبية في الإيجاز و قلة الألفاظ و الدقة في إصابة المعاني المقصودة و لكن جوامع الكلم في البيان النبوي نمط آخر في التركيب و الدلالة و التأثير و الجمال ، يترأس هذين النمطين من القول و يجمع بينهما و نستطيع نعت هذه الظاهرة بالأمثال الحكيمة أو أمثال الحكمة .

و يذهب العقاد إلى أن الإيجاز هو قوة في التبليغ فيقول : " **الإبلاغ أقوى الإبلاغ في كلام النبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات الصغار ، بل هو اجتماع العلوم الوافية في بعض الكلمات و قد يبسطها الشارحون في مجلدات**" .[1] و العقاد كانت تسيطر عليه فكرة العبقرية و أراد إسقاطها على جميع الجوانب السلوكية في حياة النبي عليه الصلاة و السلام ، و نحن لا نناقش هذا الموضوع و إنما الأمر الذي لا نقاش فيه هو أن الإيجاز يشكل ظاهرة بيانية خارقة

(1) عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، ص 79

للعادة في البيان النبوي فقد مارسه بعض البلغاء حينا و حادوا عنه حينا آخر و أخطؤوه ، و اتخذوه معيارا للبلاغة و مطلبا يجتهدون في تحصيله و لكن النبي عليه الصلاة و السلام كان الإيجاز طبيعيا عنده لم يتكلفه و لم يتطلبه و أوتيه صفوا عفوا يعرف ذلك من طالع الأحاديث الصحيحة و أكثر قراءتها .

و ليست كثرة الشروح و العلوم التي اكتنفت الحديث بسبب غموضه أو تعقيده اللفظي أو المعنوي فقد أثبتنا من قبل أنه يبرأ من ذلك كل البراءة و يتنزه عنه كل التنزيه و إنما مرد ذلك إلى جاذبيته و اكتنازه بالثمار العلمية و الفوائد على قلة تركيبه و وضوح معناه و إغرائه للعلماء و الباحثين و تشجيعه لهم أن يغوصوا في بحره الذي يكمن فيه الدر فيعود الأواخر منهم بما لم يسبقهم إليه الأوائل من عطاء علمي ، إنه و القرآن الكريم كنز المعارف و معدن العلوم و شمس تسطع على العقول ما دامت عقول ، و هو ما يقرره الدكتور عز الدين علي السيد بقوله : " **أما بناء المقالة على الكلمة الجامعة من كلامه صلى الله عليه و سلم كما يشير إليه الرافعي فإنه قد كان ، و شراح الحديث و الوعاظ و أضرابهم يتناولون الجملة من بيانه الكريم بالتحليل و الشرح و بيان ما ضمنته من الأسرار في كثير من الصفحات ، و كم رأينا و نرى من المقالات البارعة في المجلات المتخصصة ما أقيم على حديث أو جزء منه ، و إنما يعرف ذلك عن قرب من شغل قلبه بدراسة الحديث فقارن بينه و بين ما يقرأ و ما يسمع و دار مع لفظه الموجز دورته الواسعة في سماء معانيه و إذ ذاك يراه ضخما وافرا أكبر مما تشاهده العين أو يحكم عليه السمع و أصغر ما تكون الطائرة في رأي العين أقرب ما تكون إلى السماء قربا ، فتخالها من الضآلة أضيق من أن تسع حمامة ، فضلا على أن تكون القصر المشيد يسع العشرات من الناس و الجليل من المتاع .**[1]

---

(1) د . عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الجهة البلاغية ، ص 442 .

هذا هو السر في الإفصاح فتقصير العبارة ، و تقليل الكلمات ليس دائما تعبيرا جامعا و التعبير الجامع المانع لا يأتي لكثير من الناس و إذا تأتى لبعضهم فإنه لا يتأتى لهم في كل حين و كثيرا ما يجد المحامون و النقاد و المحللون الثغرات القانونية في النصوص التشريعية فيقترحون زيادة كلمة أو إنقاص أخرى ، أما الحديث النبوي فإضافة إلى قصر عباراته و غزارة معانيه فقد كان محفوفا بالعصمة مشرقا بنور النبوة و " **و هذه الفصاحة من محمد توفيق من الله فهو الذي بعثه في قوم يقادون من ألسنتهم ، و لهم المقامات المشهورة في البيان و الفصاحة ولابد لهم من لسان أفصح من ألسنتهم لينقادوا له و يخضعوا . كل هذا جعل الحديث النبوي في مرتبة من الفصاحة لا تدانى ، و دفع الأدباء إلى استظهار عبارات الرسول و الإقتباس منها ، و الاستعانة بها في شعرهم و نثرهم و خطبهم لتسمو فوق مستوى كلام الناس ، و ليكون بها من العقل و الفضل ما ليس لكلام الآخرين . و هذه الأحاديث كانت سببا في وجود كثير من العلوم ، فالفقهاء و جدوا فيها ما يعينهم على استنباط الأحكام ، و علماء الحديث فسروها و أدركوا ما فيها من هدى و حكمة و نور و مثل عليا ، ترفع شأن الإنسان و تبني المواطن الصالح و أهل اللغة أخذوا يدرسونها و يستفيدون من ألفاظها و تراكيبها و أخيلتها و صورها ، و أرباب البلاغة و الأدب يتمرسون أثرها فيما أحدثت من معان بليغة و تعابير فصيحة و جمل خالدة ، كان الحديث ثروة في عالم الأدب و العلم ، تفخر بها الإنسانية على مدى الزمن ، و كان الحديث المعول الذي قضى على وحشي الكلام و سجع الكهان ، و كان الأداة المثلى لخلق أغراض جديدة في عالم النثر و الشعر غير أغراض الجاهلية و مثلها "**.[1]

---

(1) د . بكري شيخ أمين ، أدب الحديث النبوي ، ص 104 .

و هذه عينة من جوامع كلمة عليه الصلاة و السلام مبنية على وجازة التركيب و غزارة المعنى ، اقتطعها من الأحاديث الملحقة بهذه الدراسة و هي قليل من كثير و غيض من فيض .

	جوامع الكلم	الرقم في الملحق
1-	أفلح إن صدق.	1
2-	الحياء شعبة من الإيمان .	4
3-	إنما جعل الإمام ليؤتم به .	28
4-	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا.	38
5-	اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم و لا تتخذوها قبورا .	39
6-	فليتقين أحدكم النار و لو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة .	52
7-	إن العائد في صدقته كالعائد في قيئه .	54 و 89
8-	إن الله لا يمل حتى تملوا ..	67
9-	أولم و لو بشاة .	72
10-	هي لك أو لأخيك أو للذئب .	85
11-	إنما الأعمال بالنيات .	125

و تناسب جوامع الكلم و الأحاديث النبوية القولية بصفة عامة في إيجازها و متانة تأليفها و أسلوبها الممكن في تعليم اللغة و التدريب على الخطاب الشفهي و ذلك باستثمارها و اعتمادها كنماذج في الدرس النحوي و الصرفي و البلاغي و تصلح أيضا في التعبير الشفهي و الكتابي للتحليل و المناقشة و استخراج الفوائد و تكوين جمل مفيدة على منوالها التركيبي مع تنويع المواضيع و تغيير المفردات و اللغة .

إن تعليم اللغات يعتمد على نماذج بسيطة و سهلة يحاكيها المتعلمون و يكررونها و إن أغلب – إن لم أقل كل – النماذج و الأمثلة التي نعتمد عليها في دروسنا اللغوية هي نماذج أدبية من الشعر الرصين أو النثر المتين التي يصعب فهمها على المخاطبين ، و أحيانا أخرى يعتمد على أمثلة بسيطة تافهة خالية من القيمة

الأسلوبية و هذا قد أدى فعلا إلى نتيجة نعاني أثارها إلى اليوم و هـــو أننـــا نتعلـــم اللغـــة و علومها نظريا و تبقى مشكلة الاستعمال قائمة فقـــد نســـتغل النـــص الأدبي كوســـيلة للدراسة اللغوية و لكننا نحتاج إلى وقت طويل و مواهب فرديـــة و إرادة قويـــة لاتخـــاذه كنموذج للتعبير و طريقة للكلام و الحديث اليومـــي لكونـــه نصـــا أدبيـــا لـــه قواعـــده و أسسه الأدبيـــة الخاصـــة أو لكونـــه بســـيطا تافـــها لا يدفـــع إلى التعبـــير الســـليم .

و في الحالتين نرى إشكالية عدم اســـتعمال هـــذه اللغـــة رغـــم الوصـــول إلى فهمـــها و تبســـيطها و دعـــوى معياريـــة اللغـــة تســـببها حياديـــة المواضيـــع الـــتي تحملـــها و خصوصيتها فتبقى لذلك لغة تعليمية معيارية و ليست لغـــة يوميـــة إن لغـــة الحديـــث النبوي ليست لغة معيارية ، و ليست لغة المثقفين و العلمـــاء الذيـــن لهـــم مصطلحـــاتهم الخاصة بهم لا يفهمها غيرهم ، و ليست لغة سوقية إنهـــا لغـــة نابضـــة بالحيـــاة يفهمـــها جميع الناس تنبع من واقع الإنسان و فطرته التعبيريـــة يتجـــاوب معـــها و يتفـــاعل مـــع مضامينها سهلة التناول ، و عندما نربط الـــدرس اللغـــوي بمختلـــف علومـــه بـــالقرآن الكريم و الحديث النبـــوي الشـــريف نكـــون قـــد وظفنـــا علـــوم اللغـــة و وضعناهـــا في الاستعمال ذلك لأن هذه النصوص التكليفية ليســـت نصوصـــا ترفيهيـــة أو إقصائيـــة فالقارئ يحس بأنه الطرف المتلقـــي للخطـــاب لســـهولة الفـــهم و بســـاطة الـــتركيب و حميمية النص ، و إذا كنا لا نجرؤ على تكليف المتعلمـــين بإنشـــاء جمـــل علـــى نســـق التعبير القرآني لقداســـته و إعجـــازه فـــإن الحديـــث الشـــريف يفتـــح آفاقـــا للتعبـــير و المشافهة و التواصل البسيط المفيـــد و إذا اعتمدنـــا فقـــط علـــى النمـــاذج القرآنيـــة و الأدبية في التطبيقات اللغوية فإننا بذلك نكون قد حكمنـــا علـــى المتعلمـــين بالحبســـة اللغويـــة و علـــى اللســـان العـــربي بالتـــهميش أو الإقصـــاء مـــن الحيـــاة اليوميـــة و التداول لأن القرآن الكريم معجز و الأدب لغـــوي و ليـــس للمتعلمـــين بعـــد الفـــهم مجال للاستعمال ، و ليس لهم إلا التسليم للبراعة و السجود للبلاغـــة ، أمـــا النـــبي عليـــه الصلاة و السلام فهو معلم الفصاحة و إمام البلاغة و إنما جعل الإمـــام ليـــؤتم بـــه .

فمن فوائد الإيجاز أن يسهل الحفظ و يغـــري بالمشـــافهة و هـــو وســـيلة تربويـــة و تعليمية فعالة ، و تفضيله على الإطالة له مبرراته في التربيـــة و التعليـــم و لهـــذا حفـــظ

الحديث النبوي في الصـــــدور و وعتــه القلــوب بســبب هــذا الأســلوب الحكيــم في الخطــاب .

ثانيا : الصور البيانية و المحسنات البديعيـــة

حاول الدكتور عز الدين علي السيد أن يطبـــق القواعــد البلاغيــة في دراســته على الحديث النبوي فوجد لكل قــاعدة أكــثر مــن مثــال ، و دليــل . كمــا حلــل الدكتور بكري شيخ أمين بعض الأحاديث النبوية تحليـــلا أديبــا يقــوم علــى دراســة المعنى و المبـــنى في كتابــه " **أدب الحديــث النبــوي** " فقــرب الحديــث إلى مفــهوم الأدب.

و الواقع أن النـــبي عليــه الصــلاة و الســلام ليــس أديبــا يتوخــى الخلابــة و الإعجاب و إن كان في بعض كلامه مــا يخلــب و يعجــب ، لأن الأديــب وظيفتــه محدودة و هو فنان مطبوع أو متكلف تهمــه الوظيفــة الجماليــة للغــة حينمــا يكتــب أو يخطب فيكثر من الصور البيانية و المحسنات البديعيـــة و يتكلــف الســجع و يركــب الخيال المجنح و سجع الكهان كان معروفا و محفوظا عــن طريــق الروايــة قبــل عصــر النبوة و كان النبي عليه الصلاة و السلام يبغضــه و أصحــاب الــذوق أيضــا يبغضونــه فأتى كلامه عليه الصلاة و السلام عاديا طبيعيا ، لأنه ليس فنانـــا أو أديبــا و إنمــا هــو معلم ومرب يهمه المعنى أكثر مما يهمه اللفظ ، و إن كان لابد للمعــنى مــن لفــظ فــهو إذن على مقاسه لا ضيقا و لا فضفاضا . و لو كـــان النــبي عليــه الصــلاة و الســلام مهتما بتخليد ألفاظه و تحفيظ أحاديثه لأمر بالكتابة عنه و لكنه نهــى عــن كتابــة غــير القرآن الكريم ، و أمر من كتب شيئا عنه غير القرآن أن يمحـــوه . و مــع ذلــك فقــد كانت أحاديثه لوحازتهــا و قيمتــها الحيويــة بــذرة في الصــدور و نبتــة في الســلوك و حرص الرواة المدققون في زمن الحفظ على القول النبــوي بلفظــه تبركــا بمــا خــرج من فم النبوة فحفظوا و حافظوا و لم يكتبوه حــتى بدايــة عصــر التدويــن ، و كــانت النصوص النبوية مقدسة تؤدي رسالتها الدينية و لذلك اهتم بهـــا المفســرون و الوعــاظ و تركها الأدباء الذين يجمعون في تصانيفــهم كــلام المولديــن و المغنــين و أصحــاب

الصنعة و الأدب له قواعده التي تحرره من قيمة الصدق و الحقيقة و الالتزام لهذا يصعب من حيث المعنى و المبنى اعتبار الحديث النبوي جزءا من الأدب العام و يصعب كذلك اعتباره أدبا شعبيا شفهيا رغم أنه أكثر شعبية و شفاهية من أي أدب شعبي بمتواتره و آحاده إلا من باب المسامحة باعتباره يتوج الأدب ، فهو من هذا الاعتبار منتهى الأدب و غاية الطلب .

إن الحديث النبوي قد وضع اللسان العربي في الاستعمال الميسر المباشر المبسط والتداول الواسع ليسهل على الناس فهم الرسالة كما أنه يقدم أسس الخطاب الاجتماعي التربوي المهذب ، فقد أخرج اللسان العربي من الصنعة إلى الطبيعة و من البداوة إلى الحضارة و من الصعوبة إلى السهولة و من التمنع إلى السيولة .

و إذا كانت القواعد البلاغية كلها ممثلة عبر الأحاديث النبوية و من بينها الصور البيانية كالتشبيه و الكناية و التورية . و كذلك المحسنات البديعية المعنوية و اللفظية كالطباق و المقابلة و الجناس و السجع فذلك قد أتى بدون تكلف و بقصد البيان ، و يعلق العقاد على توظيف النبي عليه الصلاة و السلام للبديع بقوله : " **و كان عليه الصلاة و السلام يكره سجع الكهان الذين يخدعون به السامع ليوهموه أنه يستمع إلى طلاسم السحرة و الشياطين** ، و لكنه **لم يكن يأبى السجع بتة** ، و لا يخلو **كلامه من سجع يأتي على السجية** . و يغلب أن يكون **ذلك فيما يرتل علانية كالآذان و ما هو في حكمه** ، أو فيما يحفظ من الوصايا الجامعة ، و مذهبه في **هذه الحلية اللطيفة مذهبه في كل حلية تليق بالرجل فحولة في القول و فحولة في الزينة** ، فسجعه عليه السلام كحلية الذهب التي يليق بالرجل أن يتحلى بها ، و لا مزيد "[1].

---

(1) عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، ص 76 .

و أدعو القارئ الكريم إلى مطالعة المئة و الخمسة و عشرين حديثا الملحقة بهذه الدراسة التي اتفق الرواة المدققون كلهم على أن النبي قد قالها . و سيتبين من خلالها أن الصور البيانية و المحسنات البديعية جاءت مرشوشة من حين لآخر عندما تقتضي ضرورة التبيين زيادة البيان و الاستعانة بالوسائل اللفظية التي تؤثر في المخاطب بالفهم و تدفعه للاستجابة . و لم تأت من أجل استعراض القدرة البلاغية و التزويق ، و سأكتفي من ذلك بمثالين اثنين .

المثال الأول قوله عليه الصلاة و السلام و هو ينهى الناس عن العودة أو التراجع في الصدقة و هو يخاطب عمر بن الخطاب قائلا : " **لا تشتره ، و لا تعد في صدقتك ، و إن أعطاكه بدرهم فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه** " [1]

فوجه الشبه هنا مقزز تنفر منه الطباع السليمة و تعافه الفطر السوية و قد اختار النبي عليه الصلاة و السلام هذا التشبيه للتنفير من العودة في الصدقة و لو بطريق الشراء غلا أو رخص لأن ذلك يفضي إلى إبطال الأعمال و نقض الصدقة عندما يكون القلب متعلقا بالمتصدق به نوعا من التعلق ، فلم يكتف النبي بالنهي عن شراء المتصدق صدقته ليمتلكها من جديد بل أراد أن يقتلع جذور هذه الرغبة عن النفس بتمثيلها تمثيلا يلفظه القلب ، و ترفضه النفس و هناك أيضا نص يشبه هذا النص بزيادة كلمة في التشبيه بدلته تماما و ذلك لاختلاف الموضوع و الموضع فالموضوع في النص الثاني هو الهبة لا الصدقة قال عليه الصلاة و السلام : " **العائد في هبته كالكلب يقيئ ثم يعود في قيئه** ".[2]

فهذا التشبيه أكثر بشاعة و تنفيرا من التشبيه الأول ، لأن العودة في الهبة أبشع و أشنع من العودة في الصدقة ،و عندما استخدم النبي هذا الأسلوب في التشبيه جعله بصيغة العموم و لم يوجهه إلى أحد حتى يمتنع المشبه عن الوجود و هو العائد في الهبة و بذلك تنتشر في المجتمع الهبة التي تثمر المودة . فالتشبيه يخدم الفعل الكلامي و قصدية الخطاب بزيادة البيان .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، رقم 1490 ، ج1 ، ص 445 ، و انظر في الملحق رقم 54 .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، رقم 2589 ، ج2 ، ص 782 ، و انظر في الملحق رقم 89 .

و المثال الثاني سأخصصه للمحسن اللفظي و هو الجناس الذي يتصيده البلغاء فيأتي في الأمثلة المتقطعة و قلما يأتي في الحديث اليومي العادي لندرته و تكلفه في الاستعمال إلا عند النبي عليه الصلاة و السلام كقوله : " **الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** " .[1] هذا الحديث مع كونه من جوامع الكلم فإن فيه الجناس الذي هو محسن بديعي صعب التحصيل لا يأتي لغير النبي إلا مع المكابدة و التكلف و نقل ابن حجر عن عياض قوله في هذا الحديث : " **في هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة و العذوبة ما لا مزيد عليه في الحسن ، مع الجناس السهل الذي بين الخيل و الخير** " [2] . إن خدمة المعنى حتى يكون مفهوما ،و المعني المخاطب به حتى يكون فاهما جعل البناء الفني بالتشبيه و الكناية أو المجاز أو الطباق و المقابلة أو السجع و الجناس و كل ذلك لأغراض بيانية لا تخطئها و لا تحيد عنها . و من هذا نقرر أن البلاغة إذا ما وعاها المتكلم فإنها ستؤدي له وظيفتها المشرقة في الخطاب و لن تكون معيارية .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد و السير ، رقم 2489 ، ج2 ، ص 881 ، و انظر في الملحق رقم 96 .
(2) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج6 ، ص 56 .

خاتمة الفصـــل :

تفحصنا في هذا الفصـــل الحديـــث النبـــوي كمـــا هـــو مـــدون في الصحـــاح من الناحية الشكلية النصانية ، و هو نفس البناء الشفهي اللفظي الـــذي روي بـــه علـــى وجه الدقة في منتهى التحقيق و التوثيـــق و إن فعـــل الروايـــة الرسميـــة الـــذي أســـس على مقتضاه السند يعتبر أثرا لسانيا تعليميا لأن الرواة جميعهم هم تلاميـــذ لمـــن فوقـــهم و أساتيذ لمن تحتهم ، و عبرهم تسرب الحديث النبـــوي محافظـــا علـــى هيكلـــه البنيـــوي الذي سمعه الصحابة من فـــم النـــبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام . إن ترســـيم الروايـــة و تركيب السند له دلالته اللسانية في تلقي النصـــوص مشـــافهة .

و وجدنا التراكيب النبوية فيـــها كـــل خصـــائص الخطـــاب العلمـــي و كـــل مواصفات الحياة من روح و حرارة وقوة تضمن لها الخلـــود و البقـــاء .

فقد وجدناها من جهة مكتنفة بقواعـــد التخـــاطب الأساســـية مـــن ملابســـات و مناسبات و أشخاص و أمـــاكن . إن الحديـــث النبـــوي في بنيتـــه التركيبيـــة نمـــوذج لفعل القول القائم على قصدية التواصل و تعدي الرسالة مـــن مخـــاطب إلى آخـــر كمـــا يتعدى النور من خلال النوافذ المختلفـــة ، عندمـــا نقـــرأ الحديـــث النبـــوي الصحيـــح بشكل كاف نحس بأن نافذة قد فتحت لنا يخاطبنا النبي عليـــه الصـــلاة و الســـلام مـــن خلالها مباشرة دون حواجز أو حجب ، و لذلـــك واصـــل الحديـــث النبـــوي حياتـــه جنبا إلى جنب مع القرآن الكـــريم .

و قد اطلعنا من خلال هذه الملابسات على القواعـــد الأساســـية الـــتي لابـــد أن يراعيها المتكلم أثناء أداء الخطـــاب العلمـــي إن الإنســـان لا يتكلـــم في فـــراغ و لا في ظلام ، و إنما في محيط يجعل الموضوع يناسب الموضع وهـــو مـــا يعـــبر عنـــه في البلاغـــة بمراعاة مقتضى الحـــال .

و عندما غصنا في كلام النبي عليه الصلاة و السلام وجدناه يتكون من مقاطع تتعاضد في أداء المعنى المقصود و لذلك صعب الفصل بين الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية لأن كلتيهما تنبع بالحياة و تشع بالنور و فيهما قوة الطلب . إن النص النبوي ليس مجرد بناء جملة أو تركيب بالمفهوم النحوي و إنما هو كائن حي بل إن النبي عليه الصلاة و السلام ما زال كائنا حيا يمارس سلطته الروحية و يخاطب السامعين أو القارئين و يبين لهم مسائل الأخلاق و الدين ، لأن التراكيب النبوية ليست جملا باردة أو عبارات جافة إنها الحديث النبوي .

و رأينا أن من خصائص التركيب في هذا البيان المشرق الإيجاز و حذف الفضول من الألفاظ مما سهل حفظه و رسوخه في الذاكرة عندما يقرع الأسماع لأول مرة و يرسخ عندما يتداول أكثر من مرة ؛ كما وجدناه خاليا من التصنع و ما جاء فيه من صور بيانية أو محسنات بديعية إنما جاء طبيعيا لكشف المعنى و زيادة البيان .

و هذه الأحاديث البسيطة في تراكيبها هي خير ما يستثمر في التطبيقين النحوي و الصرفي و في التحليل البلاغي و حتى في التعبيرين الشفهي و الكتابي لأنها من جوامع الكلم التي تسمح بالتفكير و التعبير في محورها .

إن التراكيب النبوية ليست من الأدب بمفهوم الأدب ، و لا من التراث بمفهوم التراث ، لأن الأدب صناعة و التراث قديم و تاريخي ، و هو هما من جانب و لكنه يخالفهما من جانب الاستعمال و التداول فهو خطاب بشري ابدي يقرع الأسماع و يحي القلوب يمشي جنبا إلى جنب مع القرآن .

الـــــخاتـــمـــة

عشت عاما كاملا مع هذا البحث أنظر فيما ثبت صدوره من فم النبي عليه الصلاة و السلام ، و وعته الصدور و السطور و اتفق الرواة على أنه من منطق النبي عليه الصلاة و السلام ، و حاولت الاستفادة من المناهج اللسانية الحديثة و خاصة المنهج البنيوي الذي طبقته على عينة من الأحاديث النبوية الشريفة المتواترة لفظا أو المتفق عليها من أقوال النبي عليه الصلاة و السلام ، و اتخذت مرجعيتي في هذه العينة من الأحاديث إلى كتاب مصابيح السنن فيما اتفق عليه رجال الصحيح و السنن للدكتور طالب عبد الرحمن الذي جمع فيه 227 حديثا صحيحا اتفق عليها الرواة الستة مضافا إليهم الإمام مالك سابعا .

و قد أغناني تخريجه عن الرجوع إلى هذه الدواوين كلها في العينة التي اخترتها من هذا الكتاب و عددها 125 حديثا فيها كلها قول النبي عليه الصلاة و السلام ،و أنا مطمئن إلى صحتها و الاتفاق عليها ، و لكني خرجتها من كتاب صحيح البخاري و فضلته على غيره لأن البخاري هو أصح صحيحا و أضبط لفظا و أقوى شروطا لتقوية الثقة بنسبة هذه الأقوال إلى الفم النبوي الشريف .

و قد درست في هذا البحث بعض هذه الأحاديث المتفق عليها من الناحية الصوتية و الإفرادية و التركيبية كما يتطلب موضوع البحث و منهجه و وجدت أن كل ناحية من هذه النواحي تساهم في القيام بدورها البياني المشرق في التعبير و الخطاب و تتعاضد كلها و تتعاون في تبليغ الرسالة إلى المخاطب الذي يجد نفسه منسجما لهذا البيان حسا و عقلا و عاطفة ، لأن إشكالية الغموض و ثقل الحديث و صعوبة التعبير و سوء الفهم تعود في الأساس إلى انطفاء نور البيان و انطماس ضوئه الذي يكون في النطق و الصوت أو في نوعية بعض المفردات أو في الإخلال التركيبي فإننا نستمع في كثير من الأحيان إلى من يتكلم كثيرا أو قليلا و لكنه لا يقول شيئا ، و نجد من لا يرغب المستمعون في حديثه ، و هذا عندما لا يحسن هذا الصنف من الناطقين توزيع الوحدات اللسانية على المعاني و لا يراعون

خصوصيتها و لا خصوصيتهم و لا خصوصية المخاطبين ، إن اللغة كالمال أو كالسلاح لابد من مراعاة التقنيات الألسنية لوضعها في المواضيع المناسبة بالمقادير الكافية في المواضع اللائقة .

و في أقوال النبي عليه الصلاة و السلام سنّة أخرى تتعلق بالاستعمال اللغوي و هي سنة حسن الخطاب العلمي الذي يعني البلاغ المبين الذي يستأنس به المخاطب مهما كان نوع الخطاب و المخاطب و البلاغ و البيان قد يكونان بوسائل أخرى غير لغوية لم أهتم بها كثيرا في هذه الدراسة إلا ما كان لها ارتباط بالممارسة اللسانية النبوية ، قد اخترت المنهج البنيوي لأنه يدرس الحالة اللغوية في الوضع و الاستعمال بناء على الملاحظة و التجربة و الاستنباط بعيدا عن المعايير المسبقة ، و لكن له حدودا قد وضعها لنفسه و هو أنه يدرس اللغة كما هي و يلغي كل الاعتبارات الخارجية التي تساهم في إنتاج الكلام ، و وجدت نفسي مضطرا لتجاوز هذا الشرط لأن النصوص الشفهية المسموعة تلتبس بها ملابسات تساهم في إحداثها و لها طبيعتها الخاصة ، و من هنا كان علي أن أحدد أولا هل أتعامل مع الحديث النبوي كنص أم كخطاب ؟ هل ألغي المشاهد و الصور و الروايات و التعليقات و الأمور الحسية أو أتعامل معها كما وردت في كتب السنة و في صحيح البخاري خاصة كما كانت تروى و تؤدى من قبل ، و كأنها قطعة حية تنمو و تعيش و تؤثر و فضلت الاختيار الثاني و بذلك أكون قد خرجت عن المنهج البنيوي الذي يركز على النص وحده إذا كنت أعني بالنص أقوال النبي عليه الصلاة و السلام وحدها ، أما إذا عنيت بالنص الحديث النبوي بأركانه الأربعة و ملابساته المختلفة كما هو مؤسس علميا فعند ذلك لم أخالف المنهج البنيوي . خاصة إذا راعينا خصوصية الحديث .

فإذا كانت البلاغة العربية القديمة تهتم بالنصوص شبه المغزولة كالشعر و الخطابة فإنه كانت تجري بين الناس أحاديث و مجاذبات كلامية يستأنسون بها في

أخبارهم و استخباراتهم و لكنها لم تكن تحظى بما يحظى به الخطاب الرسمي من رواية و تدوين إلا في القليل النادر . دون ما يحظى به الخطيب و الشاعر .

و لكن ممارسة النبي صلى الله عليه و سلم للكلام أعطت للحديث مصداقيته السلوكية و الأدبية في التربية و التعليم و الوعظ و التوجيه و السياسة و الاقتصاد لتصبح الأحاديث ليست مجرد قيل و قال ، و هذر و لغو ، و إنما هي كلام هادف مسؤول و من هنا ترسخ الحديث بمفهومه الاصطلاحي في حياة الناس و أثر أحاديثهم ، فأصبحوا يحبون المحادثة و المجالسة الهادفة و بذلك كثر سماعهم و حفظهم ، لقد أثر الحديث النبوي في حديث الناس قولا و سماعا و في حياتهم الدينية و الدنيوية و مازال تأثيره مستمرا .

كما أثر في اللغة ، فلم تعد لغة غوغائية ، بل تعلقت بالفكر و الدين فأفعمت بالعلم و الأخلاق ، فتوسعت ألفاظها و تهذبت تراكيبها فأهملت الكثير من ألفاظ الجاهليين و أساليبهم في التعبير و ارتبط اللسان العربي بالإسلام ارتباطا وثيقا كارتباط الروح بالجسد فمن أسلم شارف العربية و من تعرّب شارف الإسلام ، و من ابتعد عن أحدهما ابتعد ن كليهما و إذا قلت الإسلام فلا أعني به مجرد التدين و التعبد – كما يحاول بعضهم أن يحصره في أضيق دوائر الفهم- بل أعني به مفهومه الحقيقي الحضاري الواسع بما يشمله من النواحي اللسانية و الفكرية و الروحية و السلوكية التي تساهم في انتشال الإنسانية من وهاد الغوغائية والبهيمية إلى الأفاق المشرقة في مختلف مجالات الحياة .

إن إشراقة الحياة في هذه النصوص النبوية مصدرها البناء اللغوي الحي الذي يطفح بالبيان و يشع بالنور ، يقول القاضي عياض واصفا البناء اللغوي في البيان النبوي " **فجمع له ... صلى الله عليه و سلم قوة عارضة البادية و جزالتها و نصاعة ألفاظ الحاضرة ، و رونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري و قالت أم معبد في وصفها له ، حلو المنطق ، فصل**

لا نزر ، و لا هذر ، كأن منطقه خرزات تُظِمّنَ و كـــان جـهير الصـــوت ، حســـن النغمة صلى الله عليه و ســـلم " [1]

و مازالت هذه الثروة من البيـــان النبـــوي في الكتـــب الســـتة المعتمـــدة تنتظـــر أن تقرأ و تستقرأ في الدراسات اللغوية فليس لغة الأدباء و الشـــعراء بـــالأولى مـــن لغـــة النبي عليه الصلاة و السلام ، فكثير من هؤلاء الأدباء و الشعراء لهـــم نصـــوص مكتوبـــة و ليس لهم خطاب ، و إذا كان لبعض خطاب فهو لا يعـــدو أن يكـــون خطابـــا أدبيـــا أو خطابا متخصصا بلغة واحدة و أسلوب نمطي ، أما الخطـــاب النبـــوي فـــهو خطـــاب عالمي شـــامل للأخـــلاق و الاجتمـــاع و الاقتصـــاد و السياســـة و الســـلم و الحـــرب و التجارة ، و قراءة فهارس كتب الحديث تجعلنـــا نعجـــب لوجـــود الحديـــث النبـــوي في كل أبواب الفقه و لغة الأحكام و التشريع تختلـــف عـــن لغـــة الوعـــظ و الإرشـــاد و هكذا كان البيان الشامل في لغة النبي عليه الصـــلاة و الســـلام .

و إذا تكلمنا عن الخطاب العلمي فنقـــول أنـــه الخطـــاب الموضوعـــي المنـــهجي المتخصص سواء كان في الأدب أو العلوم الـــذي يراعـــي أحـــوال المخـــاطبين و أقـــدار عقولهم و يحرص على انتباههم و تعلقهم بوسائل بيانية لســـانية أو غـــير لســـانية و هـــذه الدراسة تفتح لكل متخصص فرصة الوصول إلى الســـنة النبويـــة اللســـانية في تخصصـــه سواء كان معلما ، أو مؤرخا أو عالمـــا في النفـــس و الاجتمـــاع أو مربيـــا أو سياســـيا أو اقتصاديا ، ابتداء من درجة الصـــوت إلى نوعيـــة الألفـــاظ و المفـــردات إلى أســـلوب التراكيب و الجمل لأن الخطاب إذا فقد صفة البيان في هـــذه الأركـــان الثلاثـــة اللغويـــة و في الملابسات غير اللغوية فقد صفته العلميـــة .

---

(1) القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ،ط1 عام 2001 ، ص 61 .

و لكل حقل من حقول المعرفة في الخطاب العلمي لغته الخاصة و بيانه المناسب ، و موضوعات الحديث النبوي المتنوعة تشهد على أنه ترك سنة أو حديثا في كل مجال و في كل حقل يتعلق به التشريع و اختلفت لغة النبي و أسلوبه باختلاف الحقول المعرفية باستعمال الألفاظ الدالة على الموضوع بما يشبه المصطلحات التي تعتبر لغة للمختصين في ذلك الحقل المعرفي . و لو نهض باحث ليجمع لنا قاموسا موضوعيا لألفاظ الحديث النبوي الشريف كان بلا شك يرتبه على حسب الحقول الدلالية الفقهية كما هو الشأن في جمع المادة الحديثية .

إن أية لغة لا يمكن أن تبقى و ترقى إلا بواسطة الاستعمال السليم و الخطاب المبين بحيث تكون هذه اللغة فعلا أداة تعبير و وسيلة اتصال و تبقى تواصل ذلك البقاء و الارتقاء إذا توفرت على شروطها في خصائص الوضع و خصائص الاستعمال ،و قد توفر ذلك بالتمام و الكمال في البيان النبوي فبالإضافة إلى خصائص اللسان العربي في الصوت و الإفراد و التركيب المشبعة بالمعاني و المشعة بالدلالات من خلال أشكال المباني انطلاقا من الحرف و وصولا إلى الجملة الذي يمثل البنية السطحية للبيان النبوي ، فقد توفرت له خصائص الاستعمال الذي تمثل بنيته العميقة :<< إن البنية العميقة و إن لم تكن ظاهرة في الكلام ، هي إلى حد كبير أساسية لتفهمه و لإعطائه التفسير الدلالي و مما لا شك فيه أن هذه البنية ضمنية ، و تتمثل في ذهن المتكلم – المستمع فهي حقيقة عقلية قائمة ، يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكون البنية السطحية من هنا ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية ، أي أنها تحدد تفسير الجمل الدلالي ، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة و تحدد تفسير الجمل من الناحية الصوتية ، و يتخذ التمييز بين البنية العميقة و بين البنية السطحية أهمية قصوى في التحليل الألسني >> .[1]

---

(1) د.ميشال زكريا ، الألسنية التحويلية و قواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1982 ، ص 164 .

و هذه البنية السطحية هي بنية نحوية يختارها المتكلم أساسا للبنية العميقة للكلام من خلال التقديم و التأخير و حذف كلمة أو زيادة أخرى أو اختيار كلمة بدل أخرى بحسب ما يقتضيه البيان . و لهذا كان إعجاز القرآن الكريم اللغوي في بنيته العميقة فمن الناحية النحوية نجد القرآن الكريم يوافق قواعد النحو العربي ، و لكن السر في ذلك النظم المدقق في تحديد الأصوات و توزيع المفردات في السياق بما يوافق الغرض و يحقق الحكمة بحيث لا يترك مجالا للاحتمال أو فرصة للاختيار << **و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** >> و هذا هو الإعجاز أما البيان النبوي فيتعلق بالاستعمال و الاختيار بحسب ما تقتضيه البنية العميقة للكلام التي هي في ذهن المتكلم لتؤثر في إدراك السامع ، و لما كان الحديث النبوي كلاما بشريا كثر الاختلاف فيه ، فاختلفت الروايات بالزيادة و النقصان و وصل الأمر إلى حد التعبير عن مقالة النبي بعبارة الراوي و هو ما يسمى الرواية بالمعنى ، لأن الهدف الأساسي من الكلام هو المعنى في إدراك السامع إلا إذا كانت قوى التعبير البيانية كلها متعاضدة و متجسدة في البنية العميقة للخطاب . و قد قمت بمقارنة بعض هذه الروايات المختلفة في تحليل الخصائص الإفرادية ، و بينت أنه لا يمكن أن تكون هذه المرويات كلها من ملفوظ النبي عليه الصلاة و السلام و لابد من ترجيح و مقاربة و توصلت من خلال هذا البحث إلى نتيجتين عامتين هما :

الأولى : أن اللسان العربي له خصوصيات في الوضع تطفح بها حروفه و مفرداته و تراكيبه ،و قد ظهرت حقيقة هذه الخصوصيات و قيمتها التعبيرية البيانية في النظم القرآني المعجز .

الثانية : أن حسن استغلال هذه الخصائص و استعمالها الموفق في الكلام هو الذي يعطي للغة إشراقها البياني و فعاليتها التعبيرية و هو ما يسمى بالحبكة الفنية أو البناء اللغوي الرصين ، و تختلف قدرات المتكلمين و تتفاوت طاقاتهم البنائية اللغوية . و على قدر ارتقاء هذا الاستعمال تعيش اللغة و تؤدي وظائفها المختلفة ، و يعتبر

الحديث النبوي أرقى صور الممارسة التعبيرية البيانية للسان العربي ، كما يعتبر نموذجا حيا للسلوك اللغوي الذي يحسن استخدام اللغة أثناء التعبير .

صحيح أن اللغة أوسع من الكلام لأنها ملك اجتماعي و إرث تاريخي أو حضاري لا دخل للفرد في إيجادها ، و لكن الكلام هو الذي ينهض بها أو يهبط هو الذي يحافظ على خصائصها الذاتية المتأصلة فيها أو يشذ عنها . و كل لغة تنحط في الاستعمال أو تنكمش تنزوي من الواقع الشعبي و تتحول إلى لغة تاريخية مثلها مثل الآثار تنطق بالقدم و تصارع العدم و تكون في الأوراق موجودة و لكنها في الحياة مفقودة و لو كانت لغة علم أو تخصص أو نخبة لأن اللغة ظاهرة اجتماعية ذات استخدامات في الأغراض الفردية العامة المختلفة و كثيرا ما يكون للاستخدام الفردي الراقي للغة الذي يشغف به المجتمع دور كبير في تنشيطها و تفعليها. كما توصلت إلى استنباط بعض الأسس اللسانية البيانية في الحديث النبوي يمكن أن تعتبر قواعد و قوانين و سننا تتبع و تطبق و من أهم هذه القواعد البيانية في التعبير النبوي .

أولا : الخصائص الصوتية :

1- تحكم النبي عليه الصلاة و السلام في الاستعمال الصوتي أثناء عملية التلفظ بحيث لا يزيد و لا ينقص عن الحاجة فيرفع صوته أحيانا وَ يَخْفِضُهُ أحيانا و يسكت أثناء الكلام أحيانا و يكرر عبارات بعينها أحيانا و كل ذلك لأغراض بيانية تساعد تلك التصرفات الصوتية في تحقيقها .

2- إن اللغة من أهم وسائل التعبير و هي **سمعية بصرية** و البيان النبوي يراعي التجانس و التناسب و التناسق بين هذين الجانبين العضويين المهمين في عملية التواصل بحيث يستخدم الإشارات و تقاسيم الوجه و أعراض الانفعالات النفسية و الملامح لمعاضدة ألفاظ اللغة الصوتية أثناء الكلام للبيان عن المعنى المراد ، و قد طفحت به بنية الحديث النبوي الروائية و التبست به.

3- إن السكوت الجزئي أو الكلي هو قسيم النطق و هو عبارة عن بيان بالصمت أو اقتصاد في الجهد النطقي و السمعي عندما يكون المقام يقتضيه.و قد علمنا أن البيان النبوي يقوم ثلث منه فقط على التلفظ و التكلم على النحو التالي :

السنة القولية	بيان باللفظ و الصوت
السنة العملية	بيان بالسلوك و العمل
السنة التقريرية	بيان بالسكوت و الإقرار

4- إن للصوت اللغوي ضوابط أخلاقية و تعبيرية بواسطة التحكم في الجهر و الخفوت و التنغيم فالحبال الصوتية كأوتار العود يوقع بالوتر الواحد أنغاما مختلفة فالنبر و التنغيم و الجهر و الخفوت من الوسائل الصوتية المهمة في البيان النبوي الشريف و قد سجل ذلك كله الرواة في بنية الحديث الشريف .

5- هناك جانب آخر خلقي في البيان الصوتي و هو سلامة المخارج و صفاء الصوت و قد جعل الله لكل إنسان صوته الخاص الذي يتعرف به السامع عليه فأصوات الصبيان كثيرة و كلما مر الإنسان بأطوار الحياة مر صوته أيضا بأطوار الصوت حتى إذا شاخ شاخ معه صوته .

و قد وجدنا انبهار المستمعين و انجذابهم إلى النبي عليه الصلاة و السلام و هو يتكلم قد سمعوا صوته و رأوا صورته . و هذا هو الجزء البياني الوحيد الذي لا يستطاع تشخيصه إلا من خلال السمع ، فلا شك أن صوت النبي عليه الصلاة و السلام كان محببا و مليبا بالعواطف و الجمال.

ثانيا : الخصائص الإفرادية

1- تواتر أسماء الله الحسنى ، و ارتباط اسم النبي بها ، لأن الله قد رفع ذكره .

2- تغير جذري لأسماء الأعلام الجاهلية ، و كان النبي نفسه يساهم في عملية التسمية و التلقيب وفق مقتضيات الدين الجديد .

3- ارتبطت أسماء الصحابة و التابعين و تابعيهم من الرواة بالبيان النبوي في شكل متسلسل إلى عصر التدوين يمثلون أوعية العلم و أعلام التعليم و طريق الرواية الرسمية المأمونة المضمونة للحديث النبوي.

4- تجددت ألفاظ اللغة فتهذبت و تحضرت و تخلت عن كثير من ألفاظ الجاهلية و نشط استعمال بعض الألفاظ التي كانت مهملة في الجاهلية كالصلاة و الزكاة و الحج و غيرها من مفردات الدين الإسلامي .

5- خلو الحديث النبوي من المفردات النابية أو الغريبة

ثالثا : الخصائص التركيبية

1- إن كلام النبي عليه السلام -كأي كلام- لم يصدر في فراغ و إنما هو ملىء بالملابسات الحسية و المعنوية المؤثرة في بنيته اللغوية.

2- تواتر الجملة الاسمية أكثر من الفعلية لخصوصية الجملة الاسمية في الدلالة عن الأخبار و الحقائق الثابتة .

3- كثرة الجمل الكبرى التي تتركب من عدة جمل صغرى لانسياب العبارة و استيفائها لعناصر البيان اللفظية اللازمة .

4- تتميز الجمل النبوية بتنويع الصياغة و تلوين الخطاب و براعة التصريف بحيث مع تعدد إمكانات التصرف و التوزيع لوحدات الكلام فإن الصياغة النبوية أبين و أحسن .

5- تنوع الأساليب و تعاضدها في الحديث الواحد بحيث يندر أن يجيء الكلام مباشرا بأسلوب واحد و خاصة في الخبر و الإنشاء.

6- تطفح التراكيب بروح الخطاب و حياة النص و حيوية التكلم و وفرة البيان مما يضمن لها الحضور و المرور عبر الزمن .

7- كثرة أسلوب الشرط لإثارة العوامل النفسية بواسطة الترغيب و الترهيب قصد مساهمة العامل الإنساني النفسي في الاستجابة لمقتضيات الخطاب كوسيلة من وسائل البيان .

8- استخدام التعبير الفني بواسطة التشبيه أو الاستعارة قصد البيان و التبليغ و ليس من أجل التنميق اللفظي ، فالبلاغة النبوية وظيفية و ليست جمالية فحسب .

9- سمة الإيجاز هي أهم خصائص التركيب في الحديث النبوي و يكثر فيه الحذف لبعض عناصر الكلام اللفظية إيثارا للإيجاز و اعتبارا للحال المشاهدة التي يقع بها الحدث الكلامي ، و تعتبر كالعنصر من عناصر الكلام تسوغ الحذف و تبرره من أجل البيان بالإيجاز .

10- تعتبر النصوص الحديثية ثروة لغوية غير مستثمرة كما ينبغي في التطبيقين النحوي و البلاغي و التعبيرين الشفهي و الكتابي بمقارنة الروايات و مقاربة التعبير ، كما تعتبر نماذج مثالية للخطاب العلمي القائم على أسس البيان .

و أخيرا ، فإن الحاجة ماسة إلى تكوين فكر بياني و فلسفة لغوية في مجال الخطاب ، لتكوين الملكة البيانية لكل الذين تفرض عليهم الظروف استخدام اللسان و توظيفه في العمل أو المعاملة حتى تتحسن العلاقة الإنسانية و تتحقق الأغراض الكلامية ، و إن الحديث النبوي نموذج يزخر بالأسس و القوانين البيانية التي تتطلبها اللغة أثناء الحديث و يساهم في تنشيط الفكر البياني المطلوب .

المكتبة المركزية

الملحق

أولا : الأحاديث القولية المتفق عليها برواية البخاري .

1- حدثنا اسماعيل قال : حدثني مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد يقول :
جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من أهل نجد : ثائر الرأس يسمع دوي صوته و لا يفقه ما يقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " خمس صلوات في اليوم و الليلة " فقال : " هل علي غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " و صيام رمضان ، قال : هل علي غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال و ذكر له رسول الله صلى الله عليه و سلم الزكاة ، قال : هل علي غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال فأدبر الرجل و هو يقول : و الله لا أزيد على هذا و لا أنقص ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " أفلح إن صدق " .

2- حدثنا إسماعيل قال : حدثنا مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من قام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " .

3- حدثنا علي بن الجعد قال : أخبرنا شعبة عن أبي حمزة قال : كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين ، ثم قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من القوم أو من الوفد ؟ قالوا : ربيعة ، قال : مرحبا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا و لا ندامى ، فقالوا : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، و بيننا و بينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل ، نخبر به من وراءنا و ندخل به الجنة . و سألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع و نهاهم عن أربع . أمرهم بالإيمان بالله وحده . قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، و إقام

الصلاة و إيتاء الزكاة ، و صيام رمضان ، و أن تعطوا من المغنم الخمس ، و نهاهم عن أربع : عن الحنتم و الدباء و النقير و المزفّت ، و ربما قال : المقير ، و قال : " احفظوهن و أخبروا بهن من وراءكم " .

4- حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم : " قال الإيمان بضع وستون شعبة ، و الحياء شعبة من الإيمان".

5- حدثنا محمد بن المثنّى ، حدثنا يحي عن هشام قال : أخبرني أبي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها و عندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة تذكر من صلاتها قال : مَهْ ، عليكم بما تطيقون فو الله لا يملُّ الله حتى تملّوا و كان أحبّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .

6- حدثنا مسدّد قال : حدثنا أبو عوانة عن أبي بشير عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال : تخلّف رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر سافرناه فأدركنا و قد أرهقنا الصلاة ، صلاة العصر و نحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : " و يل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاثا .

7- حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا وهيب قال : حدثنا هشام عن فاطمة عن أسماء قالت : أتيت عائشة و هي تصلي فقلت : ما شأن الناس ؟ فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام ، فقالت : سبحان الله ، قلت : آية ؟ فأشارت برأسها - أي نعم - فقمت حتى تجلاّني الغشي فجعلت أصب على رأسي الماء فحمد النبي صلى الله عليه و سلم الله عز و جل و أثنى عليه ثم قال :" ما من شيء لم أكن أريته إلاّ رأيته في مقامي حتى الجنة و النار ، فأوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل - أو قريب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء ، من فتنة المسيح الدجّال، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري بأيهما قالت أسماء

فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات و الهدى فأجبنا و اتبعنا هو محمد ثلاثا . فيقال : نم صالحا ، قد علمنا إن كنت لموقنا به . و أما المنافق أو المرتاب – لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته .

8- حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود قال : قال لي ابن الزبير : كانت عائشة تسر إليك كثيرا فما حدثتك في الكعبة ؟ قلت : قالت لي : قال النبي صلى الله عليه و سلم : يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم – قال ابن الزبير – بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين ، باب يدخل الناس و باب يخرجون " ففعله ابن الزبير .

9- حدثنا آدم قال ، حدثنا ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم ،و عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم أن رجلا سأله: ما يلبس المحرم ؟ فقال : لا يلبس القميص ، و لا العمامة و لا السراويل و لا البرنس ، و لا ثوبا مسه الورس أو الزعفران ، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين و ليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين .

10- حدثنا آدم قال : حدثنا ابن أبي ذئب قال : حدثنا الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة و لا يولها ظهره ، شرقوا أو غربوا " .

11- حدثنا أحمد بن محمد المكي قال : حدثنا عمرو بن يحي بن سعيد بن عمرو المكي عن جده عن أبي هريرة قال :
اتبعت النبي صلى الله عليه و سلم و خرج لحاجته فكان لا يلتفت فدنوت منه فقال : " أبغني أحجارا أستنفض بها – أو نحوه – و لا تأتني بعظم ، و لا روث " فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه و أعرضت عنه ، فلما قضى أتبعه بهن .

12- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن ابي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ثم لينثر ، و من استجمر فليوتر ، و إذا استيقظ أحدكم من نومه فَلْيَغْسِلْ يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده " .

- 13 حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم " دعوه و هريقوا على بوله سجلا من ماء - أو ذنوبا من ماء- فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين ".

14- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم المؤمنين أنها قالت : جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نعم ، إذا رأت الماء .

15- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه و سلم : يا رسول الله إني لا أطهر أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إنما ذلك عرق و ليس بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة ، فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم و صلي " .

16- حدثنا سعيد بن أبي مريم قال : أخبرنا محمد بن جعفر قال : أخبرني زيد - هو ابن أسلم - عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في أضحى - أو فطر - إلى المصلى فمر على النساء فقال : " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار " ، فقلن :و بم يا رسول الله ؟ قال : " تكثرن اللعن و تكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل

و دين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " قلن : و ما نقصان ديننا و عقلنا يا رسول الله ؟ فقال : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم ؟ قلن : بلى قال : فذلك من نقصان دينها .

17- حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت :
خرجنا مع النبي صلى الله عليه و سلم لا نذكر إلا الحج ، فلما جئنا سرف طمثت فدخل علي النبي صلى الله عليه و سلم و أنا أبكي فقال : ما يبكيك ؟ قلت : لوددت و الله أني لم أحج هذا العام ، قال : لعلك نفست ؟ قلت : نعم ، قال : فإنما ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم فافعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري .

18- حدثنا عثمان ، قال حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : قال عبد الله ، صلى النبي صلى الله عليه و سلم – قال إبراهيم – لا أدري زاد أو نقص فلما سلم قيل له : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : و ما ذاك ؟قالوا : صليت كذا و كذا فثنى رجليه و استقبل القبلة و سجد سجدتين ثم سلم ثم اقبل علينا بوجهه قال : " إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ، و لكن إنما أنا بشر مثلكم ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني و إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ، ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين .
19- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن عاصم بن عبد الله بن النذير عن عمرو بن سليم الزرقي ، عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

20- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن بسر بن سعيد أن زيد بن خالد أَرْسَلَهُ إلى أبي جهيم يسأله ماذا سمع

من رسول الله صلى الله عليه و سلم في المارّ بين يدي المصلي ؟ فقال أبو جهيم : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمرّ بين يديه قال أبو النضر : لا أدري أقال أربعين يوما أو شهرا أو سنة .

21- حدثنا أبو نعيم و موسى بن إسماعيل قالا : حدثنا همّام عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك ، " و أقم الصلاة لذكري " قال موسى : قال همّام : سمعته يقول بعد " و أقم الصلاة لذكري " .

22- حدّثنا مسدد قال حدثنا يحي عن سعيد عن هشام قال : أخبرني أبي قال ... و قال : حدثني ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إذا طلع حاجب الشمس فأخرّوا الصلاة حتى ترفع ، و إذا غاب حاجب الشمس فأخرّوا الصلاة حتى تغيب .

23- حدثنا محمود بن غيلان قال : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال :أخبرني نافع أن ابن عمر كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى بها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ،و قال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر ألا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يا بلال قم فناد بالصلاة " .

24- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن " .

25- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " لو يعلم الناس ما في النداء و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ،و لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه و لو يعلمون ما في العتمة و الصبح لأتوهما و لو حبوا " .

26- حدثنا عمر بن حفص بن غياث قال : حدثني أبي قال حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال الأسود :

كنا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المواظبة على الصلاة و التعظيم لها قالت : لما مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس " فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، و أعاد فأعادوا له فعاد الثالثة فقال : " إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس " فخرج أبو بكر فصلى فوجد النبي صلى الله عليه و سلم من نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه و سلم أن مكانك ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه .

قيل للأعمش ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي و أبو بكر يصلي بصلاته و الناس يصلون بصلاة أبي بكر فقال برأسه : نعم .

27- حدثنا مسدد قال : حدثنا يحي عن هشام قال حدثني أبي قال : سمعت عائشة تقول أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

" إذا وضع العشاء و أقيمت الصلاة ، فابدؤوا بالعشاء " .

28- حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال : حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : " إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا

كبّر فكبروا ، و إذا ركع فاركعوا ، و إذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا ربنا و لك الحمد ، و إذا سجد فاسجدوا ، و إذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون".

29- حدثنا محمد بن مقاتل قال : أخبرنا عبد الله قال : أخبرنا يونس عن الزهري: أخبرني سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال " رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه و كان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، و يفعل ذلك إذا رفع رأسه من الركوع و يقول : " سمع الله لمن حمده " . و لا يفعل ذلك في السجود .

30- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إذا قال أحدكم آمين ، و قالت الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه " .

31- حدثنا مسدد قال : حدثنا يحي عن الأعمش حدثني شقيق عن عبد الله قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده السلام على فلان و فلان ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : " لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام و لكن قولوا : التحيات لله و الصلوات و الطيبات ، السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته السلام علينا و على عباد الله الصالحين .فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء – أو بين السماء و الأرض – أشهد أن لا إله إلا الله و اشهد أن محمدا عبده و رسوله ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو .

32- حدثنا محمد بن أبي بكر قال : حدثنا معتمر عن عبيد الله عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا و النعيم المقيم ، يصلون

كما نصلي و يصومون كما نصوم ، و لهم فضل من أمـــوال يحجـــون بهـــا و يعتمـــرون و يجاهدون و يتصدقون فقـــال :

" ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من ســـبقكم ، و لم يدرككـــم أحـــد بعدكـــم و كنتم خير من بين ظهرانيه إلا من عمـــل مثلـــه ؟ تســـبحون و تحمـــدون و تكـــبرون خلف كل صلاة ثلاثا و ثلاثين " فاختلفنا بيننا فقال بعضنـــا : نســـبح ثلاثـــا و ثلاثـــين و نحمد ثلاثا وثلاثين و نكبر أربعا و ثلاثين ، فرجعت إليـــه فقـــال :

" تقول سبحان الله ،و الحمد لله ،والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا و ثلاثين".

33- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن ابي الزنـــاد عـــن الأعـــرج عـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و ســـلم قـــال :

" لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس – لأمرتهم بالسواك مـــع كـــل صـــلاة . "

34- حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن سمي مـــولى أبي بكـــر بـــن عبـــد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضـــي الله عنـــه أن رســـول الله صلـــى الله عليه و سلم قـــال :

" من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابـــة ثم راح ، فكأنمـــا قـــرب بدنـــة ، و مـــن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، و من راح في الســـاعة الثالثـــة فكأنمـــا قـــرب كبشـــا أقرن ، و من راح في الساعة الرابعة فكأنمـــا قـــرب دجاجـــة ، و مـــن راح في الســـاعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكـــة يســـتمعون الذكـــر".

35- حدثني يحي بن بكير قال : حدثنا الليث عـــن عقيـــل عـــن ابـــن شـــهاب قـــال : أخبرني سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة أخبره أن رســـول الله صلـــى الله عليـــه و ســـلم قال : " إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت – و الإمام يخطـــب – فقـــد لغـــوت ".

36- حدثنا عبد الله بن مسلمة عم مـــالك ، عـــن أبي الزنـــاد عـــن الأعـــرج عـــن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر يوم الجمعـــة فقـــال :

" فيه ساعة ، لا يوافقها عبد مسلم ، و هو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه ... " و أشار بيده يقللها .

37- حدثنا حجاج قال : حدثنا شعبة قال : أخبرني زبيد قال سمعت الشعبي عن البراء قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يخطب فقال :
" إن أول ما نبدأ به من يومنا هذا أن نصلي ، ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا ".

38- حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت :
خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالناس فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام و هو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع ، و هو دون الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ثم فعل في الركعة الثانية ، مثل ما فعل في الأولى ثم انصرف و قد انجلت الشمس فخطب الناس ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال :
" إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، و كبروا و صلوا و تصدقوا ثم قال : يا أمة محمد و الله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته . يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا " .
39- حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا وهيب عن أيوب و عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
" اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ، و لا تتخذوها قبورا " .

40- حدثنا علي حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم ، و المسجد الأقصى " .

41- حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:"بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم أن بني عمرو بن عوف بقباء كان بينهم شيء فخرج يصلح بينهم في أناس من أصحابه فحبس رسول الله صلى الله عليه و سلم و حانت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عهما فقال : با أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حبس و قد حانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس؟ قال : نعم إن شئت ، فأقام بلال الصلاة ، و تقدم أبو بكر رضي الله عنه فكبر للناس ، و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشي في الصفوف يشقها شقا حتى قام في الصف ، فأخذ الناس في التصفيح ، قال سهل التصفيح هو التصفيق قال : و كان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في صلاته ،فلما أكثر الناس التفت فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأشار إليه يأمره أن يصلي ، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده فحمد الله ثم رجع القهقرى وراءه ، حتى قام في الصف و تقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلى للناس،فلما فرغ أقبل على الناس فقال :"يا أيها الناس ، مالكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم بالتصفيح ؟ إنما التصفيح للنساء من نابه شيء في صلاته فليقل : سبحان الله . ثم التفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : " يا أبا بكر ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت إليك ؟" ، قال أبو بكر : ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم " .

42 – حدثنا محمد بن عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عن محمد عن أم عطية رضي الله عنها قالت :

دخل علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن نغسل ابنته فقال : " اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك بماء و سدر و اجعلن في الأخيرة كافورا ، فإذا فرغتن فآذنني " فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوه فقال : أشعرنها إياه

43- حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إذا رأى أحدكم الجنازة فإن لم يكن ماشيا معها فليقم حتى يخلفها أو تخلفه أو توضع من قبل أن تخلفه ".

44- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال : حفظناه من الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها ، و إن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم " .

45- حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا عبد الواحد حدثنا الشيباني عن عامر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بقبر قد دفن ليلا فقال : " متى دفن هذا ؟ قالوا : البارحة ، قال : أفلا آذنتموني " قالوا : دفناه في ظلمة الليل ، فكرهنا أن نوقظك ، فقام فصففنا خلفه ، قال ابن عباس : و أنا فيهم فصلى عليه " .

46- حدثنا عثمان قال حدثني جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه و سلم فقعد و قعدنا حوله و معه مخصرة ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : " ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة ، إلا كتب مكانها من الجنة و النار و إلا قد كتب : شقية أو سعيدة " .

فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، و أما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة .

قال : " أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة ، و أما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة . ثم قرأ : " فأما من أعطى و اتقى " الآية " .

47- حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرني هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه و سلم : إن أمي افتلتت نفسها ، و أظنها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال: نعم.

48- حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن قبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : " إني فرط لكم ، و أنا شهيد عليكم ، و إني و الله لأنظر إلى حوضي الآن و إني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض ، و إني و الله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، و لكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها " .

49- حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا أيوب بن موسى قال : أخبرني حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة قالت : لما جاء نعي ابي سفيان من الشام ، دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث ، فمسحت عارضيها و ذراعيها و قالت : إني كنت عن هذا لغنية لولا أني سمعت النبي يقول :
" لا يحل لامرأة تؤمن بالله و اليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ، فإنها تحد عليه أربعة أشهر و عشرا " .

50- حدثني علي بن عبد الله : حدثنا هاشم بن القاسم : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من آتاه الله مالا ، فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزميه ، يعني شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : " و لا يحسبن الذين يبخلون .. ".

51- حدثنا اسحق بن يزيد : أخبرنا شعيب بن اسحق قال الأوزاعي أخبرني يحي بن أبي كثير أن عمرو بن يحي بن عمارة أخبره عن أبيه يحي بن عمارة بن أبي الحسن أنه سمع أبا سعيد رضي الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه و سلم : " ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، و ليس فيما دون خمس ذود صدقة ، و ليس فيما دون خمس أوسق صدقة " .

52- حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عاصم النبيل أخبرنا سعدان بن بشر حدثنا أبو مجاهد حدثنا محل بن خليفة الطائي قال : سمعت عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول :

كنت عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة و الآخر يشكو قطع السبيل فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

" أما قطع السبيل : فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير نفير و أما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه و بينه حجاب ،ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالا ؟ فليقولن بلى ، ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولا ؟ فليقولن : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار و لو بشق تمرة ، فإن م يجد فبكلمة طيبة " .

53- حدثنا مسدد حدثنا يحي بن سعيد عن خثيم بن عراك قال حدثني أبي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم ، حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب بن خالد حدثنا خثيم بن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : : ليس على المسلم صدقة في عبده و لا فرسه " .

54- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول :

حملت على فرس في سبيل الله ، فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه و ظننت أنه يبيعه برخص فسألت النبي صلى الله عليه و سلم فقال :

" لا تشتره ، و لا تعد في صدقتك ، و إن أعطاكه بدرهم ، فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه " .

55- حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا عبد الله بن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه و سلم قال : " فيما سقت السماء و العيون أو كان عثريا ، العشر ، و ما سقي بالنضح نصف العشر " .

56- حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال : حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :
" ليس المسكين الذي يطوف على الناس ، ترده اللقمة و اللقمتان و التمرة و التمرتان ، و لكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه و لا يفطن به فيتصدق عليه و لا يقوم فيسأل الناس " .

57- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : " ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم و من يستعفف يعفه الله .و من يستغن يغنه الله . و من يتصبر يصبره الله و ما أعطي أحد عطاء خيرا و أوسع من الصبر ".
58- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها و تنظر إليه ، و جعل النبي صلى الله عليه و سلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، و ذلك في حجة الوداع .

59- قال أبو عاصم : أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أن صفوان بن علي أخبره أن يعلى قال لعمر رضي الله عنه : أرني النبي صلى الله عليه و سلم حين يوحى إليه قال : فبينما النبي صلى الله عليه و سلم بالجعرانة و معه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة و هو متضمخ بطيب ؟
فسكت النبي صلى الله عليه و سلم ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى ، فجاء يعلى و على رسول الله صلى الله عليه و سلم ثوب قد أظل به

فأدخل رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم محمر الوجه و هو يغط ، ثم سري عنه فقال : أين الذي سال عن العمرة ؟ فأتي برجل ، فقال : " أغسل الطيب الذي بثوبك ثلاث مرات ، و انزع عنك الجبة ، و اصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك " .

قلت لعطاء : أراد الإنقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات ؟ قال : نعم .

60- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله صلى الله عليه و سلم :

" لبيك اللهم لبيك ،لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك " .

61- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال : اركبها ، فقال : إنها بدنة ، فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة ، قال : اركبها ويلك في الثالثة أو في الثانية .

62- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه .

فقال رجل : لم أشعر فحلقت قبل أن اذبح . قال : " اذبح و لا حرج .. " فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ، قال : " إرم و لا حرج " فما سئل يومئذ عن شيء قدم و لا آخر إلا قال : افعل و لا حرج .

63- حدثنا محمد بن سلام : أخبرنا أبو معاوية ، حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم موافين لهلال ذي الحجة ، فقال لنا : من أحب منكم أن يهل بالحج فليهل ، و من أحب أن يهل بعمرة ، فليهل بعمرة ،فَلَوْلاَ أني أهديت لأهللت بعمرة . قالت : فمنا من أهل

بعمرة ، و منا من أهل بحج ، و كنت ممن أهل بعمرة ، فأظلني يوم عرفة ، و أنا حائض فشكوت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : " ارفضي عمرتك و انقضي رأسك و امتشطي و أهلي بالحج ، فلما كانت ليلة الحصبة أرسل معي عبد الرحمن إلى التنعيم فأهللت بعمرة مكان عمرتي .

64- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد عن عبد الله بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال :
" لعلك آذاك هوامك ؟ " قال : نعم يا رسو ل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أحلق رأسك و صم ثلاثة ايام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو انسك بشلة " .

65- حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " الصيام جنة ، فلا يرفث و لا يجهل ، و إن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم – مرتين – و الذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك ، يترك طعامه و شرابه و شهوته من أجلي . الصوم لي و أنا أجزي به و الحسنة بعشر أمثالها.

66- حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني محمد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال :
بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه و سلم ، إذ جاءه رجل ، فقال: يا رسول الله هلكت ، قال : " مالك ؟" ، قال : وقعت على امرأتي و أنا صائم.
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " هل تجد رقبة تعتقها ؟" قال : لا ، قال : " فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ " ، قال: لا ، فقال : " فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ " ، قال : لا .
قال : فمكث النبي صلى الله عليه و سلم ، فبينما نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه و سلم بعرق فيه تمر – و العرق المكتل – قال : أين السائل ؟ فقال : أنا قال :

" خذ هذا فتصدق به " ، فقال الرجل : أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ فو الله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي ، فضحك النبي صلى الله عليه و سلم حتى بدت أنيابه ثم قال: " أطعمه أهلك " .

67- حدثنا معاذ بن فضالة ، حدثنا هشام عن يحي عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها قالت:

لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كلّه و كان يقول :

" خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا " و أحب الصلاة إلى النبي صلى الله عليه و سلم ما دووم عليه و إن قلت وكان إذا صلّى صلاة داوم عليها .

68- حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " الشهر تسع و عشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدّة ثلاثين ".

69- حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر رمضان فقال : " لا تصوموا حتى تروا الهلال ، و لا تفطروا حتى تروه ، فإن غمّ عليكم فاقدروا له " .

70 - حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام حدثنا يحي بن أبي كثير عن أبي مسلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

" لا يتقدّمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلاّ أن يكون رجلٌ كان يصوم صومه ، فليصم ذلك اليوم " .

71- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن أبي حازم عن سهل بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " .

72- حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال:

قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه و بين سعد بن الربيع الأنصاري و كان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن ، أقاسمك مالي نصفين و أزوجك . قال : بارك الله لك في أهلك و مالك ، دلوني على السوق فما رجع حتى استفضل إقطا و سمنا فأتى به أهل منزله فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله فجاء و عليه وضرٌ من صفرة فقال له النبي صلى الله عليه و سلم : " مهيم " قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : " ما سقت إليها " ، قال : نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب ، قال : " أولم و لو بشاة " .

73 حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث رفعه إلى حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
" البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو قال : حتى يتفرقا فإن صدقا و بينا بورك لهما في بيعهما و إن كتما و كذبا محقت بركة بيعهما " .

74- يذكر عن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له : " إذا بعت فكل ، و إذا ابتعت فاكتل " .

75- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " لا تلقوا الركبان ، و لا يبع بعضكم على بيع بعض ، و لا تناجشوا ، و لا يبيع حاضر لباد و لا تصروّا الغنم ، و من ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحتلبها ، إن رضيها أمسكها و إن سخطها ردها و صاعا من تمر " .

76- و قال الليث عن أبي الزناد : كان عروة بن الزبير يحدث عن سهل بن أبي حثمة الأنصاري من بني حارثة أنه أصاب التمر الدّمان ، أصابه مراض ، أصابه قشام عاهات يحتجون بها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما كثرت عنده الخصومة في ذلك : " فإمّا لا ، فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح التمر "

كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم .

77- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أخبرته :
أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم قام على الباب فلم يدخله ، فعرفت في وجهه الكراهية فقلت : يا رسول الله أتوب إلى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم ماذا أذنبت ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ما بال هذه النمرقة " .
قلت : اشتريتها لك لتقعد عليها و توسّدها .
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إنّ أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم ؟ " .
و قال : " إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة " .

78- ... و حدثني الفضل بن يعقوب ، حدثنا الحجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار و عامر بن مصعب أنهما سمعا أبا المنهال يقول :سألت البراء بن عازب و زيد بن أرقم عن الصرف ، فقالا : كنا جريين على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فسألنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الصرف فقال : " إن كان يدا بيد فلا بأس ، و إن كان نساء فلا يصلح " .

79- حدثنا عمرو بن زرارة ، أخبرنا إسماعيل بن علية ، أخبرنا ابن أبي نجيح عن عبد الله بن كثير عن أبي المنهال عن أبن عباس رضي الله عنهما قال :
قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة و الناس يسلفون في التمر العام و العامين ، أو قال : عامين أو ثلاثة شك إسماعيل فقال : " من سلّف في تمر فليسلف في كيل معلوم و وزن معلوم " .

80- حدثني يحي بن يحي قال : قرأت على مالك عن اسحق بن عبد الله أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :

كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا ، و كان أحب أمواله إليه بيرحاء و كانت مستقبلة المسجد و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت :" **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** " قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال :

يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه : " **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** " و إنّ أحب أموالي إليّ بيرحاء ، و إنها صدقة لله أرجو برّها و ذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال : " بخ ، ذلك مال رائح " ، ذلك مال رائح " قد سمعت ما قلت فيها و أرى أن تجعلها في الأقربين "

قال : أفعل يا رسول الله .

فقسمها أبو طلحة في أقاربه و بني عمّه .

81- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعيد قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول الله إني قد وهبت لك من نفسي .

فقال رجل : زوّجنيها .

قال : " قد زوجناكها بما معك من القرآن " .

82- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن يزيد بن نصيف أن السائب بن يزيد حدثّه : أنه سمع سفيان بن أبي زهير رجلا من أزد شنوءة ، و كان من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :

" من اقتنى كلبا لا يغني عنه زرعا و لا ضرعا نقص كلّ يوم من عمله قيراط " .

قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟

قال : أي و ربّ هذا المسجد .

83- حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن الأعمش قال : سمعت أبا صالح يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم : " رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل ، و رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضي و إن لم يعطه منها سخط ، و رجل أقام سلعته بعد العصر فقال : و الله الذي لا إله إلا غيره لقد أعطيت بها كذا و كذا ، فصدقه رجل " ثم قرأ هذه الآية : إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمنا قليلا " آل عمران 77

84 - حدثنا محمود : أخبرنا عبيد الله عن إسرائيل عن ابن حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
" المعدن جبار و البئر جبار ، و العجماء جبار و في الركاز الخمس " .

85- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن يزيد مولى المنبعث ، عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال :
جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسأله عن اللقطة .
فقال : " أعرف عفاصها و وكاءها ، ثم عرفها سنة ، فإن جاء صاحبها ، و إلاّ فشأنك بها " .قال : فضالّة الغنم ؟
قال : هي لك أو لأخيك أو للذئب .
قال : فضالّة الإبل ؟
قال : " مالك و لها ، معها سقاؤها و حذاؤها ، و تأكل الشجر حتى يلقاها ربّها".

86- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أم سلمة أخبرته أن أمها أمّ سلمة رضي الله عنها زوج النبي الله صلى الله عليه و سلم أخبرتها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنه سمع خصومه بباب حجرته فخرج إليهم فقال :

" إنما أنا بشر ،و إنه يأتيني الخصم ، فلعلّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق ، فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو فليتركها ".

87- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثني محمد بن جعفر عن أبي حازم عن عبد الله بن أبي قتادة السلمي عن أبيه رضي الله عنه قال :
كنت يوما جالسا مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم في منزل في طريق مكة و رسول الله صلى الله عليه و سلم نازل أمامنا و القوم محرمون وأنا غير محرم ، فأبصروا حمارا وحشيا و أنا مشغول أخصف نعلي ، فلم يؤذنوني به و أحبوا لو أني أبصرته . و ألتفت فأبصرته ، فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت و نسيت السوط و الرمح ، فقلت لهم : نَاوِلُونِي السَّوْطَ و الرمح ، فقالوا : لا و الله لا نعينك عليه بشيء ، فغضبت فنزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به و قد مات ، فوقعوا فيه يأكلونه ، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه و هم حرم ، فرحنا و خبأت العضد معي فأدركنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألناه عن ذلك فقال : " معكم منه شيء " .
فقلت : نعم .
فناولته العضد فأكلها حتى نفدها و هو محرم .

88- حدثنا حامد بن عمر : حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه و سلم . فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله .
قال : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟"
قال : لا .
قال : " فاتقوا الله و اعدلوا بين أولادكم " .

قال : فرجع فرد عطيتـــه .

89- حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وهيب ، حدثنا ابن طاوس عـــن أبيـــه عـــن ابـــن عباس رضي الله عنهما قـــال :

قال النبي صلى الله عليه و سلم : " العائد في هبته كالكلب يقيئ ، ثم يعود في قيئه".

90- حدثنا حفص بن عمر : حدثنا هشام ، حدثنا قتـــادة قـــال : حدثـــني النضـــر بـــن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلـــى الله عليـــه و ســـلم قال: " العمرى جائـــزة".

91- حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان بن أشعث بن أبي الشـــعثاء عـــن أبيـــه عـــن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قـــالت :

دخل عليّ النبي صلى الله عليه و سلم و عنـــدي رجـــل .

قال : " يا عائشة من هـــذا ؟" .

قلت أخي من الرضاعـــة .

قال : " يا عائشة ، انظرن من إخوانكن ، فإنما الرضاعة مـــن المجاعـــة ".

92- حدثنا عبد الله بن محمد : حدثنا سفيان عن الزهـــري عـــن عـــروة عـــن عائشـــة رضي الله عنـــها :

جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي صلى الله عليه و ســـلم فقـــالت :

كنت عند رفاعة فطلقني فأبتّ طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمـــن بـــن الزبـــير إنّمـــا معـــه مثل هدبة الثَّـــوب .

فقال :" أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عســـيلته و يـــذوق عســـيلتك".

و أبو بكر جالس عنده و خالد بن سعيد بن العاص بالباب ينتظر أن يـــؤذن لـــه فقـــال: يا أبا بكر ألا تسمع إلى هذه ما تجهر به عند النبي صلـــى الله عليـــه و ســـلم .

93- حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث ، عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة و زيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا:

إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلاّ قضيت لي بكتاب الله ، فقال الخصم الآخر و هو أفقه منه ، فاقض بيننا بكتاب الله و ائذن لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " قل " .

قال : إن ابني كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته ، و إني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة و وليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني ، أنما على ابني جلد مائة و تغريب عام و أن على امرأة هذا الرجم .

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " و الذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة و الغنم ردّ ، و على ابنك جلد مائة و تغريب عام ، اغد يا أُنَيْسُ إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها .

قال : فغدا عليها فاعترفت ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فرجمت .

94- حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا و وصيته مكتوبة عنده " .

95- حدثنا أبو نعيم : حدثنا سفيان ، عن سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال :

جاء النبي يعودني و أنا بمكة و هو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها .

قال : " يرحم الله ابن عفراء ": .

قلت : يا رسول الله ، أوصي بمالي كله .

قال : " لا ".

قلت : فالشطر .

قال : " لا " .

قلت : الثلـــث ؟

قال : " فالثلث ، و الثلث كثير ، إنك أن تدع ورثتك أغنيـــاء ، خـــير مـــن أن تدعـــهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ، و إنك مهما أنفقت مـــن نفقـــة فإنهـــا صدقـــة ، حـــتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك ، و عسى أن يرفعـــك الله فينتفـــع بـــك نـــاس و يضـــرّ بك آخـــرون ".

و لم يكن له يومئذ إلاّ ابنـــة.

96- حدثنا عبد الله بن مسلمة : حدثنا مالك عن نافع عن عبـــد الله بـــن عمـــر رضـــي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم :

" الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامـــــة " .

97- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك عـــن أبي الزنـــاد عـــن الأعـــرج عـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـــه و ســـلم قـــال : " و الـــذي نفســـي بيده ، لا يكلم أحد في سبيل الله – و الله أعلم بمـــن يكلـــم في ســـبيله – إلا جـــاء يـــوم القيامة و اللون لون الدم و الريح ريـــح المســـك " .

98- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مـــالك عـــن سمـــي عـــن أبي صـــالح عـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و ســـلم قـــال : " الشـــهداء خمســـة : المطعون ، و المبطون ، و الغرق ، و صاحب الهـــدم ، و الشـــهيد في ســـبيل الله ".

99- حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن سعيد بـــن مســـروق عـــن عبايـــة بن رفاعة عن جده رافع قـــال :

كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم بذي الحليفة ، فأصاب الناس جوع و أصبنا إبلاً و غنمـــا – و كان النبي صلى الله عليه و سلم في أخريات الناس- فعجلوا فنصبوا القـــدور ، فـــأمر بالقدور فأكفئت ، ثم قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير ، فندّ منها بعير ، و في القوم خيـــل يسير فطلبوه فأعياهم ، فأوهب إليه رجل بسهم فحبسه الله.

فقال : " هذه البهائم لها أوابد كأوابد الوحش ، فما ندّ عليكم فـــاصنعوا بـــه هكـــذا"

فقال جدي : إنا نرجو – أو نخاف – أن نلقى العدو غداً و ليس معنا مدى أفنذبح بالقصب ؟

فقال : " ما أنهر الدم و ذكر اسم الله عليه فكل ليس السن و الظفر ، و سأحدثكم عن ذلك أما السنّ فعظم . و أما الظفر فمدى الحبشة " .

100- حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال ، أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " مثل المجاهد في سبيل الله – و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه ، أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة " .

101- حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك ، عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول :

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه و كانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فأطعمته و جعلت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم استيقظ و هو يضحك قالت: فقلت : و ما يضحكك يا رسول الله ؟

قال : " أناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة – أو مثل الملوك على الأسرة – شك اسحق .

قالت : فقلت يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .

فدعا لها رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم وضع رأسه ثم استيقظ و هو يضحك.

فقلت : و ما يضحكك يا رسول الله ؟

قال : " أناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله " ، كما قال في الأول .

قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : " أنت من الأولين ".

فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

102- حدثنا اسحق : حدثنا محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا الأوزاعي قال : حدثني الزهري عن سهل بن أسعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي و كان سيد بني عجلان فقال :

كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ سل لي رسول الله صلى الله عليه عن ذاك .

فأتى عاصم النبي فقال : يا رسول الله ، فكره رسول الله صلى الله عليه و سلم المسائل فسأله عويمر: فقال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كره المسائل و عابها .

قال عويمر : و الله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك فجاء عويمر فقال :

يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه ؟ أم كيف يصنع ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" قد أنزل الله القرآن فيك و في صاحبتك "

فأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلاعنها .

ثم قال : يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها ، فطلقها فكانت سنة " لمن كان بعدهما في المتلاعنين .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انظروا ، فإن جاءت به أسحم عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها " .

فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله صلى الله عليه و سلم من تصديق عويمر فكان يُعْدُ ينسب إلى أمه .

103- حدثنا يحي بن بكير ، حدثنا الليث قال : حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم ، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره :

أنه طلق امرأته و هي حائض .

فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، فتغيظ فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال :

" ليراجعها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدّة كما أمره الله " .

104- حدثنا معاذ بن فضالة : حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثهم :

أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، و لا تنكح البكر حتى تستأذن " .

قالوا : يا رسول الله و كيف إذنها ؟

قال : " أن تسكت " .

105- حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جويرية عن مالك بن أنس عن الزهري عن ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري قال :

أصبنا سبيا فكنا نعزل ، فسألنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : " أو إنكم لتفعلون - قالها ثلاثا - ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة " .

106- حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن : أخبرنا عبد الله : أخبرنا يونس عن الزهري ، قال: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري أنّ ابن عباس أخبره أن خالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله أخبره : أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم على ميمونة و هي خالته وخالة ابن عباس ، فوجد عندها ضبا محنوذا ، قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد ، فقدّمت الضب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و كان قلمّا يقدّم يده لطعام حتى يحدث به و يسمى له فأهوى رسول الله صلى الله عليه و سلم يده إلى الضب فقالت امرأة من النسوة الحضور :

- أخبرن رسول الله ما قدّمتن له ، هو الضب يا رسول الله .

فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده عن الضب ، فقال خالد بن الوليد :

- أحرام الضبّ يا رسول الله ؟

قال : " لا ، و لكن لم يكن بأرض قومي ، فأجدني أعافه "

قال خالد : فاجتررته فأكلته و رسول الله صلى الله عليه و سلم ينظر إليّ .

107- حدثنا أبو نعيم : حدثنا سيف بن أبي سليمان قال سمعت مجاهدا يقول : حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أنهم كانوا عند حذيفة فاستسقى فسقاه مجوسي فلما وضع القدح في يده رماه به و قال : لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين كأنه يقول : لم أفعل هذا و لكني سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " لا تلبسوا الحرير و لا الديباج ، و لا تشربوا في آنية الذهب و الفضة و لا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا و لنا في الآخرة .

108- حدثنا سليمان بن حرب : حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي قال : سمعت عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن المعراض قال :

" إذا أصبت بحده فكل ، فإذا أصاب بعرضه فقتل فإنه و قيذ فلا تأكل " .

فقلت : أرسل كلبي ؟

قال : " إذا أرسلت كلبك و سميت فكل "

قلت :فإذا أكل ؟

قال : " فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك ، إنما أمسك على نفسه " .

قلت : أرسل كلبي فأجد معه كلبا آخر ؟

قال : " لا تأكل ، فإنك إنما سميت على كلبك ، و لم تسمّ على آخر " .

109- حدثنا قتيبة : حدثنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن جندب بن سفيان البجلي قال:

ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أضحية ذات يوم ، فإذا أناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة ، فلما انصرف رآهم النبي صلى الله عليه و سلم أنهم قد ذبحوا قبل الصلاة فقال :

" من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ، و من كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله " .

110- حدثنا أبو عاصم عن زيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم :

" من ضحّى منكم فلا يصبحنّ بعد ثالثة و في بيته منه شيء " ، فلما كان العام المقبل قالوا : يا رسول الله ، نفعل كما فعلنا عام الماضي .

قال : " كلوا و أطعموا و ادّخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جهد ، فأردت أن تعينوا فيها " .

111- حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

" من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَهَا في الآخرة " .

112- حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة رضي الله عنها قالت :

سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن البتع ، و هو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " كل شراب أسكر فهو حرام " .

113- حدثنا إسماعيل قال : حدثني مالك عن نافع و عبد الله بن دينار وزيد بن أسلم يخبرونه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

" لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء " .

114- حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير ، حدثنا موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :
" من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة " .
قال أبو بكر : يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي ، إلا أن أتعاهد ذلك منه .
فقال النبي صلى الله عليه و سلم : " لست ممن يصنعه خيلاء " .

115 - حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :
" لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ليحفهما أو لينعلهما جميعا " .

116 - حدثنا أحمد بن يونس : حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول :
" الفطرة خمس ": الختان ، و الاستحداد و قص الشارب ، و تقليم الأظافر ونتف الآبـاط " .

117 - حدثنا مالك بن إسماعيل : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة أخبرنا عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :
" إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله و ليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله و يصلح بالكم " .

118- حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل : حدثنا جرير بن حازم : حدثنا الحسن: حدثنا عبد الرحمن بن سمرُة قال : قال لي النبي صلى الله عليه و سلم :
" يا عبد الرحمن بن سُمرة ، لا تسأل الإمارة ، فإنّك إن أوتيتها عن مسألة و كلت إليها و إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها ، و إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفرّ عن يمينك و أت الذي هو خير " .

119- حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اله صلى الله عليه و سلم أدرك عمر بن الخطاب و هو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال :

" ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ".

120- حدثنا أبو نعيم : حدثنا مالك ، عن طلحة بن عبد الملك عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ، و من نذر أن يعصيه فلا يعصه " .

121 - حدثنا سعيد بن سليمان : حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله صلى اله عليه و سلم و من يجترئ عليه إلا أسامة ، حب رسول الله صلى الله عليه و سلم فكلم رسول الله فقال :

" أتشفع في حدّ من حدود الله ؟! " .

ثم قام فخطب قال : " يا أيها الناس ، إنما ضلّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه و إذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، و ايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " .

122- حدثنا إسماعيل بن أبي أويس عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير و عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عيه و سلم قال : " تقطع يد السارق في ربع دينار " .

123- حدثنا عبد الله بن يوسف : حدثنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول : قال النبي صلى الله عليه و سلم : " إذا زنت الأمة فتبين زناها ، فليجلدها و لا يثرّب ، ثم إن زنت فيجلدها و لا يثرّب ، ثم إن زنت فليبعها و لو بحبل من شعر " .

124 – حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : أتى عليّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا تعذبوا بعذاب الله " و لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من بدلّ دينه فاقتلوه ".

125– حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا يحي بن سعيد الأنصاري قال : أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي : أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :

" إنما الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

ثانيا : تخريج أحاديث الملحق من صحيح البخاري :

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.1	الإيمان	46	1	39
.2	الإيمان	37	1	36
.3	الإيمان	53	1	41
.4	الإيمان	9	1	29
.5	الإيمان	43	1	38
.6	العلم	96	1	58
.7	العلم	86	1	55
.8	العلم	126	1	67
.9	العلم	134	1	69
.10	الوضوء	144	1	74
.11	الوضوء	155	1	76
.12	الوضوء	162	1	78
.13	الوضوء	220	1	92
.14	الغسل	282	1	109
.15	الحيض	306	1	116
.16	الحيض	304	1	115
.17	الحيض	305	1	116
.18	الصلاة	401	1	146
.19	الصلاة	444	1	156
.20	الصلاة	510	1	172
.21	مواقيت الصلاة	597	1	194

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.22	مواقيت الصلاة	583	1	191
.23	الآذان	604	1	197
.24	الآذان	611	1	199
.25	الآذان	615	1	200
.26	الآذان	664	1	210
.27	الآذان	672	1	212
.28	الآذان	734	1	229
.29	الآذان	736	1	229
.30	الآذان	781	1	240
.31	الآذان	883	1	254
.32	الآذان	842	1	256
.33	الجمعة	887	1	266
.34	الجمعة	881	1	264
.35	الجمعة	934	1	277
.36	الجمعة	935	1	278
.37	العيدين	951	1	286
.38	الكسوف	1044	1	312
.39	التهجد	1187	1	351
.40	الصلاة في مسجد مكة و المدينة	1189	1	354
.41	العمل في الصلاة	1218	1	363
.42	الجنائز	1254	1	375
.43	الجنائز	1308	1	390
.44	الجنائز	1315	1	391

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.45	الجنائز	1321	1	393
.46	الجنائز	1362	1	405
.47	الجنائز	1388	1	412
.48	الجنائز	1344	1	399
.49	الجنائز	1280	1	382
.50	الزكاة	1403	1	417
.51	الزكاة	1405	1	418
.52	الزكاة	1413	1	420
.53	الزكاة	1464	1	337
.54	الزكاة	1490	1	445
.55	الزكاة	1483	1	443
.56	الزكاة	1479	1	448
.57	الزكاة	1469	1	439
.58	الحج	1513	1	454
.59	الحج	1536	1	458
.60	الحج	1549	1	462
.61	الحج	1689	1	501
.62	الحج	1736	1	512
.63	العمرة	1783	1	525
.64	المحصر	1814	1	536
.65	الصوم	1894	2	564
.66	الصوم	1936	2	575
.67	الصوم	1970	2	585

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.68	الصوم	1907	2	567
.69	الصوم	1906	2	567
.70	الصوم	1914	2	568
.71	الصوم	1957	2	582
.72	البيوع	2049	2	610
.73	البيوع	2079	2	619
.74	البيوع	باب 51	2	632
.75	البيوع	2150	2	638
.76	البيوع	2193	2	646
.77	البيوع	2105	2	627
.78	البيوع	2060 و2061	2	674
.79	السلم	2239	2	659
.80	الوكالة	2318	2	689
.81	الوكالة	2310	2	686
.82	الحرث و المزارعة	2323	2	692
.83	المساقاة	2358	2	703
.84	المساقاة	2355	2	702
.85	اللقطة	2429	2	726
.86	المظالم	2458	2	736
.87	الهبة	2570	2	776
.88	الهبة	2587	2	781
.89	الهبة	2589	2	782
.90	الهبة	2626	2	791

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.91	الشهادات	2647	2	799
.92	الشهادات	2639	2	796
.93	الشروط	2724 و 2725	2	831
.94	الوصايا	2738	2	841
.95	الوصايا	2742	2	842
.96	الجهاد و السير	2849	2	881
.97	الجهاد و السير	2803	2	867
.98	الجهاد و السير	2829	2	875
.99	الجهاد و السير	3075	2	945
.100	الجهاد و السير	2787	2	862
.101	الجهاد و السير	2788 و 2789	2	663
.102	التفسير	4745	3	1482
.103	التفسير	4908	3	1565
.104	النكاح	5136	3	1654
.105	النكاح	5210	3	1676
.106	الأطعمة	5391	4	1736
.107	الأطعمة	5426	4	1744
.108	الذبائح و الصيد	5476	4	1762
.109	الذبائح و الصيد	5500	4	1770
.110	الأضاحي	5569	4	1789
.111	الأشربة	5575	4	1791
.112	الأشربة	5586	4	1793
.113	اللباس	5783	4	1846

التسلسل	الكتاب	رقم الحديث	الجزء	الصفحة
.114	اللباس	5784	4	1847
.115	اللباس	5856	4	1866
.116	اللباس	5891	4	1874
.117	الأدب	6224	4	1957
.118	الإيمان و النذور	6622	4	2069
.119	الإيمان و النذور	6646	4	2076
.120	الإيمان و النذور	6696	4	2091
.121	الحدود	6788	4	2119
.122	الحدود	6790	4	2120
.123	الحدود	6839	4	2134
.124	استتابة المرتدين	6922	4	2161
.125	بدء الوحي	1	1	21

الـــفـــهارس

1- فهرس الآيات القرآنية

السورة و الآية الصفحة

البقرة :58 229

البقرة :227 30

آل عمران :138 29

النساء :78 12

النساء :140 12

المائدة :23 229

المائدة:67 96

النحل :16 222

الإسراء : 110 66-99

مريم :65 96

طف 08 97

الأنبياء :07 152

الحج : 36 114

الشعراء :194،195 184

لقمان :19 66

الأحزاب :32 67

الأحزاب :41،42 98

الأحزاب :53،54 ..... 13،166

فاطر :82 54

محمد :30 67

الحجرات : 3،2 66
الحجرات :5،4 166
الحجرات : 11 106
ق :18 66
النجم :19،20،21،22،23..... 97
الرحمن :3،4 29
الشرح :4 98
الأعلى :9..... 73

2- فهرس الأحاديث الواردة في الملحق

رقم الحديث	الصفحة
1	255،231،172،111،96،79
3	255،124،118،112
4	256،186
5	256،172،152
6	256،172،158،81،76
7	156،191،172،125،81
8	257،229،176،72
11	257،172،125
12	258،190،189
13	258،159،126،73
14	258،216
15	258،163
16	258 ،126
18	259،163،154،127
19	259،163
23	260،82
25	261،209،176،164
26	261،85
28	261 ،207
31	262: 112، 99
33	263: 184، 74

رقم الحديث	الصفحة
34	263،210، 164، 114
35	263،126،74
36	263،86
38	264،156
39	264،112
41	265،179،120،86
44	266،159
45	266 ، 161
46	266، 162، 78
48	267 ، 206
51	267 ، 202
53	268 ، 202
54	268 ، 239
56	269 ، 203 ، 158 ، 112
61	270 ، 114 ، 82
65	271 ، 82
66	271 ، 120 ، 88
71	272 ، 87
72	272 ، 121
76	273 ، 122
78	274 ، 88
80	274 ، 83

رقم الحديث	الصفحة
84	276 ، 189 ، 83
85	276 ، 150 ، 130
89	278 ، 239
90	278 ، 187
93	279 ، 187 ، 155
96	280 ، 240
99	280 ، 153
101	281 ، 229
102	282 ، 217
104	283 ، 75
109	284 ، 158
121	287 ، 214 ، 56
125	288 ، 148

3- فهرس الأحاديث غير الواردة في الملحق

الحديث	الصفحة
أحب الأسماء إلى الله عبد الله و عبد الرحمٰن	107
أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم	74
اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق	59، 146
ألا و قول الزور ، فما زال يكررها	80
إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و أسماء آبائكم	107
إن رسول الله ε أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه	145
كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه	80
كانت امرأتان معهما إبناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما	118
كان رسول الله ε يحدث بالحديث لو شاء العاد أن يحصيه أحصاه	209
ما كان رسول الله ε يسرد كسردكم هذا	67
من كتب شيئا غير القرآن فليمحه	145
نضّر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها	16

المصادر و المراجع

1- ابن جني ، أبو الفتح عثمـــان .

الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العـــربي ، بـــيروت ، لبنـــان .

2- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علـــي .

فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ،بـــيروت ، لبنـــان .

3- ابن حـــزم .

النبذة الكافية في أحكام أصول الدين ، دار الكتاب العـــربي ، بـــيروت ، لبنـــان .

4- ابن خلدون ، عبد الرحمـــن .

المقدمة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنـــــان .

5- ابن الصـــلاح .

مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، دار الهـــدى ، الجزائـــر ، 1991 .

6- ابن فارس ، أبو الحسين أحمـــد .

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومســـائلها ، و ســـنن العـــرب في كلامـــها ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، لبنـــــان ، ط1 ، 1997 .

7- ابن ســـينا .

أسباب حدوث الحروف ، مكتبة الكليات الأزهريـــــة القـــاهرة ، 1978 .

8- أبو داود ، سليمان بن أشـــعث السجســـتاني .

صحيح سنن المصطفى ، دار الكتاب العربي ، بـــيروت ، لبنـــان .

9- أبو شـــهبة .

الوسيط في علوم و مصطلح الحديث ، عـــالم المعرفـــة ، جـــدة ، ط1 ، 1983 .

10- أبو عودة ، د. عودة خليـــل .
بناء الجملة في الحديث النبوي الشـــريف ،دار البشـــير ، عمـــان ، الأردن ، ط2 1994.

11- أحمد علي ، د.اســـعد
تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، دار الســـؤال ، دمشـــق ، ســـوريا ، ط2 ، 1981 .

12- أمين ، د.بكري شـــيخ .
أدب الحديث النبوي ، دار الشروق ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط5 ، 1981 .

13- أنيس . د.إبراهيـــم .
دلالة الألفاظ ، مكتبة الانجلو المصريـــة القـــاهرة ط 5 . 1984

14- البخـــاري
- الأدب المفرد ، دار المعرفـــة ، بـــيروت ، ط1 ، 1996 .
- الجامع الصحيح ، المكتبة العصريـــة ، بـــيروت ، ط3 ، 1999 .

15- ابن عيسى ، حنفـــي
محاضرات في علم النفس اللغوي ،ديوان المطبوعـــات الجامعيـــة ،الجزائـــر، ط4 1993.

16- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحـــر .
البيان و التبيين ، المكتبة العصريـــة ، بـــيروت ، ط2، 2000.

17- الجرجاني الشـــريف .
التعريفات ، دار الفكر بـــيروت ، لبنـــان ،ط1 ، 1998 .

18- الجرجاني عبد القـــاهر .
- أسرار البلاغة في علم البيان ، دار المعرفة ، بـــيروت ، لبنـــان ، 1981 .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، دار المعرفـــة ، بـــيروت ، لبنـــان ، 1978 .

19- الجزائري ، طـــاهر .
توجيه النظر إلى أصول الأثر ، دار المعرفة ، بـــيروت ، لبنـــان ، .

20- حبيقة ، مـــي .
التعبير الشفهي ، دار المشرق ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1996 .

21- حسان ، د.تمـــام .
مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضـــــاء ، المغـــرب ، 1986 .

22- حسايي ، أحمـــد .
السمات الترفيهية للفعل في البنيـــة التركيبيـــة ، مقارنـــة لســـانية ، ديـــوان المطبوعـــات الجامعية ، الجزائـــر ، 1993 .

23- الحسيني ، محمد بن علوي المـــــالكي .
محمد الإنسان الكامل ، دار الشـــروق ، جـــدة ، ط4 ، 1987 .

24- الخطي ، د. محمد عجـــاج .
الوجيز في علوم الحديث و نصوصه ، المؤسســـــة الوطنيـــة للفنـــون المطبعيـــة ، الجزائـــر 1989 .

25- الداية ، د.فـــايز .
علم الدلالة العربي ، ديوان المطبوعـــات الجامعيـــة ، الجزائـــر ، ط1 ، 1988 .

26- دلاش ، الجيـــلالي .
مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمـــــد يحيـــاتن ، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة الجزائـــر ، 1995 .

27- رابح ، بوحـــوش .
البنية اللغوية لبردة البوصيري . ديوان المطبوعـــات الجامعيـــة ، الجزائـــر ، 1993 .

28- الرافعي ، مصطفى صـــــادق .
- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتاب العـــربي ، بـــيروت ، لبنـــان .
- تحت راية القرآن ، دار الإيمان ، المنصـــــورة ، مصـــر ، ط1 ، 1986 .

29- الرويلي ، ميجان بالاشـــتراك .
دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الـــدار البيضـــاء ، المغـــرب ، ط2 ،2000.

30- زكريا . د. ميشـــال .
- الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية (النظريـــة الألســـنية) المؤسســـة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيـــع ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1982 .
- ملاحث في النظرية الألسنية و تعليم اللغة ، المؤسسة الجامعيـــة للدراســـات و النشـــر و التوزيع ، بيروت ، لبنـــان ، ط2 ، 1985 .
- الألسنية علم اللغة الحديث ، قـــراءات تمهيديـــة ، المؤسســـة الجامعيـــة للدراســـات و النشر ، بيروت ، لبنـــان .

31- ساسي ، د. عمـــار .
اللسان العربي و قضايا العصر ، دار المعـــارف . الجزائـــر ، ط1 ، 2001 .

32 - السباعي ، د. مصطفـــى .
السنة و مكانتها في التشريع ، دار العروبـــة ، القـــاهرة ، 1961 .

33- سنو ، هبة شـــبارو .
الجملة و المقطع ، دار المشرق ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1995 .

34- سيد أحمد ، د. أحمـــد .
سيرة النبي و أسلوب حديثه ، دار البعـــث ، قســـنطينة ، ط1 ، 1984 .

35- السيد .د . عز الدين علـــي .
الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغيـــة . دار اقـــرأ ، بـــيروت ، ط2 ، 1986 .

36- سوسور ، فردينـــان دو .
محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوســـف عـــاردي ، و مجيـــد النصـــر ، المؤسســـة الجزائرية ، الجزائـــر ، 1986 .

37 – **الشريف إبراهيـــم .**

البيان و التعريف في أسباب ورود الحديـــث الشـــريف .

38– طالب . د . عبد الرحمـــن .

– مصابيح السنن فيما اتفق عليـــه رجـــال الصحيـــح و الســـنن ، المؤسســـة الوطنيـــة للكتاب الجزائـــر ، 1984 .

– منهج الاستفادة من الأحـــاديث النبويـــة ، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة ، الجزائـــر 1993 .

– السنة عبر العصور ، ديوان المطبوعات الجامعيـــة ، الجزائـــر .

39– ظبيان ، د . نشأة محمد رضـــا .

علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات ، علم أصوات اللســـان العـــربي ، دار ابـــن حـــزم بيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1991 .

40– عبد الحميد ، محمد محي الديـــن .

شرح عطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام الأنصـــاري .دار رحـــاب ، الجزائـــر .

41– العسكري ، أبو هـــلال .

الفروق في اللغة ، دار الفكر الآفاق الجديـــدة ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط7 ، 1991 .

42– العقاد ، عباس محمـــود .

عبقرية محمد ، دار الهلال ، مصـــر .

43– عياض ، القاضي أبو الفضـــل .

الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفـــى ، المكتبـــة العصريـــة ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 2001 .

44– العيني ، البـــدر .

عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري ، دار إحياء الـــتراث العـــربي ، بـــيروت .

45- الغزالي ، د . محمـــد .

كيف نتعامل مع القرآن ، دار الانتفاضـــة ، الجزائـــر .

46- الغذامي ، د. عبد الله محمـــد .

تشريح النص ، دار الطليعة ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1987 .

47- قدامة ابن جعفـــر .

نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت لبنـــان ، 1982 .

48- قطب ، ســـيد .

في ظلال القرآن ، دار الشـــروق ، بـــيروت ، ط10 ، 1982 .

49- الماضي ، د . شكري عزيـــز .

في نظرية الأدب ، دار الحداثة ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط1 ، 1986 .

50- المباركفوري ، صفي الديـــن .

الرحيق المختوم ، دار الشـــهاب ، الجزائـــر ، 1989 .

51- مراسلي ، دليلة بالاشـــتراك .

مدخل إلى السيميولوجيا (نـــص-صـــورة) ترجمـــة عبـــد الحميـــد بورايـــو ، ديـــوان المطبوعات الجامعية ، الجزائـــر ، 1995 .

52- مرتاض ، د . عبد المـــالك .

بنية الخطاب الشعري ، ديوان المطبوعات الجامعيـــة ، الجزائـــر ، 1991 .

53- المســـعودي .

مروج الذهب و معادن الجوهر ، دار المعرفـــة ، بـــيروت ، 1985 .

54- الهاشمي ، أحمـــد .

جواهر البلاغة في المعاني و البيـــان و البديـــع ، دار إحيـــاء الـــتراث العـــربي ، بـــيروت لبنـــان ، ط12 ، د.ت .

55- ويلسون ، جيلـــين .

سيكولوجية فنون الآداء ، سلسلة عالم المعرفة ،ترجمة : د. شـــاكر عبـــد الحميـــد ،نشـــر المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويـــت ، عـــدد 258 ، جـــوان 2000 .

56- ويليك ، رينيه بالاشـــتراك .

نظرية الأدب ، ترجمة : محي الدين صبحـــي ، المؤسســـة العربيـــة للدراســـات و النشـــر بيروت ، لبنـــان ، 1987 .

57- يليق ، عز الديـــن .

موازين القرآن و السنة للأحـــاديث الصحيحـــة و الضعيفـــة و الموضوعـــة ، دار الفتـــح بيروت ، لبنـــان ، ط2 ، 1986 .

GRILLO Eric -58

La philosophie du language , seuil , Paris 1997 .

MICHEL Adam Jean -59

L'analyse des Récits, Seuil , Paris , 1996.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

المقدمة 5

الفصل التمهيدي : في البيان النبوي

المبحث الأول : تعريف الحديث لغة و علاقته بالكلام 11

المبحث الثاني : الحديث النبوي 16

1- الحديث النبوي 16

2- الحديث و السنة و السيرة 18

3- علم الحديث 18

المبحث الثالث : الحديث النبوي بين التداول و التدوين 19

1- شغف العرب بالرواية و النقل 19

2- تلاوة القرآن الكريم 20

3- تداول الحديث النبوي الشريف 21

المبحث الرابع : قواعد النقد لمتن الحديث 23

المبحث الخامس : الحديث النبوي المتواتر 25

المبحث السادس : البيان 29

المبحث السابع : البناء اللغوي 33

الفصل الأول : الخصائص الصوتية في البيان النبوي

المبحث الأول : أهداف الدراسة الصوتية 37

المبحث الثاني : الأصوات اللغوية و معانيها في اللسان العربي 40

المبحث الثالث : الصوت النبوي 49

1- التشكيل الصوتي في البيان النبوي 52

2- صفاء و سلامة المخارج 59

أ- القيمة الأخلاقية 66

ب- القيمة التعبيرية 67

المبحث الرابع : الاقتصاد و الكفاية في البيان النبوي الصوتي 71
1- النطق و السكوت..... 71
2- الجهر و الخفوت 76
3-التكرار أو الإعادة..... 80
4-التعبير الانفعالي 83

الفصل الثاني : الخصائص الإفرادية في البيان النبوي

المبحث الأول : تعريف الكلمة 91
المبحث الثاني : خصائص الأسماء في البيان النبوي 94
1- الاسم في اللسان العربي..... 94
2-أسماء الله الحسنى 96
3- أسماء الأعلام..... 99
4- الأسماء و الألقاب و الكنى 106
5- أسماء المعاني الجديدة 111
6- الألفاظ الغريبة 113
المبحث الثالث : شك الراوي في المفردة 124
المبحث الرابع : اختلاف الألفاظ في الحديث الواحد 129

الفصل الثالث : الخصائص التركيبية في البيان النبوي

المقدمة : أركان الحديث النبوي 139
المبحث الأول : ملابسات البيان النبوي 143
أولاً : ملابسات السند 146
ثانيا : ملابسات المتن 148
1- أسباب الورود 148
أ- المحاورة 149
ب – الوقائع و الأحداث 153
ج- الملاحظات النبوية 157
المقاصد و الأغراض 159

2- الزمان و المكان 161
3- الأحوال و الصفات و الهيآت 170
4- الملابسات النفسية 173
المبحث الثاني : أنماط الجمل في البيان النبوي 184
1- الجملة الاسمية و الجملة الفعلية 186
2- الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية 201
المبحث الثالث : البناء الفني في البيان النبوي 219
أوّلاً : الإيجاز و جوامع الكلم 227
ثانيا : الصور البيانية و المحسنات البديعية 237

الخاتمة و أهم نتائج البحث: 244

الملحق

أوّلا : الأحاديث النبوية القولية المتفق عليها برواية البخاري 255
ثانيا : تخريج الأحاديث من صحيح البخاري 289

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية 296
فهرس الأحاديث الواردة في الملحق 298
فهرس الأحاديث غير الواردة في الملحق 301
المصادر و المراجع 303
فهرس الموضوعات 310

جامعة البليدة
المكتبة المركزية

رقم الجرد 1986
رقم التسجيل Dépot
تاريخ الدخول 24/11/02
الأصل: كلية الآداب والعلوم الإنسانية